

پیشانی  
کتابخانه  
مکتب  
مکتب  
مکتب  
مکتب  
مکتب  
مکتب  
مکتب  
مکتب







إهداء 2005

أ.د. محمد الله شعانة

القاهرة

# تفسير القرآن الكريم

الجزء الخامس من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته

  
دار غيب  
الطباعة والنشر والتوزيع  
القاهرة



## تحريم الخيلات

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الْيَتَامَى الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْلِفَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

## المضردات:

المحصنات: واحدهن: محصنة (بفتح الصاد) يقال: حصنت المرأة (بضم الصاد) حصنا وحصانة: إذا كانت عفيفة فهي حاصن وحصان (بفتح الصاد) ويقال: أحصنت المرأة: إذا تزوجت؛ لأنها تكون في حصن الرجل وحمايته، وأحصنها أهلها: زوجها. ما ملكت أيمانكم: أي: بالسبي في حروب دينية، وأزواجهن كفار في دار الحرب؛ فينفسخ عند ذلك نكاحهن، ويحل الاستمتاع بهن بعد وضع الحمل حملها وحيض غيرها ثم طهرها.

الإحصان: العفة.

المسافح: الزاني.

الاستمتاع بالشيء: هو التمتع به.

الأجور: واحدها: أجر: وهو في الأصل الجزاء الذي يعطى في مقابلة شيء ما من عمل أو منفعة، والمراد به هنا: المهر.

فريضة: أي: حصة مفروضة محددة مقدرة.

لا جناح: أي: لا حرج ولا تضيق.

الاستطاعة، كون الشيء فى طوعك لا يتعاصى عليك، والطول الغنى والفضل من مال أو قدرة على تحصيل الرغائب.

المحصنات، هنا: الحرائر.

الفتيات، الإماء.

محصنات، أى: عقيقات.

مسافحات، مستأجرات للبقاء.

الأخسدان، واحداهم: خدن وهو الصاحب ويطلق على الذكر والأنثى، وهو أن يكون للمرأة خدن يزنى بها سرا فلا تبتذل نفسها لكل أحد.

الفاحشة، الفعلة القبيحة وهى: الزنى.

المحصنات، هنا: الحرائر.

المعذاب، هو الحد الذى قدره الشارع وهو مائة جلدة، فنصفها خمسون ولا رجم عليهن؛ لأنه لا ينتصف.

المعنت، الجهد والمشقة.

تمهيد:

هاتان الآيتان من تنمة ما قبلهما من المعنى فقد نكر فى أولهما بقية ما يحرم من النساء وحل سوى من تقدم، ووجوب إعطاء المهور، وذكر فى الآية الثانية حكم نكاح الإماء وحكم حدهن عند ارتكاب الفاحشة، لكن من قسموا القرآن ثلاثين جزءا جعلوهما أول الجزء الخامس، مراعاة للفظ دون المعنى إذ لو راعوه لجعلوا أول الخامس: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**.

٢٤ - **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ...** أى: حرم الله عليكم نكاح المحصنات أى: المتزوجات. **وَالْمُحْصَنَاتُ**، معطوف على قوله تعالى: **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ**، والمعنى: وكما حرم الله عليكم نكاح أمهاتكم وبناتكم ... إلخ. فقد حرم عليكم أيضا نكاح ذوات الأزواج من النساء عامة، حرائر وغير حرائر إلا ما سبيتم وملكتن منهن فى حرب بينكم وبين الكفار، فإن نكاحهن السابق يفسخ بالسبى فيصرن حلالا لكم بعد استبراء أرحامهن.

وقد كان الإسلام مضطرا إلى هذه المعاملة؛ لأنها معاملة بالمثل، والإسلام لم يفرض السبى ولم يحرمه وقد جاء الإسلام والرق كنهز يجرى فحاول الإسلام توسيع المصعب وتضييق المنع؛ حتى يجف نهر الرق. وقد حرم الرق الآن؛ وروح الإسلام تبارك هذا التحريم.

**كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**، أى: كتب عليكم تحريم هذه الأنواع كتابا مؤكدا، فالزموها ما كتب الله عليكم فى تحريم ما حرم، ولكم فيما عدا هؤلاء المؤمنات المحرمات، أن تطلبوا النساء اللاتى أحلهن الله لكم



عن طريق ما تقدمونه لهن من أموالكم كمهور لهن وبذلك تكونون قد أحصنتم أنفسكم ومنعتموها عن السفاح والفجور والزنى.

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً. أَى: وأى امرأة من النساء اللواتى أحللت لكم تزوجتموها فأعطوها الأجر وهو المهر بعد أن تفرضوه وتتفقوا عليه عند العقد، فريضة فرضها الله عليكم.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ. ولا حرج عليكم فيما تم بينكم عن تراض من تنازل زوجة عن بعض مهرها، أو زيادة زوج فيه.

إن الله كان ولم يزل مطلعاً على شئون العباد مديراً لهم فى أحكام ما يصلح به أمرهم.

٢٥ - وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ... أَى: ومن لم يجد منكم - أيها الأحرار المؤمنون - سعة من المال تمكنه من القيام بتكاليف الزواج من إحدى الحرائر المؤمنات؛ فلينكح أمة من الإماء المؤمنات؛ لخفة تكاليف الزواج منها، ويتخذ منها زوجة دون غضاضة فى ذلك الزواج، فقد يكون فى قوة إيمان الأمة ما يعوضه خيراً مما فاته من نكاح الحرة، والله وحده هو الذى يعلم حقيقة إيمانكم، الذى هو أساس التفاضل بينكم عنده سبحانه وتعالى، فأنتم جميعاً أمام الله سواء؛ أكرمكم عند الله أتقاكم.

فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ. أَى: فإذا رغب أحدكم أن يتزوج إحدى الإماء المسلمات، فليكن نكاحه إياها بإذن وليها ومالكها، وليؤد لها مهرها، من غير إضرار أو نقص بل المهر المتعارف لأمثالهن، مع حسن التعامل وتوفية الحق، واختاروهن عفيفات، فلا تختاروا زانية معلنة ولا خلية، فإن أتيت الزنى بعد زواجهن؛ فعقوبتهن نصف عقوبة الحرة، وإباحة نكاح المملوكات عند عدم القدرة جائز لمن خاف منكم المشقة المفضية إلى الزنى، وصبركم عن نكاح المملوكات مع العفة خير لكم. والله كثير المغفرة عظيم الرحمة.

## التيسير

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

## التمهيد:

بعد أن ذكر أحكام النكاح فيما سلف على طريق البيان والإسهاب، ذكر هنا: عللها وأحكامها كما هو دأب القرآن الكريم أن يعقب ذكر الأحكام التي يشرعها للعباد ببيان العلل والأسباب: ليكون في ذلك طمأنينة للقلوب، وسكون للنفوس؛ لتعلم مغبة ما هي مقدمة عليه من الأعمال، وعاقبة ما كلفت به من الأفعال، حتى تقبل عليها وهي مثلجة الصدور عالمة بأن لها فيها سعادة في دنياها وأخرها، ولا تكون في عماية من أمرها؛ ففتته في أودية الضلالة، وتسير قدما لا إلى غاية.

٢٦ - يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . يريد الله بما شرعه لكم من الأحكام أن يبين لكم ما فيه مصالحكم ومنافعكم وأن يهديكم مناهج من تقدمكم من الأنبياء والصالحين؛ لتقتفوا آثارهم وتسيروا سيرتهم، ويتوب عليكم من الإثم والمحارم واتباع الشهوات والمعاصي، ويريد الله أن يرجع بكم إلى طريق طاعته والله مطلع على شئونكم مدبر في أحكامه لما يصلح أمركم.

٢٧ - وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا . والله سبحانه يريد أن يتوب عليكم فيفتح لكم باب التوبة والأمل، ويريد أتباع الشياطين من اليهود، والنصارى، والزناة أن تميلوا عن الحق، وتنحرفوا إلى الضلالة انحرافا عظيما؛ حتى تكونوا مثلهم وهذا شأن المنحرفين دائما يريدون أن يكون الناس على طريقتهم؛ حتى يسلموا من ذمهم ولومهم.

٢٨ - يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا . يريد الله أن ييسر عليكم بتشريع ما فيه سهولة لكم وتخفيف عليكم، وقد خلق الإنسان ضعيفا أمام غرائزه وميوله، فيناسبه من التكاليف ما فيه يسر وسعة، لضعفه في نفسه، وضعف عزمه وهمته.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ  
تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ  
ذَلِكَ عُدُوْنَا وظَلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

## تمهيد:

بعد أن ذكر فيما سلف كيفية معاملة اليتامى وإيتاء أموالهم إليهم عند الرشد وعدم دفع الأموال إلى السفهاء، ثم بين وجوب دفع المهور للنساء وأنكر عليهم أخذها بوجه من الوجوه، ثم نكر وجوب إعطاء شيء من أموال اليتامى إلى أقاربهم إذا حضروا القسمة، ذكر هنا قاعدة عامة للتعامل في الأموال؛ تطهيرا للأنفس في جمع المال المحبوب لها فقال:

٢٩ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَأْخُذْ بَعْضُكُم مَالِ بَعْضٍ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَى: بأنواع المكاسب غير المشروعة كأَنْواع الربا، والقمار، والسرقة، والغصب، والرشوة، واليمين الكاذبة، وشهادة الزور، ونحو ذلك مما حرمه الله.

ويُبين وسيلة من وسائل الكسب الحلال، وهى التجارة القائمة عن تراض يتعامل الناس فيها معاً، ويقيمونها بينهم كما بينها رسول الله ﷺ، وفصلها الفقهاء فى كتبهم، ويلحق بالتجارة كل أسباب التملك التى أباحها الشارع كالهبة، والصدقة، والإرث.

وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ. أَى: بارتكاب محارم الله وتعاطى معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. فيما أمركم به ونهاكم عنه.

روى الإمام أحمد وأبو داود: أن عمرو بن العاص كان أميراً على الجيش فى سرية ذات السلاسل فأصبح جنباً فى ليلة باردة شديدة البرد؛ فتييم وصلى بأصحابه ثم أخبر بذلك رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، احتلمت فى ليلة باردة وأشفتت إن اغتسلت أن أهلك؛ فنكرت قول الله عز وجل: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. فتييمت ثم صليت؛ وضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً<sup>(١)</sup>.

وفى الصحيحين: «من قتل نفسه بشيء عذب به إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه؛ فهو فى نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سما فقتل نفسه؛ فسمه فى

يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة؛ فحديده فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»<sup>(٣)</sup>.

٣٠ - وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدْوَانًا وظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا ... ومن يقدم على فعل ما حرم الله، معتديا فيه ظلما فى تعاطيه. أى: عالما بتحريمه متجاسرا على انتهاكه.  
فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا. فسوف ندخله نارا يحترق فيها، وكان ذلك على الله هينا ميسورا.

★ ★ ★

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٣١)</sup>

#### المضردات:

الاجتناب: ترك الشيء جانبا، والكبائر واحدها كبيرة وهى المعصية العظيمة، والسيئات: واحدها: سيئة، وهى الفعلة التى تسوء صاحبها عاجلا أو آجلا، والمراد بها هنا: الصغيرة.  
نكفر: نغفر ونمح.

مدخلا كريما، أى: مكانا كريما وهو الجنة.

#### تمهيد:

بعد أن نهى سبحانه عن أكل أموال الناس بالباطل، وعن قتل النفس، وهما أكبر الذنوب المتعلقة بحقوق العباد، وتوعد فاعل ذلك بأشد العقوبات، نهى عن جميع الكبائر التى يعظم ضررها، وتؤذن بضعف إيمان مرتكبها، ووعد من تركها بالمدخل الكريم.

#### التفسير:

٣١ - إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ. أى: إن تتركوا جانباً كبائر ما ينهواكم عنها، فإني أزيل عنكم سيئاتكم بها. الله عنه ارتكابه من الذنوب والآثام؛ نمح عنكم صفاتها فلا نؤاخذكم بها.

وقد اختلف فى عدد الكبائر فقليل: هى سبع؛ لما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هى يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، والسحر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربوا، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»<sup>(٤)</sup>، وفى رواية لهما عن أبى بكره قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم

بأكبر الكبائر» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس وقال - ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها: حتى قلنا: ليته سكت»<sup>(١)</sup>.

وفيهما أيضا من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يعلن الرجل والديه، وقالوا: وكيف يعلن الرجل والديه؟! قال: يسب أباه، ويسب أمه؛ فيسب أمه»<sup>(٢)</sup>.

والأحاديث الصحيحة مختلفة في عددها، ومجموعها يزيد على سبع؛ ومن ثم قال ابن عباس لما قال له رجل: الكبائر سبع. قال: هي إلى سبعين أقرب. إذ لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار، ومراده: أن كل ذنب يرتكب لعارض يعرض على النفس من استشاطه غضب أو ثورة شهوة، وصاحبه متمكن من دينه، يخاف الله ولا يستجلب محارمه، فهو من السيئات التي يكفرها الله تعالى، إذ لولا ذلك العارض القاهر للنفس؛ لم يكن ليجترحه تهاونا بالدين، إذ هو بعد اجتراحه يندم ويتألم ويتوب ويرجع إلى الله تعالى، ويعزم على عدم العودة إلى اقتراف مثله؛ فهو إذ ذاك أهل لأن يتوب الله عليه، ويكفر عنه.

وكل ذنب يرتكبه الإنسان مع التهاون بالأمر وعدم المبالاة ينظر الله إليه، ورؤيته إياه حيث نهاه، فهو مهما كان صغيرا في صورته، أو في ضرره، يعد كبيرا من حيث الإصرار والاستهتار، فتطيف الكيل والميزان ولو حبة لمن اعتاده، والهمز واللمز (عيب الناس والطعن في أعراضهم) - لمن تعود - كل ذلك كبيرة ولا شك.

وكان النبي ﷺ يذكر في كل مقام ما تمس إليه الحاجة، ولم يرد الحصر والتحديد.

وقال بعض العلماء: الكبيرة كل ذنب رتبَّ عليه الشارع حداً أو صرح فيه بوعيد.

وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا. أَيْ: وَنُدْخِلْكُمْ مَكَانًا لَكُمْ فِيهِ الْكَرَامَةُ عِنْدَ رَبِّكُمْ وَهِيَ الْجَنَاتُ الَّتِي تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَرْضُ كَرِيمَةٍ، وَأَرْضُ مَكْرَمَةٍ، أَيْ: طَيِّبَةٌ جَيِّدَةُ النَّبَاتِ، قَالَ تَعَالَى:

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. (الشعراء: ٥٧، ٥٨)

﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّا لِلَّهِ كَانُ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

## المفردات:

التمنى: تشهى حصول الزمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون.  
من فضله: أى: إحسانه ونعمه المتكاثرة.

## تمهيد:

بعد أن نهى سبحانه عن أكل الأموال بالباطل، وعن القتل، وتوعد فاعلهما بالويل والثبور، وهما من أفعال الجوارح: ليصير الظاهر طاهرا من المعاصى الوخيمة العاقبة - نهى عن التمنى، وهو التعرض لها بالقلب حسدا؛ لتطهر أعمالهم الباطنة فيكون الباطل موافقا للظاهر، ولأن التمنى قد يجر إلى الأكل، والأكل قد يقود إلى القتل، فإن من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

## التفسير:

٣٢ - وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ.

أى: إن الله كلف كلا من الرجال والنساء أعمالا فما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركون فيه النساء، وما كان خاصا بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركن فيه الرجال وليس لأحدهما أن يتمنى ما هو مختص بالآخر وقد أراد الله أن يختص النساء بأعمال البيوت، والرجال بالأعمال الشاقة التى فى خارجها؛ ليتقن كل منهما عمله، ويقوم بما يجب عليه مع الإخلاص.

وعلى كل منهما أن يسأل ربه الإعانة والقوة على ما نيط به من عمل، ولا يجوز أن يتمنى ما نيط بالآخر، ويدخل فى هذا النهى تمنى كل ما هو من الأمور الخلقية كالعقل والجمال؛ إذ لا فائدة فى تمنيتها لمن لم يعطها، ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الإنسان من الأمور الكسبية؛ إذ يحمى من الناس أن ينظر بعضهم إلى ما نال الآخرون ويتمنوا لأنفسهم مثله أو خيرا منه بالسعى والجهد.

والخلاصة: أنه تعالى طلب إلينا أن نوجه الأنظار إلى ما يقع تحت كسبنا، ولا نوجهها إلى ما ليس فى استطاعتنا، فإنما الفضل بالأعمال الكسبية، فلا تتمنوا شيئا بغير كسبكم وعملكم.

فعلى المسلم أن يعتمد على مواهبه وقواه في كل مطالبه، بالجد والاجتهاد مع رجاء فضل الله فيما لا يصل إليه كسبه إما للجهل به وإما للعجز عنه فالزارع يجتهد في زراعته ويتبع السنن والأسباب التي سنّها الله لعمله، ويسأل الله أن يمنع الآفات والجوائح عنه ويرفع أثمان غلاته إلى نحو أولئك مما هو بيد الله.

روى عكرمة: أن النساء سألن الجهاد فقلن: وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال؛ فنزلت: **وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**. أي: لا تتمنوا نصيب غيركم، ولا تحسدوا من فضل الله عليكم واسألوا الله من إحسانه وإنعامه؛ فإن خزائنه مملوءة لا تنفد، روى أنه ﷺ قال: «سألو الله من فضله؛ فالله يحب أن يسأل وإن من أفضل العبادات انتظار الفرج».

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. وبذا فضل بعض الناس على بعض بحسب مراتب استعدادهم، وتفاوت اجتهادهم في معترك الحياة، ولا يزال العاملون يستزيدونه ولا يزال ينزل عليهم من جوده وكرمه ما يفضلون به القاعدين الكسالى حتى بلغ التفاوت بين الناس في الفضل حدا بعيدا، وكاد التفاوت بين الشعوب أن يكون أبعد من التفاوت بين بعض الحيوان وبعض الإنسان.

★ ★ ★

﴿ **وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَنَأُوهُمْ تَصَدِّبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٣٢** ﴾

المضدرات:

الموالى: من يحق لهم الاستيلاء على التركة، مما ترك. أي: وارثين مما ترك، والَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ. هم الأزواج، فإن كلا من الزوجين له حق الإرث بالعقد، والمتعارف عند الناس في العقد أن يكون بالمصافحة باليدين، قاله أبو مسلم الأصفهاني.

تمهيد:

بعد أن نهى سبحانه عن أكل أموال الناس بالباطل، وعن تمنى أحد ما فضل الله به غيره عليه من المال؛ حتى لا يسوقه التمنى إلى التعدي، وهو وإن كان نهيا عاما فالسياق يعين المراد منه، وهو المال؛ لأن أكثر التمنى يتعلق به ثم ذكر القاعدة العامة في حيازة الثروة وهى الكسب؛ انتقل إلى نوع آخر تأتي به الحيازة وهو الإرث.

## التفسير:

٣٣ - وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ . أَى: إن لكل من الرجال الذين لهم نصيب مما اكتسبوا، ومن النساء المواتى لهن نصيب مما اكتسبن، موالى لهم حق الولاية على ما يتركون من كسبهم.

ثم بين هؤلاء الموالى فقال:

الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ . أَى: إن هؤلاء الموالى هم جميع الورثة من الأصول، والفرع، والحواشى، والأزواج.

فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ . أَى: فأعطوا هؤلاء الموالى نصيبهم المقدر لهم ولا تنقصوهم منه شيئا.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا . أَى: إن الله رقيب شاهد على تصرفاتكم فى الذركة وغيرها، فلا يطمعن من بيده المال أن يأكل من نصيب أحد الورثة شيئا، سواء أكان ذكرا أم أنثى، كبيرا أم صغيرا. وجاءت هذه الآية: لمنع طمع الوارثين فى بعض.

★ ★ ★

## قوامه الرجال

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ حِفْظُ اللَّهِ وَاللَّيْئِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ۖ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ۚ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنَ أَهْلِهِ ۖ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا ۚ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

## المضردات:

يقال: هذا قِيم المرأة وقوامها؛ إذا كان يقوم بأمرها ويهتم بحفظها وما به الفضل قسامان: فطرى؛ وهو قوة مزاج الرجل وكماله فى الخلقة، ويتبع ذلك قوة العمل وصحة النظر فى مبادئ الأمور



وغاياتها، وكسبى: وهو قدرته على الكسب والتصرف فى الأمور، ومن ثم كلف الرجال بالإنفاق على النساء والقيام برياسة المنزل.

**التقنوت:** السكون والطاعة لله وللأزواج.

**الحافظات للغييب:** أى: اللاتى يحفظن ما يغيب عن الناس، ولا يقال إلا فى الخلو بالمرأة.

**تخافون:** أى: تظنون.

**نشزت الأرض:** ارتفعت عما حوالىها، ويراد بها هنا: معصية الزوج والترفع عليه.

**اليفى:** الظلم وتجاوز الحد.

**الشقاق:** الخلاف الذي يجعل كلا من المختلفين فى شق: أى: جانب، وخوفه توقع حصوله بظهور أسبابه.

**الحكم:** من له حق الحكم والفصل بين الخصمين، ويعث الحكمين: إرسألهما إلى الزوجين؛ لينظرا فى شكوى كل منهما، ويتعرفا ما يرجى أن يصلح بينهما.

### تمهيد:

لما نهى سبحانه كلا من الرجال والنساء عن تمنى ما فضل الله به بعضهم على بعض، وأرشدهم إلى الاعتماد فى أمر الرزق على كسبهم وأمرهم أن يؤتوا الوارثين أنصبتهم، وفى هذه الأنصبة يستبين تفضيل الرجال على النساء - ذكر هنا أسباب التفضيل.

٣٤ - الرَّجَالُ قَرَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ. الرجال

لهم حق الصيانة والرعاية للنساء، والقيام بشئونهن؛ بما أعطاهم الله من صفات تهيئهم للقيام بهذا الحق، فقد خص الله الرجال بأمر منها:

الإمامة، والولاية، والميراث، والشهادة، والجهاد، والجمعة، والجماعات، وولاية الزوج على زوجته وولاية رعاية ومودة ورحمة لا ولاية غلظة ورهبة، كما أن ولاية الزوج على زوجته، تهيئ للزوجة الاستقرار فى البيت ورعاية شئون الأسرة.

والرجل أقدر - بطبيعته - على السعى والكدح فى سبيل تحصيل رزقه، ورزق أسرته؛ ليهيئ لها حياة سعيدة هانئة.

### النساء قسامان:

قسم يفهم ويقدر قوامه الرجل على المرأة، فيلتزم بما أمر الله وهن الصالحات؛ فالصالحات مطيعات لله ولأزواجهن، حافظات لكل ما يغيب عن أزواجهن بسبب أمر الله بهذا الحفظ وتوفيقه لهن فى القيام بواجبهن، وهن يحفظن على الأزواج أموالهم وأعراضهم فى جميع الحالات.

أما القسم الثانى من النساء:

فهو قسم مكابر يرغب فى التعالى والخروج عن طاعة الزوج وقد شرع الإسلام العلاج لهذا النوع من النساء على النحو الآتى:

١ - الوعظ والإرشاد، والتوجيه، والتذكير بما أمر الله ورسوله من طاعة الزوج، والتزام أمره، والتحذير من شماتة الأعداء وتصدع شمل الأسرة.

٢ - الهجر والإعراض فى المضجع ويتحقق ذلك بهجرها فى الفراش مع الإعراض والصد.

٣ - الضرب اليسير غير المبرح، وهو ما كان بنحو سواك أو عصا صغيرة. وهو أمر معنوى أكثر منه حسى.

وهو خاص ببعض النساء ومن لا تستقيم بالوعظ ولا بالهجر، ويجب ألا يكون الضرب قاسياً ولا شديداً. وبعض الناس لا يتقبل عقوبة الضرب. ونحن نشاهد هذه العقوبة فى الجيش وفى غيره!.

وليست هذه العقوبة لجميع الناس، بل لغنة جاحدة لا تريد أن تخضع لقانون الله ولا أن تلتزم بشئون الأسرة.

فَإِنْ أَطَعْتُمْكُمُ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا. أى: فَإِنْ أَطَعْتُمْكُمُ بواحدة من هذه الخصال التآديبية؛ فلا تبغوا ولا تتجاوزوا ذلك إلى غيرها، فابدعوا بما بدأ الله من الوعظ، فإن لم يقد فبالهجر، فإن لم يقد فبالضرب الخفيف غير مبرح ولا مهين، عند التمرد، فإذا لم يخن فليلجأ إلى التحكيم، ومتى استقام لكم الظاهر فلا تبحثوا عن السرائر.

إن الله فوقكم وينتقم منكم إذا أنيتموهن أو بغيتن عليهن ونلمح أن فى نهاية الآية تهديداً ووعيداً لكل من يتكبر على زوجته، أو ينتهز الفرصة لإذلالها والعدوان عليها، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإذا دفعتمك قوتك إلى ظلم غيرك؛ فتذكر قدرة الله عليك وفى الحديث القدسى: «يا عبادى؛ إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا».

ويقول الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا      الظلم شيمته يفضى إلى الندم  
تنام عيناك والمظلوم منتبه      يدعوك عليك وعين الله لم تنم

٣٥ - وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنِيهِمَا فَأَبْغُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهِنَّ ...

المعنى:

وإن علمتم أن بين الزوجين شقاقاً قد استفحل خطره؛ فوجهوا إليهما حكماً من أهل الزوج، وحكماً من أهل الزوجة؛ لينظرا فيما بينهما من نزاع وشقاق فإذا خلصت نية الحكمين، وقصداً بصدق إلى التوفيق بين الزوجين؛ وفقهما الله تعالى إلى إزالة أسباب الخلاف والشقاق.

وينبغي أن نختار الحكيمين من أهل الخبرة والحكمة والصلاح والمعرفة بشئون الصلح: لنحفظ البيوت والأسر من التصدع والأطفال من التشرد. فالإسلام حريص على دعم الأسرة وقيامها على العودة والرحمة والألفة كما أن الإسلام أمر بالصبر والصفح، وحسن الخلق والعشرة بالمعروف بين الزوجين.

★ ★ ★

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا وَالْبَوْلِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ  
السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾  
الَّذِينَ يَبِخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءَ آتِهِمْ اللَّهُ  
مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ  
رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ  
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ  
بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

#### المضردات:

عبادة الله: الخضوع له، والاستشعار بتعظيمه في السر والعلن بالقلب والجوارح، والإخلاص له بالاعتراف بوحدانيته؛ إذ لا يقبل عملا بدونها.

الإحسان إلى الوالدين، قصد البر بهما بالقيام بخدمتهما، والسعى في تحصيل مطالبهما، والإنفاق عليهما بقدر الاستطاعة، وعدم الخشونة في الكلام معهما.

ذو القربى: صاحب القرابة من أخ، وعم، وخال، وأولاد هؤلاء.

الجار ذي القربى: هو الجار القريب الجوار.

الجار الجنب: هو البعيد القرابة.

الصاحب بالجنب: الرفيق في السفر، أو المنقطع إليك، الراجي نفعك ورفدك.

ابن السبيل: هو المسافر أو الضيف.

ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ: عبيدكم وإماءكم.

المختال: ذو الخيلاء والكبر.

الشيخور، الذى يعدد محاسنه: تعاطفا وتكبرا.

أصتدنا، هيأنا وأعدنا.

المهيين: ذو الإهانة والذلة

رثاء الناس، أى: للمراءة والفخر بما فعل.

القريين، صاحب الخليل . وَمَاذَا عَلَيْهِمْ . أى ضرر يحق بهم لو آمنوا وأنفقوا ؟

تمهيد:

كان الكلام من أول السورة فى وصايا ونصائح، كابتلاء اليتامى قبل تسليمهم أموالهم، والنهى عن إيتاء الأموال للسفهاء، وعن قتل النفس، والإرشاد إلى كيفية معاملة النساء، وطرق تأديبهن تارة بالموعظة الحسنة وأخرى بالقسوة والشدة، مع مراقبة الله عز وجل فى كل ذلك.

فناسب بعدئذ التذكير بحسن معاملة الخالق بالإخلاص له فى الطاعة، وحسن معاملة الطوائف المختلفة من الناس، وعدم الضن عليهم فى أوقات الشدة بالمال، مع قصد التقريب إلى الله لقصد الفخر والخيلاء.

-التفسير:

٣٦ - وَعِبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ .

هذه آية تأمر بمكارم الأخلاق وهى سبيل من سبل التكافل والتراحم بين المسلمين.

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . أى: وحدوا الله وأخلصوا له العبادة، ولا تشركوا به صنما أو غيره؛ فهو سبحانه صاحب الفضل والنعمة، وهو الذى خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور.

كما أمر الله بالإحسان إلى الوالدين ورعايتهما خصوصا فى مرحلة الكبر والشيخوخة.

كما أمر بصلة الرحم، والإحسان إلى الأقارب، والتجاوز عن هفواتهم، كما أمر برعاية اليتيم والإحسان إليه؛ لأنه فقد أباه فيجب أن يرعاه المجتمع ويحنو عليه، كما أمر برعاية المسكين المحتاج بأن نيسر له العمل والنصح ويشمل ذلك إنشاء الملاجئ، والمستشفيات، ودور الحضانه، ودروس تقوية التلاميذ، وإنشاء صندوق لرعاية المحتاجين. وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ .

أى: أحسنوا إلى الجار الذى قرب مكانا أو ديننا أو نسبا، وإلى الجار البعيد مكانا أو ديننا أو نسبا.

جاء فى تفسير ابن كثير :

قال ابن عباس: وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى . يعنى: الذى بينك وبينه قرابة، وَالْجَارِ الْجُنُبِ . الذى ليس

بينك وبينه قرابة.

وروى ابن جرير أن الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى . يعنى: الجار المسلم، الْجَارِ الْجُنُبِ . يعنى: اليهودى

والنصرانى، وقال مجاهد: الْجَارِ الْجُنُبِ . الرفيق فى السفر.

وقد وردت الأحاديث بالصواب بالجار منها ما رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار؛ حتى ظننت أنه سيورثه»<sup>(٣)</sup>.

وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ. عن علي وابن مسعود قالوا: هي المرأة، وقال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق في السفر، وقال الطبري والزمخشري: وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ. «هو الذي صحبك إما رفيقا في سفر، أو جارا ملاصقا، أو شريكا في تعلم علم، أو قاعدا إلى جنك في مجلس أو غير ذلك، ممن له أدنى صحبة التأمّت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه». وَابْنِ السَّبِيلِ. أي: المسافر الغريب الذي انقطع عن بلده وأهله، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. أي: المماليك من العبيد والإماء، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا. أي: متكبرا في نفسه يأنف عن أقاربه وجيرانه فخورا على الناس يرى أنه خير منهم.

قال ابن جرير عن أبي رجاء الهروي: لا تجد سيئ الملكة إلا وجدته مختالا فخورا، ولا عاقا إلا وجدته جبارا شقيا ثم تلا: وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا. (مريم: ٣٢)

٣٧ - الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ... وَضَحَّتِ الْآيَةُ المختال الفخور وهو المتكبر الذي لا يشكر الله على نعمه.

#### ومعنى الآية:

الذين يبخلون بأموالهم؛ فلا ينفقونها في وجوه البر والإحسان ولا يكتفون بهذا بل يأمرون غيرهم بالبخل ويحرضونهم عليه، ويخفون ما أنعم الله به عليهم؛ حتى لا يطمع الناس في أموالهم وإحسانهم. وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا. أي: وأعدنا للكافرين عذابا مخزيا مذلا لكبرياتهم وساماهم الله كفارا؛ للإيدان بأن هذه الأخلاق وأعمال لا تصدر إلا من الكفور لا من الشكور.

٣٨ - وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ. أي: ولا يحب الله - كذلك - الذين ينفقون أموالهم للرياء وللسمعة، لا شكرا لله على نعمه، ولا اعترافا بما أوجب الله عليهم من حق في أموالهم. ولا يصدقون بوقوع اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب؛ لأنهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر؛ لتحروا مرضاة الله، ولما رأوا أحدا أبدا.

وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانَ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا. أي: ومن يكن الشيطان له صاحباً فبئس هذا صاحب صاحباً؛ لأنه يضلّه ويقوده إلى الهلاك.

والآية تشير إلى أن البخيل والمتكبر ما حملهم على ما فعلوا إلا وسوسة الشيطان وهو بئس صاحب والخليل.

٣٩ - وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا.

الاستفهام هنا للتعجب والإنكار. أى: وما الذى كان يصيبهم لو آمنوا بالله إيماناً صحيحاً يظهر أثره فى العمل، وفى هذا الأسلوب إثارة تعجيب الناس من حالهم، إذ هم لو أخلصوا: لما فاتتهم منفعة الدنيا ولغافوا مع ذلك بسعادة العقبى: فكتيرا ما يفوت المرأتى ما يرمى إليه من التقرب إلى الناس وامتلاك قلوبهم، ويظفر بذلك المخلص الذى لم يكن من همه أن أحدا يعرف ما عمل، فيكون الأول قد رجح بخفى حنين فى حين أن الثانى فاز بسعادة الدارين.

وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا. فينبغى للمؤمن أن يكتفى بعلم الله فى إنفاقه ولا يبالى بعلم الناس، فهو سبحانه الذى لا ينسى عمل العاملين ولا يظلمهم من أجرهم شيئا.

★ ★ ★

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤٢﴾ يَوْمَئِذٍ يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٣﴾﴾

المضردات:

المِثْقَال: أصله المقدار الذى له ثقل مهما قل، ثم أطلق على المعيار المخصوص للذهب وغيره. المِثْرَة: أصغر ما يدرك من الأجسام ومن ثم قالوا: إنها النملة، أو رأسها، أو الخردلة، أو الهباء (ما يظهر فى نور الشمس الداخلى من الكوة).

ولذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أدخل يده فى التراب ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة!

الظلم: النقص كما قال تعالى: كَلْنَا الْحَبَّتَيْنِ ءَأَتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ نَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا. ومن لدنه: من عنده. الحديث: الكلام.

تمهيد:

بعد أن بين عز اسمه صفات المتكبرين وسوء أحوالهم، وتوعدهم على ذلك بأشد أنواع الوعيد، زاد الأمر توكيدا وتشديدا فنذكر أنه لا يظلم أحدا من العاملين بوصاياهم لا قليلا ولا كثيرا، بل يوفيه حقه بالقسطاس المستقيم، وفى هذا أعظم الترغيب لفاعلى البر والإحسان وحفز لهممهم على العمل، وفى معنى الآية قوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.

## التفسير:

٤٠ - إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ. أَيْ: إِنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْقُصُ أَحَدًا مِنْ أَجْرِ عَمَلِهِ وَالْجَزَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا مَا وَإِنْ صَغُرَ كَثْرَةُ الْهَبَاءِ: بَلْ يُوَفِّيهِ أَجْرَهُ، كَمَا لَا يَعْاقِبُهُ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ لِلْعُقُوبَةِ، إِذْ إِنْ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ تَابِعَانِ لِتَأْتِيْرِ الْأَعْمَالِ فِي النَّفْسِ بِتَرْكِهَا أَوْ تَدْسِيَّتِهَا: فَالْعَمَلُ يَرْفَعُهَا إِلَى أَعْلَى عَلِيَيْنِ أَوْ يَهْبِطُ بِهَا إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِيْنَ، وَلِذَلِكَ دَرَجَاتٌ وَمَثَاقِيلٌ مَقْدَرَةٌ فِي نَفْسِهَا لَا يَحِيْطُ بِدَقَائِقِهَا إِلَّا مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

والخلاصة: إن الظلم لا يقع من الله تعالى؛ لأنه من النقص الذي يتنزه عنه وهو ذو الكمال المطلق والفضل العظيم، وقد خلق للناس مشاعر يدركون بها ما لا يدركه الحس، وشرع لهم من أحكام الدين وأدابه ما لا تستقل عقولهم بالوصول إلى مثله في هدايتهم وحفظ مصالحهم، وهى تسوق إلى الخير وتصرف عن الشر وأيدها بالوعد والوعيد، فمن وقع بعد ذلك فيما يضره ويؤذنه كان هو الظالم لنفسه؛ لأن الله لا يظلم أحدا.

وَأَنَّ تِلْكَ حَسَنَةٌ يُضَاعَفُهَا. أَيْ: إِنَّهُ تَعَالَى مَعَ كَوْنِهِ لَا يَنْقُصُ أَحَدًا مِنْ أَجْرِ عَمَلِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ يَزِيدُ لِلْمَحْسَنِ فِي حَسَنَاتِهِ، فَالْحَسَنَاتُ جَزَاؤُهَا بِقَدْرِهَا، وَالْحَسَنَاتُ يُضَاعَفُ اللَّهُ جَزَاءَهَا عَشْرَةَ أَضْعَافٍ أَوْ أَضْعَافًا كَثِيرَةً كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ. (الأنعام: ١٦٠). وقال: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً. (البقرة: ٢٤٥).

وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا. أَيْ: إِنَّهُ تَعَالَى لَوَاسِعَ فَضْلِهِ لَا يَكْتَفِي بِجَزَاءِ الْمُحْسِنِينَ عَلَى إِحْسَانِهِمْ، بَلْ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَيُعْطِيهِمْ مِنْ لَدُنْهِ عَطَاءً كَبِيرًا، وَسُمِّيَ هَذَا عَطَاءً أَجْرًا وَلَا مِقَابِلَ لَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ: لِأَنَّهُ لَمَا كَانَ تَابِعًا لِلْأَجْرِ عَلَى الْعَمَلِ سُمِّيَ بِاسْمِهِ لِمَجَاوِرَتِهِ لَهُ، وَفِي ذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِغَيْرِ الْمُحْسِنِينَ، إِذْ هُوَ عِلَاوَةٌ عَلَى أَجْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَلَا مَطْعَمَ لِلْمَسِيئِينَ فِيهِ.

٤١ - فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا. أَيْ: إِذَا كَانَ لِلَّهِ لَا يُضَيِّعُ مِنْ عَمَلِ الْعَامِلِينَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ النَّاسُ إِذَا جَمَعَهُمُ اللَّهُ وَجَاءَ بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ أَنْبِيَاؤُهُمْ؟ فَمَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا لَهَا بِشِيرٌ وَنَذِيرٌ.

وهذه الشهادة عبارة عن عرض أعمال الأمم على أنبيائهم (لا فرق بين اليهود والنصارى والمسلمين) ومقابلة عقائدهم، وأخلاقهم، وأعمالهم بعقائد الأنبياء، وأعمالهم، وأخلاقهم، فمن شهد لهم بينهم بأنهم على ما جاء به وما أمر الناس بالعمل به؛ فهم ناجون، ومن تبرأ منهم أنبياؤهم لمخالفة أعمالهم وعقائدهم لما جاءوا به؛ فأولئك هم الخاسرون وإن ادعوا اتباعهم والانتماء إليهم.

وقوله: وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا. يراد به شهادة محمد ﷺ - خاتم المرسلين - على أمته كما قال تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. أى: إن هذه الأمة بحسن سيرتها؛ تكون شاهدة على الأمم السالفة وحجة عليها فى انحرافها عن هدى المرسلين، والرسول ﷺ بسيرته وأخلاقه الغالية وسننه المرضية؛ يكون حجة على من تركها وتساهل فى اتباعها، وعلى من تخالى فيها وابتدع البدع المحدثه من بعده.

روى البخارى، والترمذى، والنسائى وغيرهم من حديث ابن مسعود أنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ على. قلت: يا رسول الله اقرأ عليك، عليك أنزل؟! قال: نعم أحب أن أسمعه من غيرى، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ... إلخ، فقال: «حسبك الآن» فإذا عيناه تدرقان! «<sup>(٨)</sup>.

فانظر كيف اعتبر بهذه الشهادة الشهيد الأعظم ﷺ فبكى لتذكر هذا اليوم، وهل نعتبر كما اعتبر ونستعد لهول ذلك اليوم؛ باتباع سنته ونجتهد فى اجتناب البدع والتقاليد التى لم تكن فى عهد؛ وبذا نكون أمة وسطا لا تفرط عندها فى الدين ولا إفراط، لا فى الشئون الجسمية ولا فى الشئون الروحية، أو نظل فى غوايتنا، تقليدا للأباء؛ لنكون كما قال الكافرون: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. (الزخرف: ٢٢)

٤٢ - يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ. أى: إذا جاء ذلك اليوم الذى نأتى فيه بشهيد على كل أمة، يتمنى الذين كفروا وعصوا الرسول فلم يتبعوا ما جاء، أن يصيروا ترابا تسوى بهم الأرض؛ فيكونوا وإياها سواء كما قال تعالى: فى سورة النبأ: ... وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا. (النبأ: ٤٠)

وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا. أى: أنهم يودون لو يكونون ترابا فتسوى بهم الأرض ولا يكونون قد كتموا الله وكذبوا أمامه على أنفسهم بإنكار شركهم وضلالهم كما قال تعالى: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ \* ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتِهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ \* انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون. (الأنعام: ٢٢-٢٤)، أى: فهم حينئذ يكذبون وينكرون شركهم إما اعتقادا منهم أن ما كانوا عليه ليس بشرك، وإما هو استشفاع وتوصل، وإما مكابرة وظنا أن ذلك يجديهم ويدفع عنهم العذاب، فيشهد عليهم الأنبياء المرسلون أنهم لم يكونوا متبعين لهم فيما أحدثوا من شركهم، بل كانوا مبتدعين ذلك من عند أنفسهم، فقد قاسوا ربهم على ملوكهم الظالمين وأمرائهم المستبدين الذين يتركون عقاب بعض المسيئين بشفاعة المقربين، فإذا شهدوا عليهم تمنوا لو كانوا قد سويت بهم الأرض وما افتروا ذلك الكذب.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمْ تُسْمِعُوا النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾

## المفردات :

الفائض: المنخفض من الأرض كالوادي، وأهل البادية والقرى الصغيرة يقصدونه عند قضاء الحاجة؛ للستر والاستخفاء عن الناس.

ملامسة النساء: الإفضاء إليهن.

تيمموا: اقتصوا.

الصعيد: وجه الأرض.

الطيب: الطاهر.

العفور: ذو العفو، والعفو عن الذنب: محوه وجعله كأن لم يكن.

المغفور: ذو المغفرة.

المقضرة: ستر الذنوب بعدم الحساب عليها.

## تمهيد:

بعد أن وصف سبحانه الوقوف بين يديه يوم العرض والأحوال التي تؤدي إلى تمنى الكافر: عدم فيقول: يا ليتني كنت ترابا! والتي تجعله لا يستطيع أن يكتفم الله حديثا، وذكر أنه لا ينجو في ذلك اليوم إلا من كان طاهر القلب والجوارح بالإيمان به والطاعة لرسوله، وصف في هذه الآية الوقوف بين يديه في مقام الأنس، وخضرة القدس، المنجى من هول الوقوف في ذلك اليوم، وطلب فيه استكمال القوى العقلية وتوجيهها إلى جانب العلى الأعلى بألا تكون مشغولة بذكرى غير طاهرة من الأنجاس والأخبار؛ لتكون على أتم العدة للوقوف في ذلك الموقف الرهيب، مستشعرة تلك العظمة والجلال والكبرياء.

٤٣ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا.

يأبها الذين آمنوا، لا يحل لكم أن تؤدوا الصلاة وأنتم في حالة السكر؛ حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقولونه قبل أدائها، ولا في حالة الجنابة؛ حتى تغتسلوا ولا تقربوا مواضع الصلاة (وهو المسجد) حال كونكم جنباً إلا في حال عبوركم من جانب إلى جانب.

روى ابن جرير: أن رجلاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممراً إلا في المسجد فأنزل الله تعالى: **وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ**.

**وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا.** أى: وإن كنتم مرضى ويضركم الماء، أو مسافرين، وفي الأسفار يصعب وجود ما يكفي من الماء عادة فقد أباح الله لكم التيمم وهو ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين وكذلك إذا جاء أحدكم من المكان المعد لقضاء الحاجة أو جامعتم النساء فلم تجدوا ماء تنظرون به لفقده؛ فاقصدوا تراباً طيباً كذلك، فاضربوا به أيديكم، وامسحوا برؤوسكم وأيديكم منه؛ إن الله من شأنه العفو العظيم والمغفرة.

وتفيد الآية ما يأتي:

- ١ - يسر الإسلام وسماحته، وتيسير الله على عباده قال تعالى: **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُظَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.** (المائدة: ٦).
- ٢ - من الواجب على المسلم عندما يتهيأ للصلاة أن يتجنب كل ما يتعارض مع الخشوع؛ لأن الصلاة مناجاة وذكر لله، قال تعالى: **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي.** (طه: ١٤).
- ٣ - استدلوا بهذه الآية على أن المسلم منهى عن الصلاة حال النعاس أو ما يشبهه.
- ٤ - التيمم مباح للمسلم عند فقده الماء، أو عند وجود الماء ولكن هناك عارض يمنعه من استعماله كمرض أو نحوه.

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا وَيَحِرُّونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَادْعِنَا لِيَأْتِيَ بِلِسَانِهِمْ وَطَعْنًا فِي الَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

## المضردات :

أَلَمْ تَرَ: أى: ألم تنظر؟

نَصِيحًا: حِظًا.

السَّبِيلَ: الطريق القويم.

وَلِيًّا: أى: يتولى شئونكم.

نَصِيرًا: معينا يدفع شرهم عنكم.

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا: هم: اليهود.

غَيْرَ مَسْمُوعٍ: يحتمل أن يكون المعنى غير مسمع: مكروها، وأن يكون غير مقبول منك

ولا مجاب إلى ما تدعو إليه.

وَادْعِنَا: إما بمعنى: ارقبنا وانظرننا؛ نكلمك، وإما بمعنى: كلمة عبرانية كانوا يتسابون

بها، وهى: (واعينا).

لِيَأْتِيَ بِلِسَانِهِمْ: أى: فقلها بها وتحريفًا.

طَعْنًا فِي الَّذِينَ: قدحًا فيه.

أَقْوَمَ: أعدل وأسد.

إِلَّا قَلِيلًا: أى: إلا قليلا من الإيمان لا يعبا به.

## تمهيد:

بعد أن ذكر الله سبحانه فى سابق الآيات كثيرا من الأحكام الشرعية، ووعده فاعلها بجزيلى الثواب، وأوعده تاركها بشديد العقاب، انتقل هنا إلى ذكر حال بعض الأمم الذين تركوا أحكام دينهم، وحرفوا كتابهم، واشتروا الضلالة بالهدى؛ لينبه الذين خوطبوا بالأحكام المتقدمة إلى أن الله مهيمن

عليهم كما هيمن على من قبلهم، فإذا هم قصروا؛ أخذهم بالعقاب الذي رتبته على ترك أحكام دينه في الدنيا والآخرة، والمؤمنون بالله حقاً بعد أن سمعوا الوعد والوعيد المتقدمين لا بد أن يأخذوا بهذه الأحكام على الوجه الموصول إلى إصلاح الأنفس، وذلك هو الأثر المطلوب منها، ولن يكون ذلك إلا إذا أخذت بصورها ومعانيها، لا بأخذها بصورها الظاهرة فحسب.

وقد اكتفى بعض الأمم من الدين ببعض رسومه الظاهرة فقط كبعض اليهود الذين كانوا يكتفون ببعض القرايين وأحكام الدين الظاهرة، وهذا لا يكفي في اتباع الدين والقيام به على الوجه المصلح للنفوس كما أَرَادَهُ اللهُ.

فأرشدنا سبحانه إلى أن عمل الرسوم الظاهرة في الدين كالغسل، والتيمم لا يغني عنهم شيئاً إذا لم يطهروا القلوب؛ حتى ينالوا مرضاته ويكونوا أهلاً لكرامته، ولا يكون حالهم كحال بعض من سبقهم من الأمم.

٤٤ - أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ.

ألم ينته إلى علمك حال هؤلاء الأخبار من اليهود الذين أعطوا حظاً ومقداراً من علم التوراة؟! إن كنت لم تعلم أحوالهم أو لم تنظر إليهم فهاك خبرهم وتلك هي حقيقتهم، إنهم يشترون الضلالة وهي البقاء على اليهودية، بعد وضوح الآيات لهم الدالة على صحة دين الإسلام، وهم لا يكتفون بتلبسهم بالضلال الذي أشربته نفوسهم، بل يريدون منكم يا معشر المسلمين أن تتركوا دين الإسلام الذي هو السبيل الحق، وأن تتبعوهم في ضلالهم وكفرهم.

٤٥ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَانِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وِليًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا.

الله أعلم بأعدائكم أيها المؤمنون، وقد أخبركم بأحوالهم وبما يبيتون لكم من شرور؛ فاحذروهم، ولا تلتفتوا إلى أفعالهم، وأعدوا العدة لتأديبهم؛ دفاعاً عن دينكم وعقيدتكم، وكفى بالله ولياً يتولى أموركم ويصلح بالكم وكفى بالله نصيراً يدفع عنكم مكربهم، وشركهم فلا تطلبوا ولاية غير ولايته وتكفيكم نصرته؛ فلا تستعينوا بسواه. وعليكم باتباع السنن التي وضعها الله في هذه الحياة، ومنها عدم الاستعانة بالأعداء الذين لا يعملون إلا لمصلحتهم الخاصة.

٤٦ - مَنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَا بِلْسِنَتِهِمْ.

من اليهود فريق يميلون الكلام عن معناه، ويفسرونه بغير مراد الله تعالى كذبا منهم وافتراء وتضليلاً وإنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا. أى: سمعنا قولك، وعصينا أمرك وروى عن مجاهد أنهم قالوا للنبي ﷺ: (سمعنا قولك ولكن لا نطيعك). وكذلك كانوا يقولون له: أَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ.

أى: اسمع كلامنا لا أسمعك الله، فى الموضوع الذى يقول فيه المتأدبون للمخاطبين: **اسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ**.  
أى: لا سمعت مكروها. فاللفظ يسوقونه ومرادهم منه الدعاء عليه ويوهمون أن مرادهم الدعاء له.

ويقولون: **رَاعِنًا**. وهى كلمة تحتمل الخير على معنى: (انظرنا وتمهل علينا نكلمك) وتحتمل الشر على معنى: (راعينا) أى: اشملنا بالرعونة والحقق، أو جعله راعيا من رعاة الغنم.

ومن تحريفهم قولهم: (السام عليكم) أى: الموت عليكم، **لِيَا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ**. أى: صرفا للكلام عن ظاهره إلى إرادة الشتم والسب، وقدحا فى الدين بالاستهزاء والسخرية.

**وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ**. أى: لو أنهم استقاموا وقالوا: **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**. بدل قولهم: سمعنا وعصينا وقالوا: **اسْمِعْ** دون أن يقولوا: **غَيْرَ مُسْمِعٍ**، وقالوا: **انظُرْنَا** بدل **رَاعِنًا** لكان خيرا لهم ما قالوه، وأعدل منه سبيلا ولكن الله طردهم من رحمته؛ بإعراضهم فلا تجد منهم من يستجيبون لداعى الإيمان إلا عددا قليلا.

★ ★ ★

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فِرْدَوْسَ عَالِي آدَابَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

المضردات:

الكتاب: التوراة.

الطمس: إزالة الأثر بمحوه أو إخفائه كما تطمس آثار الدار وأعلام الطرق إما بأن تنقل حجارته، وإما بأن تسفوها الرياح، ومنه الطمس على الأموال فى قوله: **رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ**. (يونس: ٨٨) أى: أزلها وأهلكها، والطمس على الأعين فى قوله: **وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَيَّ أَعْيُنَهُمْ**. (يس: ٦٦) إما إزالة نورها، وإما محو حدقتها.

الوجه: تارة يراد به الوجه المعروف وتارة وجه النفس وهو ما تتوجه إليه من المقاصد كما قال تعالى: **أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ** (آل عمران: ٢٠)، وقال: **وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ** (لقمان: ٢٢)، وقال: **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا**. (الروم: ٣٠).

الأديبار: واحدها: دبر، وهو الخلف والبقا.

الارتداد: هو الرجوع إلى الورا، إما فى الحسيات وإما فى المعانى، ومن الأول: الارتداد والفرار فى القتال ومن الثانى: قوله: **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَيَّ آدَابَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ**. (محمد: ٢٥)

نلعنهم: نهلكهم. **كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ**، أى: كما أهلكنا أصحاب السبت، وقيل: مسخهم الله وجعلهم قردة وخنازير كما أخرجه ابن جرير عن الحسن.

## تمهيد:

بعد أن نعى أهل الكتاب فى الآية السالفة اشتراءهم الضلالة بالهدى بتحريفهم بعض الكتاب وإضاعة بعضه الآخر، أزمهم هنا بالعمل بما عرفوا وحفظوا بأن يؤمنوا بالقرآن؛ ذلك أن إيمانهم بالتوراة يستدعى الإيمان بما يصدقها وحذرهم من مخالفة ذلك، وتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الأمور.

## التفسير:

٤٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ. أى: يأيها اليهود والنصارى، آمنوا بالكتاب الذى جاء مصدقا لما معكم، من تقرير التوحيد والابتعاد عن الشرك، وما يقوى ذلك الإيمان من ترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتلك هى أصول الدين وأركانه والمقصد الأسمى من إرسال جميع الرسل، ولا خلاف بينهم فى ذلك، وإنما الخلاف فى التفاصيل، وطرق حمل الناس عليها وهدايتهم بها، وترقيتهم فى معارج الفلاح بحسب السنن التى وضعها الله فى ارتقاء البشر، بتعاقب الأجيال، واختلاف الأزمان.

مَنْ قَبِلَ أَنْ نَطْمِسَ وَجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا. أى: آمنوا قبل أن يحل بكم العقاب من طمس الوجوه، والرد على الأدبار: أى: من قبل أن نطمس وجوه مصادكم التى توجهتم بها من كيد الإسلام، ونردها خاسرة إلى الوراء بإظهار الإسلام ونصره عليكم، وقد كان لهم عند نزول الآية شىء من المكانة والقوة والعلم والمعرفة.

وجعل بعضهم الرد على الأدبار حسيا فقال: نردهم على أدبارهم بالجلاء إلى فلسطين والشام، وهى بلادهم التى جاءوا منها.

وخلاصة المعنى: آمنوا قبل أن نعى عليكم السبيل بما نبصر المؤمنين بشئونكم ونغريهم بكم، فتردوا على أدباركم بأن يكون سعيكم إلى غير الخير لكم.

أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ النَّبْتِ. أى: آمنوا قبل أن تقعوا فى الخيبة والخذلان وذهاب العزة؛ باستيلاء المؤمنين عليكم وإجلائكم عن دياركم كما حدث لطائفة منكم، أو بالهلاك كما وقع بقتل طائفة أخرى وهلاكها.

ثم مهدهم وتوعدهم فقال:

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. المراد من الأمر: الأمر التكويني المعبر عنه بقوله عز من قائل: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. (يس: ٨٢)، إنما أمره بإيقاع شىء ما نافذ لا محالة، ومن هذا ما أوعدتم به قال ابن عباس: يريد لا راد لحكمه ولا ناقض لأمره، فلا يتعدى عليه شىء يريد أن يفعله، كما تقول فى الشىء الذى لا شك فى حصوله: هذا الأمر مفعول وإن لم يفعل بعد.

والخلاصة: إنه يقول لهم: أنتم تعلمون أن وعيد الله للأمم السالفة قد وقع ولا محالة؛ فاحترسوا وكونوا على حذر من وعيده لكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْرِفُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ  
إِنَّمَا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرِيكُم مِّنْ شِئْءٍ وَلَا يَظْلُمُونَ  
فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِتْمَانًا مَّيِّنًا ﴿٥٠﴾﴾

## المضردات:

يقال: افترى فلان الكذب؛ إذا اعتمله واختلقه، وأصله من الفَرَى، بمعنى: القطع، وتزكية النفس: مدحها، قال تعالى: فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى . (محمد: ٢٢) والظلم: النقص، والفتيل: ما يكون في شق نواة التمر مثل: الخيط، وبه يضرب المثل في الشيء الحقيق كما يضرب بمثقال الذرة، قال الراغب: الإثم والآثام: اسم للأفعال المبطئة عن الثواب: أى: من الخيرات التي يثاب المرء عليها وقد يطلق الإثم على ما كان ضاراً.

## تمهيد:

بعد أن هدد سبحانه اليهود على الكفر، وتوعدهم عليه بأشد الوعيد كطمس الوجوه والرد على الأدبار، ثم بين أن ذلك الوعيد واقع لا محالة بقوله: وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا.

ذكر هنا أن هذا الوعيد وشديد التهديد إنما هو لجريمة الكفر، فأما سائر الذنوب سواء فإلها قد يغفرها ويتجاوز عن زلاتها.

أخرج ابن المنذر عن أبي مجلز قال: لما نزل قوله تعالى: فُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. (الزمر: ٥٣) قام النبي ﷺ على المنبر فتلاها على الناس، فقام إليه رجل فقال: والشرك بالله، فسكت، ثم قام إليه فقال: يا رسول الله والشرك بالله تعالى فكست مرتين أو ثلاثاً فنزلت هذه الآية:

٤٨ - إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْرِفُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.

بعد أن عدد مثالب اليهود، بين أنهم إذا دخلوا في الإسلام واتبعوا طريق الإيمان، غفر الله لهم كما يغفر سبحانه لكل مؤمن.

والمعنى: إن الله لا يغفر لكافرات على كفره، ويغفر ما دون الكفر من الذنوب والمعاصي لمن يشاء أن يغفر له إذا مات من غير توبة، فمن مات من المسلمين بدون توبه من الذنوب التي اقترفها فأمره مفوض إلى الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه وأدخله الجنة.

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا. أى: ومن يجعل لغير الله شركة مع الله قيوم السموات والأرض - سواء أكانت الشركة بالإيجاد أو بالتحليل والتحرير - فقد اخترع ذنبا عظيم الضرر تستصغر فى جنب عظلمته جميع الذنوب والأقام فهو جدير بألا يغفر، وما دونه قد يمحق بالغفران.

٤٩ - أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يَزَكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ قَيْلًا.

ألم ينته علمك يا محمد إلى هؤلاء الذين يثنون على أنفسهم ويمدحونها بما ليس فيهم مدعين أنهم على الحق، والله وحده هو الذى يعلم الخبيث من الطيب فيزكى من يشاء، ولا يظلم أى إنسان قدره مهما كان ضئيلا.

روى ابن جرير عن الحسن أن الآية نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. (المائدة: ١٨).

جاء فى تفسير المراعى ... وفى الآية موضعان من العبرة:

١ - أن الله يجزى عامل الخير بعمله ولو مشركا؛ لأن لعمله أثرا فى نفسه يكون مناط الجزاء. فيخفف عذابه عن عذاب غيره كما ورد فى الأحاديث: إن بعض المشركين، يخفف عنهم العذاب بعمل لهم، فحاتم الطائى بكرمه، وأبو طالب بكفالاته النبى ﷺ ونصره إياه، وأبو لهب لعنته جاريتة ثوبية حين بشرته بمولد النبى ﷺ.

٢ - أن يحذر المسلمون الغرور بدينهم كما كان أهل الكتاب فى عصر التنزيل وما قبله، وأن يبتعدوا عن تزكية أنفسهم بالقول واحتقار من عداهم من المشركين، وأن يعلموا أن الله لا يحابى فى نظم الخليفة أحدا لا مسلما ولا يهوديا ولا نصرانيا<sup>(٥)</sup>.

٥٠ - انظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا.

أى: انظر كيف يكذبون على الله بتزكية أنفسهم وزعمهم أن الله يعاملهم معاملة خاصة بهم، لا كما يعامل سائر عباده وكفى بالكذب على الله ذنبا واضحا يكشف عن خبيث طويتهم.



## سقطات اليهود

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن يَحْدِلَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلَكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّعْنَهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾

## المضردات:

**بِالْجِبْتِ**، الجبت: كل ما عبد من دون الله، ويطلق أيضا على الكاهن، والساحر، والسحر.  
**الطَّاغُوتِ**، الطاغوت، كثير الطغيان، ويطلق على كل رأس فى الضلال يصرف عن طريق الخير، ويفرئ بالشر.

**نَصِيرًا**، النقيير فى الأصل: هو النقرة التى تكون فى ظهر النواة. ويضرب به المثل فى القلة والضآلة، فالمراد به: أقل القليل.

**يَحْسُدُونَ النَّاسَ**، الحسد: تمنى زوال نعمة الغير.

**الْحِكْمَةَ**، العلم النافع، أو النبوة.

**صَدَّعْنَهُ**، انصرف عنه، وأعرض.

**سَعِيرًا**، نارا مسعرة يعذبون فيها.

## التفسير:

٥١ - أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ... الآية

روى ابن أبى حاتم، عن عكرمة: أن حى بن أخطب، وكعب بن الأشرف اليهوديين، خرجا إلى مكة فى جماعة من اليهود؛ ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله ﷺ، وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه؛ فقال لهم كفار قريش: أنتم أهل كتاب، وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا، فلا نأمن مكرمكم؛ فاسجدوا لآلهتنا، حتى نطمئن إليكم.. ففعلوا.

فهذا إيمانهم بالجبوت والطاغوت؛ لأنهم سجدوا للأصنام، وأطاعوا إبليس فيما فعلوا. وقال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب، وتعلم، ونحن أميون لا نعلم. فأينا أهدى سبيلاً: نحن أم محمد؟ فقال: ماذا يقول محمد؟ قال: يأمر بعبادة الله وحده، وينهى عن الشرك. قال: وما دينكم؟ قالوا: نحن ولاة البيت: نسقى الحاج، ونقرى الضيف، ونفك العاني. وذكروا أفعالهم. فقال: أنتم أهدى سبيلاً؛ فنزلت.

وروى - من غير وجه - نحو ذلك .

وهذه الآية: تعجب من حال أخرى من أحوال أهل الكتاب، وتوبيخ لهم على ارتكابهم جريمة من أشنع الجرائم، وهى سجودهم للأصنام، وشهادتهم بأن عبدة الطاغوت أحسن ديناً من أهل الإسلام. على الرغم من أنهم أهل كتاب. وأعرف من غيرهم بالدين الصحيح.

والمعنى: ألم ينته علمك يا محمد - أو كل من يستحق أن يخاطب - إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب، ورزقوا حظاً منه، وإلى حالتهم العجيبة الداعية إلى الدهشة والعجب، وهى أنهم - مع كونهم أهل كتاب - يؤمنون بالأصنام ويطيعون الشيطان، ويقولون فى شأن الذين آمنوا للذين كفروا - من أجل مخالفتهم - هؤلاء الكفار الجاهليون: أهدى طريقاً من الذين آمنوا بمحمد؟!

فبين بذلك مناط التعجب من حالهم.

يا للعجب من قوم: أهل كتاب، وأتباع رسل، يقولون عن المؤمنين بمحمد: إن الكفار - من مشركى مكة - أهدى منهم سبيلاً! وإنما وصفهم الله بأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب، ولم يصفهم بأنهم أوتوا الكتاب؛ لأن حالهم تتنافى مع الكتاب كله، حيث يؤمنون ببعضه، ويكفرون ببعضه.

٥٢ - **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا**. بعد أن ذكر الله أحوالهم المثيرة للدهشة والعجب، عقب ذلك بتقريعهم، وبيان العقاب المستحق لهم، فقال: **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ** . . . الآية

والمعنى: أولئك الموصوفون بالصفات السابقة، المرتكبون لهذه الجرائم البشعة، هم الذين حكم الله عليهم بالطرده من رحمته؛ بسبب كفرهم وعصيانهم ومن يلعنه الله ويبعده من رحمته؛ فلن تجد له نصيراً ينصره من عذاب الله الذى ينزل به.

٥٣ - **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**. أى: ليس لهم نصيب من الملك، حتى يكون لهم الحق فى الإعطاء والمنع، والحكم بالهداية وغيرها؛ فقد زال ملكهم قبل بعثة محمد ﷺ، بمئات السنين ولو بقى لهم من الأمر شيء، لما أعطوا أحداً أقل قليل من الخير.

ثم بين الله تعالى سر هذا العناد والتماذى فى الضلال، فذكر أنه يرجع إلى حسدهم للنبي ﷺ وأتمته، وسيطرة الحقد على نفوسهم، فويخهم على ذلك بقوله:

٥٤ - أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. أَى: أنهم ليس لهم دليل يستندون إليه، وسبب يتمسكون به فى تكذيبهم. بل هم يحسدون الناس، وهم النبى ﷺ ومن معه من المؤمنين، على ما آتاهم الله من فضله، وأنعم به عليهم حيث: أعطاهم النبوة، والكتاب، والحكمة.  
ولا غرابة فى هذا، ففضل الله واسع، وقد آتى الله آل ابراهيم - أَى: إبراهيم ومن معه - الكتاب، والحكمة، والنبوة، وآتاهم الله مع ذلك ملكا عظيما واسعا.

ومن ذلك ما أعطاه الله تعالى يوسف عليه السلام، من السلطان فى مصر.

وما أعطاه الله تعالى داود وسليمان عليهما السلام، من النبوة والملك العظيم فلا غرابة - بعد هذا - أن يؤتى الله محمدا ﷺ - وهو من أولاد إبراهيم - مثلما أعطى إخوانه الأنبياء.

٥٥ - فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا.

فى هذه الآية بيان لموقف أهل الكتاب من شريعة إبراهيم عليه السلام، والتصديق برسالته.

أَى: فمن أهل الكتاب، من آمن بإبراهيم وما أنزل عليه، ومنهم من كفر به وصد عنه. وقد أعطى الله الكفار الجزاء المناسب لهم، وهو أنهم يصلون سعيرا: أَى: يقاسون نارا مسعرة ملتتهبة، وكفى بجنهم سعيرا. ولا حاجة بعدها إلى ما هو أشد منها، إذ ليس هناك ما هو أقوى منها حرارة وأكثر اضطراما وأشد تعذيبًا.

\* \* \*

### عذاب النار

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا أُخْرَاهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَندخلهم ظلًا ظليلًا ﴿٥٧﴾﴾

المضردات:

نصليهم نارا: نذيقهم حرها، ونشويهم بها.  
نصيجت جلودهم: احترقت وذابت.  
ظلا ظلايلا، ظلا وارفا مستديما: لا يصاحبه حر ولا برد.

## التفسير:

٥٦ - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا... الآية  
 بعد أن عدد الله جرائم أهل الكتاب، وأحوالهم المقتضية للتعذيب، وهدمهم عليها بالسعير، اتبع ذلك بيان جزاء الكفار على وجه العموم: الشاملين لأهل الكتاب، وغيرهم فقال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا...  
 والمعنى: إن الذين جحدوا آياتنا الدالة على ألوهيتنا، والمنزلة على أنبيائنا - عليهم الصلاة والسلام - وفي مقدمتها القرآن الكريم: الذي هو آخر الكتب وأوقاها، وأوضحها دلالة.  
 سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا. أى: سوف ندخلهم ناراً هائلة يوم القيامة.  
 كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ. أى: كلما احترقت جلودهم، وتعطلت عن الإحساس بالألم.  
 بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا. أى: جلوداً جديدة أخرى؛ ليستمر عذابهم، ويدوم لهم بها، وذوقهم لها؛ لأنهم كانوا مصرين على الكفر إلى ما لا يتناهى.

فحكم الله تعالى عليهم بالعذاب الشديد الذى لا يتناهى: جَزَاءً وَفَاقًا. (التبا: ٢٦).  
 وأكد الله هذا الوعيد بقوله: إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا. أى: هو - فى ذاته - قوى؛ لا يعجزه شىء، ولا يستعصى عليه أمر، حكيم فى أفعاله ومن حكمته: تعذيب العاصى على قدر ذنبه.

٥٧ - وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.  
 بعد أن ذكر الله عذاب الكفار، أتبعه بيان ثواب المؤمنين، جريا على عادة القرآن الكريم، فى اتباع الترهيب بالترغيب؛ وقرن الوعد بالوعيد، إظهارا للفرق بين الحالين، وتقريراً للعدل بين الفريقين. فقال:

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَامَنُوا صَاحِبًا.  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: أى: عملوا الأعمال النافعة لهم. وللناس جميعا، فى الدنيا والآخرة.  
 سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. أى: سندخلهم يوم القيامة جنات عالية تجرى من تحت أشجارها وقصورها، وتفيض الخيرات فى كل أنحاءها. لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ. (الحج: ٤٨).  
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. فلا يعتربهم خوف من زواله.  
 لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ. أى: ويتنعمون فيها بزوجات طاهرات من الأدناس الحسنة والمعنوية.  
 وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا. أى: وسيدخلهم الله - الكريم القادر - ظلا ظليلا، لا يعتربه ضيق الحر، ولا مس البرد. ولهم فيها الثواب العظيم، والنعيم المقيم.

ويشأن بين هذا وبين ما يقاسيه الكفار. مما بينته الآية السابقة.  
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ. (فاطر: ١٩ - ٢١)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨)

## المضردات:

أن تؤدوا الأمانات: جمع أمانة، وهى ما يؤتمن عليه الإنسان: لله أو للناس وأداؤها: ردها وحملها إلى أصحابها.

## التفسير:

٥٨ - إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا... الآية

الخطاب فى هذه الآية عام لجميع المكلفين كما أن الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بالذمم سواء كانت حقوق الله أو العباد.

والمعنى: إن الله تعالى يأمركم أيها المؤمنون أن تؤدوا ما ائتمنتم عليه من الحقوق سواء أكانت هذه الحقوق لله تعالى أم للعباد وسواء أكانت فعلية أم قولية أم اعتقادية.

ومعنى أدائها إلى أهلها: توصيلها إلى أصحابها كما هى من غير بخس أو تطفيف أو تحريف أو غير ذلك مما يتنافى مع أدائها بالطريقة التى ترضى الله تعالى.

وقد ذكر المفسرون أن الأمانة على أنواع:

١ - أمانة العبد مع ربه، وتشمل قيامه بحقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة، والزكاة، والصيام، والكفارات، والנדور.

٢ - أمانة العبد مع الناس. ومن ذلك: رد الودائع إلى أربابها، وعدم الغش، وحفظ السر.

ويدخل فى ذلك عدل الأمراء مع الرعية: لأن الحكم أمانة (فيجب على الولاة تأدية ما لديهم من الأمانات ورد الظلالمات وتحري العدل فى أحكامهم)<sup>(١)</sup>.

٣ - أمانة الإنسان مع نفسه بأن يختار لنفسه ما هو الأصلح والأفصح له فى الدين والدنيا.

وإذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ. أى: كما أمركم الله تعالى أيها المؤمنون بأداء الأمانات إلى أهلها فإنه يأمركم - أيضا - إذا حكمتم بين الناس أن تجعلوا حكمكم قائما على الحق والعدل: فإن الله تعالى ما أقام ملكة إلا عليهما، ولأن الأحكام إذا صاحبها الجور والظلم أدت إلى شقاء الأفراد والجماعات.

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ (النحل: ٩٠)

وقال تعالى: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (ص: ٢٦).

إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ أَيْ: نعم الشيء الذي يعظكم الله به أداء الأمانات، والحكم بالعدل بين الناس؛ إذ لا يعظكم إلا بما فيه صلاحكم وفلاحكم وسعادتكم في الدارين وأن الله دائماً سميع لما يقال، بصير بما يفعل، فيعلم من أدى الأمانة ومن خان، ومن حكم بالعدل أو جار؛ فيجازى كلا بعمله.

★ ★ ★

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

#### المضردات:

وأولى الأمر منكم؛ أصحاب الحل والعقد. من الرؤساء والعلماء.

تنازعتم؛ اختلفتم.

فرُدُّوه إلى الله والرسول؛ أَيْ: ارجعوا في معرفته إلى كتاب الله، وسنة رسوله.

تأويلًا؛ مآلاً ومرجعاً وعاقبة، أو أحسن تأويلاً من تأويلكم.

#### التفسير:

٥٩ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ...

أَيْ: أطيعوا الله واعملوا بكتابه، وأطيعوا الرسول؛ لأنه موضع للكتاب ومبين له وهو القدرة العملية

قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (الأحزاب: ٢١).

وأولى الأمر منكم. من الولاة والرؤساء والعلماء وغيرهم.

جاء في تفسير المراغي:

وهذه الآية مبينة لأصول الدين في الحكومة الإسلامية وهي:

١ - الأصل الأول: القرآن الكريم والعمل به؛ طاعة الله تعالى.

٢ - الأصل الثاني: سنة رسوله ﷺ، والعمل به؛ طاعة الرسول ﷺ.

٣ - الأصل الثالث: إجماع أولى الأمر وهم أهل الحل والعقد الذين تثق بهم الأمة من العلماء والرؤساء فى الجيش والمصالح العامة كالتجار، والصناع، والزراع، ورؤساء العمال، ومدبرى الصحف، ورؤساء تحريرها، ورجال الأحزاب ممن تثق بهم الأمة.

٤ - الأصل الرابع: عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والأحكام العامة فى الكتاب والسنة، وهذه سبيلها الاجتهاد والرد إلى الله والرسول وذلك هو القياس.

فهذه الأربعة الأصول هى مصادر الشريعة، ولا بد من وجود جماعة يقومون بعرض المسائل المتنازع فيها على الكتاب والسنة والاجتهاد وتحرى الصواب والحكم بما يروونه موافقا لروح الكتاب والسنة. ويجب على الحكام الحكم بما يقرؤونه.

وبذلك تكون الدولة الإسلامية مؤلفة من جماعتين:

الأولى: الجماعة المبينة للأحكام الذين يسمون الآن: (الهيئة التشريعية).

الثانية: جماعة الحاكمين والمنفذين وهم الذين يسمون: (الهيئة التنفيذية).

فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ. أئى: إن اختلفتم فى شىء لم يرد فيه نص صريح فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله: فارجعوه إلى هذين الأصلين وليكن حكمكم فيه بالقياس على ما يشبهه من الأمور وبذلك فتح القرآن للمسلمين باب الفهم والبحث والاجتهاد.

وقد سأل رسول الله ﷺ معاذًا حين أرسله قاضيًا: ما تطعن إن عرض لك قضاء؟

قال للرسول: أفضى بكتاب الله.

قال الرسول: فإن لم تجد؟

قال معاذ: أفضى بسنة رسول الله.

قال الرسول: فإن لم تجد؟

قال معاذ: أجتهد رأبى ولا ألو.

فقال الرسول ﷺ: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله<sup>(١١)</sup>.

إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. أئى: ردوا الشىء المتنازع فيه إلى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة. ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا. أئى: الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله خير لكم وأصلح وأحسن عاقبة ومآلا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ  
 أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدُ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ  
 ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ  
 الْمُتَنَفِّقِينَ يُصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا  
 قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ  
 فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾

## المضردات:

الطَّاغُوتُ، الطاغوت في الأصل: كثير الطغيان، ويطلق على كل رأس في الضلال، يصرف  
 عن الخير، ويغري بالشر.

يَصُدُّونَ، يعرضون.

وَعِظْهُمْ، خوفهم.

وقل لهم في أنفسهم: أي: واعظا لهم - بينك وبينهم - ليكون أدعى للقبول، أو في شأن أنفسهم:  
 كاشفا عن خبثها.

قولا بليغا، مؤثرا واصلا إلى حقيقة المراد.

## التفسير:

٦٠ - أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ ...

روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه تخاصم يهودى ومنافق، ودعا اليهودى المنافق  
 إلى التحاكم إلى رسول الله ﷺ. ودعا المنافق إلى التحاكم إلى كعب بن الأشرف... فنزلت الآية.

والمعنى: ألم ينته علمك يا محمد، إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بالقرآن وبالكتب التي  
 أنزلت على من قبلك من الرسل؟!!

إن شأن هؤلاء لعجيب: لأنهم - مع زعمهم الإيمان بذلك - يزيدون أن يتخذوا من كاهن



اليهود - رأس الضلال - حاكما فى قضاياهم. وقد أمرهم الله أن يكفروا بمن يدعوهم إلى الشر ويبيدهم عن الخير ويريد الشيطان أن يوقعهم فى ضلال بعيد، لا خلاص لهم منه باتباعهم دعاة الشر.

٦١ - وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا. أى: ومن عجيب أمر هؤلاء المنافقين: أنهم إذا دعوا إلى التحاكم إلى كتاب الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، أصروا على الكفر، وأعرضوا عما تدعوهم إليه إعراضا شديدا.

٦٢ - فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا. هذا بيان لسوء عاقبتهم جزاء جنایاتهم ومخالفتهم، وتعجيب من حالهم.

أى: فيا عجبا ... كيف يكون حال هؤلاء المنافقين - وقت نزول المصائب بهم - بسبب ذنوبهم! ثم جاءوك ملتجئين إليك فى ذلك، يعتذرون عن قبائح أعمالهم، ويحلفون بالله ما أردنا بذهابنا إلى غيرك، وتحاكمنا إلى من عدك إلا الإحسان والتوفيق. أى: المداراة والمصانعة. لا اعتقاد منا صحة تلك الحكومة. كما أخبر الله عنها بقوله: فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فِضْضِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ. (المائدة: ٥٢).

٦٣ - أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ. أى: أولئك هم المنافقون الموغلون فى الكفر والنفاق، الذين لا يخفى على الله أمرهم، ويعلم ما انطوت عليه صدورهم من الشر والفساد، وسيجزئهم على ذلك.

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ. أى: أعرض عن قبول معذرتهم وازجرهم عما فى قلوبهم من الكيد والنفاق.

وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا. أى: انصحهم - فيما بينك وبينهم بعيدا عن الناس - ليكون ذلك أدمى إلى قبولهم - بكلام بليغ رادع لهم. أو قل لهم. فى شأن أنفسهم وما انطوت عليه من الخبث والقبايح: قولا مؤثرا يردهم عن غيهم، ويعود بهم إلى رشدهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

## المضردات:

فلا وربك، اللام لتأكيد القسم.

شجر بينهم، اختلط عليهم من الأمور.

حرجاً، ضيقاً.

٦٤ - وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ... الآية . أى: وما أرسلنا رسولا من الرسل، لأمر من الأمور، إلا ليطيعه الناس بسبب إذنه تعالى لهم فى طاعته، وأمره لهم بأن يتبعوه، فإن طاعة الرسول طاعة لله. مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ. (النساء: ٨٠).

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ

فى هذا بيان لما كان يجب عليهم أن يفعلوه حين ظلموا أنفسهم. أى: ولو إنهم حين ظلموا أنفسهم - بترك طاعة الله تعالى - يبادروا بالمجئء إليك معتذرين عن جرائمهم، مبالغين فى التضرع إلى الله، والتوبة إليه من ذنوبهم، حتى تقوم شفيعا لهم إلى ربك، طالبا منه المغفرة لهم.

لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. أى: لو أنهم فعلوا ذلك: لوجدوا أبواب التوبة مفتحة لهم، ورحمته تعالى محيطه بهم.

وفى هذه الآية، إرشاد لسائر العصاة والمذنبين، إذا وقع منهم ذنب أو خطيئة أن يبادروا بالتوبة والندم: كى يفوزوا بغفران الله لهم.

٦٥ - فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ... الآية

روى البخارى بمسنده، قال: خاصم الزبير رجالا فى شرح<sup>(١٧)</sup> من الحرة، فقال النبى ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصارى: يارسول الله، لأن كان ابن عمك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ. ثم قال: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك<sup>(١٧)</sup>».

فاستوفى النبي ﷺ للزبير حقه كاملا فى الحكم، حين أحفظه الأنصارى، وكان أشار عليهما ﷺ بأمر لهما فيه سعة .. قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت فى ذلك.

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ... الآية

لقد أقسم الله - سبحانه - بذاته، وهو الذى تولى تربيتك أيها الرسول، وأنعم عليك بنعمة النبوة، وأدبك بأدب القرآن، أقسم: أن هؤلاء الذين أعرضوا عن التحاكم إليك فيما اختلط عليهم، لا يدخلون فى عداد المؤمنين الصادقين؛ حتى تتحقق فيهم صفات ثلاث:

أولاهما: أن يهرعوا إليك - أيها الرسول - لتحكم بينهم فيما اختلط عليهم.

ثانيها: أن ترضى نفوسهم - وتستمر راضية دون حرج أو ضيق - بحكمك وقضائك.

الثالثها: أن يسلموا بحكم رسول الله ﷺ تسليما كاملا، ويدعنوا له إذعانا صادقا، ويقوموا على

تنفيذه بنفوس راضية.

★ ★ ★

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

المضردات:

كُتِبْنَا: قدرنا.

مَا يُوعَظُونَ بِهِ: ما يؤمرون به من طاعة الله.

تَثْبِيثًا: تحقيقا لإيمانهم.

التفسير:

٦٦ - وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ... أى:

لو فرضنا على هؤلاء المنافقين ما فرضنا على من قبلهم من المشقات، وشدنا التكليف عليهم فأمرناهم بقتل النفس، والخروج من الأوطان كما فرض ذلك على بنى إسرائيل؛ ما استجاب ولا انقاد إلا نفر قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين.

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا. أَيْ: ولو أنهم فعلوا ما أمروا به، وتركوا ما نهوا عنه؛ لكان ذلك خيرا لهم فى مصالحهم، وأشد تثبوتا لهم فى إيمانهم؛ إذ الأعمال هى التى تطبع الأخلاق والفضائل فى نفس العامل، فالصلاة والزكاة والصدقة والعفة كلها تثبت الإيمان وتنمى الشخصية.

٦٧ - وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا.

وإذا قاموا بحق التكليف الإلهى الذى يكون فى وسعهم؛ لأعطاهم الله على ذلك الثواب العظيم، والتوفيق والهدى الذى يوصلهم إلى جنة النعيم.

٦٨ - وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.

ولهديناهم إلى طريق العمل الصالح على الوجه المرضى الموصول إلى الفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين.

★ ★ ★

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾

المفردات:

أنعم الله عليهم: تفضل الله عليهم بنعمه.

رفيقاً: مرافقا ومؤنسا.

التفسير:

٦٩ - وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ.

ومن يعمل بما أمره الله به ورسوله، ويتجنب ما نهى الله عنه ورسوله؛ فهو مع الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق فى الدنيا والآخرة من أنبيائه؛ وأتباعهم الذين صدقوهم، واتبعوا مناهجهم والشهداء فى سبيل الله، والصالحين الذين صلحت سريرتهم وعلايتهم ونعمت رفقة هؤلاء وصحبتهم وحسن رفيق أولئك الأبرار!

٧٠ - ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا. تلك المنزلة العظيمة لمن أطاع الله ورسوله هي الفضل الكبير من الله وهو عليم بالأعمال ومثيب عليها. وكفى به سبحانه وتعالى مجازيا لمن أطاع، عالما بمن يستحق الفضل والإحسان.

★ ★ ★

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ يَنْتَكُمُ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ يَلْبِئْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ قَافُورًا قَوْرًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

المضردات:

حِذْرُكُمْ: الحِذْرُ والحِذْرُ بمعنى واحد وهو: التيقظ والاستعداد والمراد: احتسروا واستعدوا.  
فَانفِرُوا: انفِر: الانزعاج عن الشيء وإلى الشيء والمراد: اخرجوا إلى الجهاد.  
ثُبَاتٍ: جمع ثبة وهي الجماعة أى: اخرجوا جماعة تلو جماعة.  
لَيُبَطِّئَنَّ: ليبطئن غيره عن القتال أو ليبطئن هو أى: يتباطأ.

التفسير:

٧١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ... الآية

يأيها الذين آمنوا، خذوا حذرکم واحترسوا من عدوكم، واستعدوا دائما لملاقاته؛ فإن الاستعداد له قد يمنع الحرب، ويكون بتنظيم الجيوش وإعداد العدة المناسبة فى كل عصر وحين، وبث العيون (المخابرات والجواسيس) ودراسة حاله وبلده وطرقه ... إلخ. مما هو معروف فى الأصول الحربية، وإذا أخذتم حذرکم؛ فخرجوا إليه جماعات إن اقتضى الحال ذلك وإلا فأعلنوا التعبئة العامة وخرجوا إليه مجتمعين وفى هذا إشارة إلى تنظيم الأمة عسكريا، وتعليم شبابها الفنون العسكرية حتى إذا دعا داعى الوطن وجدنا الكل يحمل السلاح، أما الجبهة الداخلية فلا تخلو أمة من الأمم من الجبناء الرعايد والمنافقين الذين يثبطون الهمم، ويعوقون عن القتال، ويقعدون عنه لغرط حبههم للدنيا وانخلاع قلوبهم من الحرب؛ لضعف إيمانهم وخور عزيمتهم فاعرفوهم وعالجوا ضعفهم ولذا يقول القرآن:

٧٢ - وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبْتَغَىٰ فِإِنْ أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ ... الآية. وإن منكم لجماعة يبتغون الهمم ويقعدون عن الحرب فإن أصابكم مصيبة في الحرب كالهزيمة أو القتل مثلاً قالوا: قد أنعم الله علينا وتفضل حيث لم تكن معكم.

٧٣ - وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةٌ ... الآية. ولئن أصابكم فضل من الله وانتصار على العدو قالوا: يا ليتنا كنا معكم فأخذنا نصيبنا من الغنيمة، كأنه لم تكن بينكم وبينهم مودة وصله إذ الصلة والمودة التي يظهرونها تقتضى أن يكونوا معكم في السراء والضراء، والله أعلم بقلوبهم وما عندهم من الحسد والحقد، ولكنه سُمي مودة؛ تهكما بهم وبحالهم.

★ ★ ★

﴿ فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا كُفِّرُوا وَلَا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾

المضردات:

يشرون، يبيعون؛ لأن شرى: من كلمات الأضداد.

والمستضعفين، المستقلين وهي معطوفة على فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

الولدان، جمع وليد وهو الصبي، أو العبد.

وليًّا، معيًّا.

الطاغوت، في الأصل كثير الطغيان، ويطلق على كل رأس في الضلال، وقيل: الشيطان.

التفسير:

٧٤ - فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ...

كان القرآن ينزل في أعقاب غزوة أحد بأسر جراح المؤمنين، وبيارك جهاد المجاهدين، وبيين أن الأيام دول، وأن المؤمن يمتحن وبيبتلى ولكن العاقبة للمتقين.

ورد في الآيتين السابقتين ذكر القرآن طائفة من المنافيين تطبى عن الجهاد، وتتبطن المؤمنين عنه، فإذا انهزم المؤمنون؛ فرحوا وشمثوا وإذا انتصر المؤمنون ندموا على تخلفهم عن القتال؛ لحرمانهم من الغنائم.

وفي هذه الآيات يأمر الله المؤمنين بالقتال في سبيله، والأمر موجه إلى من باعوا الحياة الدنيا؛ طلبا لثواب الآخرة. وجادوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل إعلاء كلمة الله؛ وتقدير الكلام: إذا تباطا المنافقون عن الجهاد؛ فليسرع إليه المؤمنون الصادقون.

جاء في ظلال القرآن:

«إن المسلم لا يقاتل لمجد شخصي، ولا لمجد بيت، ولا لمجد طبقة، ولا لمجد دولة، ولا لمجد أمة، ولا لمجد جنس، إنما يقاتل في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولتمكين منهجه من تصريف الحياة»<sup>(١٤)</sup>.

وحين يخرج المسلم ليقاتل في سبيل الله بقصد إعلاء كلمة الله، وتمكين منهجه في الحياة، ثم يُقتل؛ يكون شهيداً، فينال مقام الشهداء عند الله، فإذا انتصر على العدو كان له ثمرة النصر، وجزاؤه الغنيمة في الدنيا، والأجر العظيم في الآخرة.

وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا.

والمقاتل في سبيل الله بين غايتين: الاستشهاد في سبيل الله، أو النصر على الأعداء، ولا ذكر للهزيمة في الآية الكريمة؛ لأن المؤمن المجاهد لا يرتد على عقبه، ولا يستسلم للهزيمة بأى حال.

جاء في تفسير القرطبي في هذه الآية ثلاث مسائل منها:

المسألة الثالثة: ظاهر الآية يقتضى التسوية بين من قتل شهيداً أو انقلب غانماً، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيله، وإيمان به، وتصديق برسلي، فهو على ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر وغنيمة أو أجر إن لم يغم»<sup>(١٥)</sup>.

٧٥ - وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا.

يستنهض القرآن هم المسلمين في المدينة: للدفاع عن المستضعفين المستبدلين بمكة، الذين يتعرضون لأنواع العذاب والنكال، وهم ضعفاء لا يستطيعون مقاومة المعتدين.

والمعنى: أى شئ لكم حتى لا تقاتلوا؟! أى لا عذر لكم فى ترك القتال فالاستفهام فى الآية الكريمة، لإنكار واستقباح التخلف عن الجهاد فى سبيل الله، وفى سبيل إنقاذ المستضعفين من الشيوخ الكبار، والنساء، والأطفال.

جاء فى ظلال القرآن:

ومشهد المرأة الكسيرة والولد الضعيف، مشهد مؤثر مثير، لا يقل عنه مشهد الشيوخ الذين لا يملكون أن يدفعا - وبخاصة حين يكون الدفع عن الدين والعقيدة - وهذا المشهد كله معروض فى مجال الدعوة إلى الجهاد؛ وهو وحده يكفى؛ لذلك يستنكر القعود عن الاستجابة لهذه الصرخات، وهو أسلوب عميق الوقع، بعيد الغور فى مسارب الشعور والإحساس<sup>(١٧)</sup>.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا. أى: لا عذر لكم فى ترك القتال؛ لتخليص المستضعفين، الذين عذبهم المشركون بمكة، فاتجهوا إلى الله عز وجل ضارعين قائلين: اللهم ربنا، هب لنا الخروج من مكة، والهجرة منها؛ فراراً بديننا، من أهلها الطغاة الظالمين، وهب لنا بفضلك وليا، يتولى أمورنا ويحمينا منهم، وهب لنا من عندك من ينصرنا عليهم.

أخرج البخارى عن ابن عباس قال: كنت أنا وأمى من المستضعفين. فهى من النساء، وهو من الولدان<sup>(١٨)</sup>.

وعن مجاهد قال: أمر المؤمنون أن يقاتلوا عن مستضعفين مؤمنين كانوا بمكة ونسبة الظلم إلى أهل مكة، تشريف لها عن نسبة الظلم إليها، فهو مقصور على أهلها المشركين.

٧٦ - الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا.

لقد وضَّح القرآن المنهج ورسم طريق العقيدة السليمة من الإيمان بالله، وامتنال وأمره، واجتناب نواهيه؛ كما رعى القرآن المسلمين تربية إسلامية، فرعى يقينهم ووجدانهم، وضميرهم وقلوبهم وعقلهم، وقدم لهم غذاء العقيدة بالقصص والمشاهد، وأخبار القيامة والبعث والجزاء؛ فنشأ المؤمنون نشأة متكاملة؛ كأنهم خلقوا من جديد بالعقيدة والإيمان والإسلام، وحين بدأ القتال اكتسح الإسلام الأعداء، بقوة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً.

فمعارك الإسلام فى الجزيرة العربية: فى بدر، وأحد، والخندق، والحديبية، وفتح مكة، وغزوة حنين، والطائف، وغزوة تبوك، كتب فيها النصر للقلة المؤمنة على الكثرة الكافرة.



وقل بمثل ذلك في انتصار الإسلام على الفرس والروم ومصر، بل لقد انتصر الإسلام بالفكرة والعقيدة في بلاد كثيرة، وهناك انتصار آخر هو انتصار اللغة العربية بحيث صار العلماء في البلاد التي فتحها الإسلام يعتقدون الإسلام طوعا واختياراً، ويدرسون بهذه اللغة، ويقدمون للبشرية نتاج أفكارهم، وما كان للغة العربية هذا المجد قبل الإسلام، لكن القرآن والوحي، والحديث النبوي، والتراث الإسلامي؛ كل هؤلاء أخصبوا اللغة العربية؛ حتى سماها بعض الباحثين: اللغة الإسلامية.

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .

قال الزمخشري:

رغب الله المؤمنين ترغيباً وشجعهم تشجيعاً، بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله؛ فهو وليهم وناصرهم، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان؛ فلا ولي لهم إلا الشيطان، وكيد الشيطان للمؤمنين، إلى جنب كيد الله للكافرين، أضعف شيء وأوهنه<sup>(٨٤)</sup>.

وتبقى الآية على جلالها ترسم حقيقة واقعية.

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . تحت راية الله فهم جند يقاتلون من أجل منهج الله ودين الله.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ . أي: في سبيل الطغيان والاستعلاء، وشتان بين من يقاتل في سبيل الحق والعدل، والمبادئ والمثل العليا، ومن يقاتل عدواناً وظلماً، وتمكيناً للطغاة الجبارين، وفي آخر الآية دعوة إلى جهاد الشيطان والانتصار عليه وعلى أتباعه.

جاء في تفسير القرطبي:

الطَّاغُوتُ . يذكر ويؤنث، والطاغوت هو الشيطان والدليل على ذلك قوله تعالى:

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا . أي: مكره ومكر من اتبعه، ويقال: أراد به يوم بدر حين قال للمشركين: لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ . (الأنفال: ٤٨).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنِعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۗ ﴿٧٧﴾

أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ۚ وَإِنْ نُصِبْتُمْ حَسَنَةً يُقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَإِنْ نُصِبْتُمْ سَيِّئَةً يُقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۗ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۗ ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ۗ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۖ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۗ ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ ﴿٨٠﴾ ﴿

### المضردات:

- كفوا أيديكم ، اقبضوها وامنعوها عن القتال  
 متاع الدنيا ، ما يتمتع به من زخرفها وزينتها ولذاتها .  
 فتية ، الفتيل: الخيط الموجود في شق النواة، يضرب به المثل في القلة والحقارة .  
 بروج مشيدة ، حصون مرتفعة منيعة محكمة .  
 يفقهون ، يفهمون فهمًا دقيقًا .  
 شهيداً ، شاهداً على صدق رسالتك، أو مطلعاً بصيراً .  
 تولى ، أعرض .  
 حفيظاً ، رقيباً، أو مسيطراً .

### التفسير:

٧٧- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ... الآية. روى ابن أبي حاتم بسنده. عن ابن عباس، أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة، فقالوا: يا نبي الله، كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمننا صرنا أذلة، قال: «إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم». فلما

حواله الله إلى المدينة ، أمره بالقتال فكفوا ، فأنزل الله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ... (١٤) أى: ألم ينته إلى علمك - يا محمداً - حال أولئك الذين كانوا يمتنون القتال - وهم بمكة - قبل أن يأذن رسول الله ﷺ لهم فيه؛ رغبة فى التخلص من إيذاء المشركين المستمر لهم ؟!

وكان رسول الله ﷺ ، يستمهلهم ويقول لهم - وهم بمكة - : كفوا أيديكم عن قتال المشركين حتى يأذن الله فيه، وتفرغوا لتطهير أنفسكم وتركيتها: بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (١٥) ، وإعادتها للجهاد حين يأذن الله به فيه ؟!

والاستفهام لتعجب رسول الله ﷺ ، ومن معه ، وكل من يتأتى منه ذلك إلى يوم القيامة - تعجب لهم - من حال هؤلاء الذين تحدثت الآية عن شأنهم . فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً . أى: فلما فرض الله القتال على المؤمنين - بعد الهجرة - استولى الخوف على الكفار - على نفوس فريق منهم، وهم المنافقون، وتهيبوا قتال الناس خشية القتل أو الأسر، وملاً الرعب قلوبهم فأصبحوا يخافون قتال الكفار كخوف المتقين من الله . بل أصبح خوفهم من الناس أشد من خوف المتقين من ربهم.

وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ . أى: وقالوا - فى ضيق ورعب وجزع من الموت - : يا ربنا، لم فرضت علينا القتال؟! هلا أخرت فرضه علينا إلى مدة قريبة؟! حبا فى التمتع بالدنيا . والمدة القريبة غير محدودة فهى - عندهم - انتهاء آجالهم دون قتال أو: يا ربنا، هلا زدتنا فى مدة الكف إلى وقت آخر ، قابل للتجديد؟! حذرا من الموت، وهربا من الجهاد؛ فقال الله لرسوله ﷺ: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظَلِّمُونَ فَيَلًا ...

متاع الدنيا كله قليل، فما بال أيام أو أسابيع أو شهور أو سنين؟! وما قيمة هذا الإمهال لأجل قصير، إذا كان متاع الحياة الدنيا بطولها فى جملته قليلا؟! ما الذى يملكون تحقيقه من المتاع فى أيام أو أسابيع أو شهور أو سنين ، ومتاع الدنيا كله ، والدنيا بطولها قليل ؟!

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ . أى: وثواب الآخرة خير لكم من المتاع القليل، لمن اتقى الله، ولم يخش إلا الله، وتأتى التقوى هنا فى موضعها للمقابلة بين من يخاف الناس ومن يخاف الله، فالذى يخاف الله لا يخاف الناس، والإنسان لا يملك لك نفعاً أو ضراً إلا بإذن الله .

وَلَا تُظَلِّمُونَ فَيَلًا . والفتيل: الخيط الموجود فى شق الذواة؛ أى: إن الله هو الذى يجازى الأتقياء جزاء الكريم العليم ، ولا ينقصون من أجورهم شيئا مهما كان قليلا، قال تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . (الزلزلة: ٨، ٧)

٧٨- أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ... هذه الآية تقرر قاعدة عامة، وإن كان المراد بها المنافقين، أو ضعفة المؤمنين، الذين قالوا: لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ أَي: إلى أن نموت بأجالنا<sup>(٣١)</sup>.

والمعنى: في أي مكان تكونون فيه - في ساحة القتال، أو بين أهليكم مواطن أمنكم، أو خوفكم، سينزل بكم الموت عند انتهاء أجالكم، ولو كنتم في حصون منيعة أو قصور عالية.

جاء في تفسير القرطبي:

قال ابن عباس: البروج: الحصون والأطام والقلاع، ومعنى مشيدة: مطوّلة أو محصنة بالشد وهو الجص، والمشيد والمشيد سواء، ومنه: وَقَصُرَ مَشِيدٍ (الحج: ٤٥)، وفي هذه الآية تأنيب للجبناء أو المنافقين، الذين ضاقوا بما فرض الله عليهم من القتال، وإبراز لحماقة تفكيرهم، فإن الجبن لا يطيل عمراً وإنما يجلب ذلاً، والشجاعة لا تنقص أجلاً وإنما تورث عزاً.

وإن تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

هذا بيان لتقيصة أخرى من نقائصهم، فهم يتطيرون بالنبى - فيظنونهم - حاشاهم - شوّما عليهم أو هم يريدون عامدين تجريح قيادة الرسول ﷺ: تخلصا من التكالييف التي يأمرهم بها.

فقد كانوا يقولون: إذا حلت بهم نعمة، من سعة في الرزق، وكثرة في الأموال والأولاد، هذا الذي أصابنا من النعم من عند الله، قالوا ذلك، لا عن إيمان بالله، واعتراف بفضله، بل قالوه: تهوينا لشأن النبى ﷺ، وإشارة إلى أنه لا يأتيهم بخير، يدل على ذلك ما حكاه القرآن عنهم بقوله:

وإن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ أَي: وإن يصيبهم جرب وقحط، ونقص في الأموال والأولاد ونحو ذلك؛ قالوا: أصابنا ذلك بشؤمك الذى لحقنا ...

قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللهُ هُوَ الْفَاعِلُ الْأَوَّلُ، وَالْفَاعِلُ الْأَوْحَدُ، لِكُلِّ مَا يَقَعُ فِي الْكُونِ وَمَا يَقَعُ لِلنَّاسِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَمْلِكُ النَّفْعَ وَالضَّرَّ وَلَا يَقَعُ فِي مَلِكِهِ إِلَّا مَا يَرِيدُ.

فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا. فما شأن هؤلاء القوم؟ وماذا أصاب عقولهم، حتى أصبحوا بعيدين عن الفهم والإدراك لما يسمعون ولما يقولون، ولا يفهمون أن كلا من الخير والشر من عند الله وحده، وأن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب.

٧٩- مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ... الآية

قررت الآية السابقة أن كل ما يقع في الكون فهو بإرادة الله العليا، وقضائه وقدره.

ونحن نؤمن بالقضاء والقدر، ونؤمن بأن بيد الله الخلق والأمر، ومع هذا فإن للعبد كسبا واختيارا، وإرادة محدودة مسئولة. والجمع بين إرادة الله، وإرادة العبد يحتاج إلى شيء من الانحناء والتسليم.

فبالنسبة لأحداث الكون كلها فهى من عند الله، وبحكمته وبالنسبة لأعمال الإنسان، فهو إذا اختار طريق الهدى؛ أعانه الله عليه وسد خطاه، وإذا اختار طريق الضلال؛ سلب الله عنه الهدى، ووكله إلى نفسه فكان هو السبب فيما يصيبه من بلاء فى الدنيا أو عذاب فى الآخرة .

فآلآية الثانية مختلفة عن الآية الأولى:

الآية الأولى: تشير إلى أن كل ما يقع فى الكون بإذن الله، والآية الثانية: تشير إلى أن العبد إذا أطاع الله؛ أيدته الله بتوفيقه، وإذا عصاه؛ وكله الله إلى نفسه.

قال الزمخشري:

مَا أَصَابَكَ. يا إنسان: خطاباً عاماً مِنْ حَسَنَةٍ. أى: من نعمة وإحسان فَمِنْ اللَّهِ. تفضيلاً منه وإحساناً وامتثالاً وامتحاناً .

وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ. أى: من بلية ومصيبة فمن عندك؛ لأنك السبب فيها بما اكتسبت يدك، وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ. (الشورى: ٣٠) وعن عائشة رضى الله عنها: «ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها، حتى انقطاع شمع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر» (٣).

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا. أى: رسولاً للناس جميعاً لست برسول العرب وهدم أنت رسول العرب والعجم، كقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ . (سبأ: ٢٨) وقال تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا. (الأعراف: ١٥٨).

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. على صدق رسالتك، أنك أبلغت ما أنزل الله عليك، وأدبته وأجبتك أكمل أداء، بإخلاص ويقين؛ تبشر الناس وتنذرهم، والله تعالى خير شهيد على ذلك .

وفى تقرير رسالته ﷺ تطمين لقلبه، وتقوية لعزمه، كما أن فيه زيادة كبت لهم، وتأكيدهم، وعدم فقهم .

٨٠- مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا .

أرسل الله رسوله محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل فحتم به الرسالات، وأنزل عليه وحى السماء، وجعل طاعة الرسول فيما يبلغه عن ربه واجبة؛ لأن طاعته طاعة لوصى الله وأمر الله، قال تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . (النجم: ٤، ٣).

فليس لمسلم أن يخالف الرسول فيما يبلغه عن ربه، قال تعالى: **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (النور: ٦٣).

وأما ما رآه الرسول من الأمور الخارجة عن دائرة التبليغ والرسالة، مما هو خاص بشئون الدنيا، فليست أوامر، بل إرشادات، ولذا راجعه المسلمون في بعض الآراء، كما حدث في تأبير النخيل فرجع ﷺ ونزل على رأيهم<sup>(٣٧)</sup> وقال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»<sup>(٣٨)</sup> رواه مسلم.

وجاء في تفسير ابن كثير:

يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ، بأن من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى. قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى على وعلى آله وسلم: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعنى، ومن عصى الأمير فقد عصانى»<sup>(٣٩)</sup> وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين عن الأعمش.

وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظًا. ومن أعرض عن طاعتك، وعن اتباع الحق الذى جئت به؛ فاترك أمره إيلينا فسنجازيه - فإنما أرسلناك مبلغاً ولم نبعثك مسيطراً ولا رقيباً على أعمالهم قال تعالى: **فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ**. (الفاشية: ٢١، ٢٢).

وفى الحديث «ومن يطع الله ورسوله؛ فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله؛ فإنه لا يضر إلا نفسه».

★ ★ ★

**﴿ وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُنْسَوْنَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَقَوْلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾** (٨١) **﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾** (٨٢)

**المضردات:**

برروا من عندك : خرجوا من مجلسك ظاهرين .

بيت طائفة : دبروا ليلاً أو في السر . في أى وقت من ليل أو نهار .

يتدبرون القرآن : يتأملون فيه، ويتفكرن في معناه .

اختلافها كثير : تناقضاً فى معانيه، وتبايها فى نظمه .

## التفسير:

٨١- وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ ... الآية

تحكى هذه الآية شأنًا آخر من شئون المنافقين، يعتمد على الختل والتلون والتستر وعدم المواجهة بالحقيقة، فهم أمام النبي ﷺ يظهرون الطاعة والامتثال والموافقة بأسنتهم، فإذا انصرفوا من مجلسه وذهبوا بعيداً عنه .

بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ . قال ابن كثير: أى: استسروا ليلاً فيما بينهم بغير ما أظهروه .  
وفى التفسير الوسيط:

دبر زعماؤهم فى السرِّ - فى الليل أو النهار - مخالفة أمره ﷺ، ونقض الذى قالوه بأسنتهم فى مجلسه معتقدين أن هذا التدبير الخفى لن يعلمه الرسول ﷺ، وفاتهم أن الله يعلم كل ما يتآمرون عليه، وقد سجله عليهم وأنه سيكشفه لرسوله ﷺ، وأنه سيعاقبهم على هذا النفاق - فى الآخرة - أشد العقاب، كما ينبئ عنه قوله تعالى: وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ .

أى: يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتيبين الذين هم موكلون بالعباد، والمعنى فى هذا التهديد بالجزاء والعقاب .

فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . أى: اصفح عنهم ولا تؤاخذهم، ولا تكشف أمورهم للناس، ولا تأبه بهم ولا بمؤامراتهم؛ وفوض أمرك إلى الله وحده يكفك أمرهم .  
وقال تعالى: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . (الطلاق: ٣) .

وليس معنى التوكل على الله، أن يترك الإنسان الأخذ بالأسباب، فهذا هو التواكل وهو مذموم، وإنما المراد به الأخذ بالأسباب، مع تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . أى: كفى به ولياً وناصراً ومعيناً لمن توكل عليه وأتاب إليه .

٨٢- أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا . التدبر: التفكير والتأمل فى المعنى .

وتثبت هذه الآية أن القرآن لم يصل إلى شغاف قلوبهم، وإنما قرءوه بأسنتهم، وتطالبهم الآية أن يتدبروه بيقظة وانتباه، وتحضهم على التأمل فيه.

والمعنى: أيعرض هؤلاء المنافقون عن القرآن، فلا يتأملون فيه، ليعلموا أنه من عند الله!؟

فلو تدبروه؛ لأيقنوا أنه من عند الله لا من عند غيره؛ لأن طاقة البشر لا تستطيع الإتيان بهذا الكمال، فى بيان العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والإخبار الصادق عن الماضى والمستقبل، وعالم الغيب وما يجرى فيه .. كل ذلك فى أسلوب بديع متقن بالغ الغاية فى الكمال والتحدى .

إن العلوم التي تقوم على التجارب قد تنقض اليوم، ما أبرمته بالأمس، وتهدم غدًا ما بنته اليوم .  
وفى كتاب للمستشرق: مورييس بوكاي بعنوان: (التوراة، والإنجيل، والقرآن فى ضوء العلم) .  
أثبت فيه أن العلم قد نقض بعض ما جاء فى التوراة عن بدء الخليقة، وحادث الطوفان، وغير ذلك. كما نقض العلم بعض ما جاء فى الأناجيل .

لكن العلم لم ينقض حقيقة واحدة مما جاء فى القرآن الكريم، فقد تكلم القرآن عن حقائق علمية تتصل بالسماء والأرض، والجبال والبحار، والليل والنجوم والشمس والقمر، والحيوان والنبات والإنسان وغير ذلك، ومع تطور العلم تطوراً ملحوظاً فى القرن التاسع عشر، والقرن العشرين الميلاديين، فإن هذا العلم جاء يؤكد صدق القرآن؛ لأن هذا القرآن أنزل على رسول الله ﷺ، وهو أمى نشأ بين أمة أمية، ولم يكن لديه أجهزة علمية، أو معامل ليكتشف بها هذه الحقائق الكثيرة التى حفل بها القرآن، وقد كان النبى رجلاً عادياً عازفاً عما عليه قومه، فلما نزل عليه الوحي: تفجر فمه بالحكمة فى قواعد الإيمان، والأخلاق والسلوك، والتشريع والقضاء ونظام الحكم، والعقوبات، والعبادات، والمعاملات .

فدل ذلك على أن هذا الوحي ليس من صنع محمد، وإنما هو تنزيل من حكيم حميد .

وقد تحدى العرب أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة، وطالت مدة التحدى، مع وجود الحافز والباعث لهؤلاء الكفار، أن يبطلوا حجته فقد قاتلوه وقاتلهم، وأفنوا الأموال والأعداد من الرجال فى سبيل القضاء على دعوته، فلو كان فى استطاعتهم أن يأتوا بمثل القرآن لأتوا به، لكن العجز قد لزمهم، وسجل القرآن هذا العجز بقوله: **قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً . (الإسراء: ٨٨) .**

والمعهود فى كبار الأدباء أن تتفاوت آثارهم قوة وضعفاً، وسمواً وضعفة، ولا يسلم أحد من هذا وإن كان عبقري الموهبة رائع البيان .

أما القرآن الكريم فجميع آياته طبقة عليا من البلاغة والبيان، والسلامة من التناقض والاضطراب مع طول مدة نزوله فقد نزل فى ٢٣ عاماً، ومع هذا نجده آية واحدة فى حسن السبك وجمال النظم، وبراعة الاستهلال وتصريف القول ؛ فقد حكى عن الأمم السابقة، وساق مشاهد الكون، وتناول أخبار القيامة ومشاهد الآخرة، قال تعالى: **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا . (طه: ١١٣)**

وقد أورد ابن كثير فى تفسيره ثلاث روايات لحديث ينهى عن الاختلاف والمراء وضرب القرآن بعضه ببعض ومن هذه الروايات ما يأتى:



عن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً، فإنا لجلوس إذا اختلف اثنان في آية، فارتفعت أصواتهما، فقال: «إنما هلكت الأمم قبلكم؛ باختلافهم في الكتاب»<sup>(٢٧)</sup> رواه مسلم والنسائي.

★ ★ ★

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٣)

#### المضردات:

- أَمْرٌ : خبر عن سرايا الرسول ﷺ .
- الْأَمْنُ : النصر .
- الْخَوْفُ : الهزيمة .
- أَذَاعُوا بِهِ : نشره وأفشوه .
- يَسْتَنْبِطُونَهُ : يستخرجون حقائقه المستورة الخفية ، ومقاصده البعيدة .

#### التفسير:

٨٣- وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ... الآية

تقدم هذه السورة ألوانا من التربية الإسلامية وآدابها، ومن هذه الآداب: التثبت في القول، وألا يحدث الإنسان بكل ما يسمع، وألا ينقل الأخبار إلا بعد التيقن من صدقها. روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»<sup>(٢٧)</sup>.

وفى الصحيحين عن المغيرة بن شعبة «أن رسول الله ﷺ نهى عن قيل وقال»<sup>(٢٨)</sup> أي: الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت ولا تدبر ولا تبين .

وفى الصحيح «من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين»<sup>(٢٩)</sup> وقد نقل ابن كثير في تفسيره طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، تدعو المسلمين إلى التثبت في القول، وعدم نشر الإشاعات والأراجيف، والرجوع إلى الثقات، وإلى أولى الأمر: للتثبت من الأخبار، والتيقن من الأمور قبل المشاركة في إذاعتها وترويجها .

ونلّح أن بعض المنافقين، أو بعض ضعاف النفوس ممن شهوتهم الكلام، كانوا يروجون أخبار النصر والأمن، وأخبار الهزيمة والخوف، وهذه الأمور تسهل للعدو مهمة التجسس، ومعرفة مواطن الضعف والقوة لدى المسلمين .

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ .

فواجب على كل مسلم أن يردّ هذه الأخبار إلى أولى الحلّ والعقد من المسلمين؛ فإنهم هم الذين يستطيعون تقييم هذه الأخبار، وتقدير ما إذا كان من المصلحة العامة للدولة إذاعتها أو كتمانها، كذلك هم - بأطلاعهم على خفايا الأمور - أعرف بصحة تلك الأخبار أو فسادها .

قال ابن كثير:

ونذكر هنا حديث عمر بن الخطاب المتفق على صحته<sup>(٣٠١)</sup>، حين بلغه أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، فاستأذن على رسول الله ﷺ، فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ فقال لا، قال عمر: فمقت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، ونزلت هذه الآية: وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ . فكانت أُنّا استنبطت ذلك الأمر.

ومعنى يستنبطونه: يستخرجونه من معانده، يقال: استنبط الرجل العين إذا حفرها واستخرجها من قعرها<sup>(٣٠٢)</sup>.

والذين يستنبطون الحقائق، هم الذين يطلعون على خفايا الأمور، أو المراد بهم الذين رجعوا بهذه الأخبار - حينما سمعواها - إلى الرسول وأصحابه، فإنهم يعرفون - عن طريقهم - ما خفى عليهم أمره من هذه الأخبار . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا .

ولولا حفظ الله لكم، وتبئتيه لقلوبكم؛ لوقعتم فيما وقع فيه المنافقون، وضعفاء الإيمان وذوو الغفلة، ولولا رحمة الله بهذه الأمة؛ لضل الكثير من أبنائها، باتباع سبيل الشيطان، وكان مصيرها الضياع والانهازم، وضعف الثقة في النفوس .

لكن من عناية الله بهذه الأمة، أن جعل فيها قلة ممتازة، تتميز بقوة العزيمة، وثبات الإيمان، وعدم تصديق الأراجيف أو إذاعتها، وهذه القلة بمثابة الأساس المتين الذي يقوم عليه البناء ويعتمد عليه، ويصح أن يكون المراد بقوله: لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا . إلا في قليل من أعمالكم .

وبالتأمل فيما تضمنته الآية الكريمة من إرشادات حكيمة، يتضح أن القرآن الكريم، قد سبق جميع النظم الحربية، في وضع أقوى الوسائل لمواجهة ما يسمى الآن: الحرب النفسية، أو حرب الأعصاب. وهي التي تدير الحرب العسكرية .

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسِّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾ (٨٤)

## المضردات:

لا تكلف إلا نفسك : لا تكلف إلا فعل نفسك .

وحرض المؤمنين : وحثهم ورغبتهم .

تنكيلا : تعذيبا وإيلا ما .

## التفسير:

٨٤ - فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ... الآية

هذه الآية تفرع على ما سبق من بيان حال المنافقين وضعاف الإيمان، وأنهم مُخَذَّلُونَ  
بإذاعتهم ما يسمعون، قبل التثبيت من صحته.

وهي أمر من الله تعالى لرسوله، ولكل قائد، وكل قادر على القتال من المؤمنين المخلصين، أن  
يُدْفَع ولو منفرداً إلى الجهاد في سبيل الله، عند النفير العام، غير ملتفت إلى المثبطين والمرجفين .

وفي الآية حث على تحمل المسؤولية الفردية، وقيام كل فرد بواجبه، وبذلك تتلاحم الصفوف،  
ويجتمع المسلمون يداً واحدة، كالبنيان المرصوص .

ويفهم من الآية، أن على القائد أن يتقدم جنده، وأن يضرب لهم المثل بنفسه عملياً، وأن يُحَرِّضِ  
المؤمنين على الجهاد، ويحثهم عليه، كما فعل رسول الله ﷺ يوم بدر؛ وهو يسوي الصفوف، فقد قال  
لهم: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض» .<sup>(٣٢)</sup>

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد، من رضى بالله ربا،  
وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً؛ وجبت له الجنة» .<sup>(٣٣)</sup>

قال: فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله؛ ففعل، ثم قال رسول الله ﷺ: «وأخرى  
يرفع الله العبد بها مائة درجة في الجنة؛ ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي  
يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» .

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا . فإذا حُرِّضَ القائد جنوده على  
القتال والجهاد، انبعثت الرغبة في الشهادة، ولا ريب أن الاستعداد للحرب وأخذ العدة والتأهب للقتال،

من شأنه أن يلقي الرعب في قلوب الكفار فيكفون على التحرش بالمسلمين، ولذلك قيل: لا شيء يمنع من الحرب مثل الاستعداد لها .

فإن استعداد المسلمين وأخذهم العدة من شأنه أن يحمل الكفار على التفكير والتروى قبل مواجهة المسلمين، فيتوقفون عن قتالهم، ويكف الله بهذا عن المسلمين شر قوتهم وشدة بأسهم .

وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا . فهو سبحانه أشد قوة من كل ذى قوة، وأشد تعذيباً من كل قادر على التعذيب، وهو سبحانه قادر عليهم فى الدنيا والآخرة. قال تعالى: ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ \* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ \* وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ . (محمد: ٤ - ٧)

★ ★ ★

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٨٥﴾ وَإِذْ أَحْبَبْتُمْ بِنِحْيَةِ فِجْيَؤِ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾

### المضردات :

من يشفع شفاعة : الشفع في الأصل: الضم. ومنه الشفعة. وهى ضم ملك الشريك . ومن الشفع: الشفاعة. كأن المشفوع له كان فردا، فجعلته الشفع شفعا. وتطلق الشفاعة على التوسط لإيصال شخص إلى منفعة دنيوية أو أخروية، أو خلوص من مضرة مأ.

نصيباً : النصيب: الحظ، وهو قابل للزيادة ، وأكثر ما يستعمل في الخير .

كِفْلٌ : الكِفْلُ: الوزر والإثم، أو المقدار المساوى، وأكثر ما يستعمل في الشر .

مُقْتَدِرًا : مقتدرا، أو حافظا وشاهدا .

حَسِيبًا : محاسباً ومجازياً، أو كافياً ، أو حفيظا .

## التفسير:

٨٥ - مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ... الآية

من يسع في أمر فيترتب عليه خير - لفرد أو جماعة - كان له نصيب من أجر ذلك الخير، الذي ترتب على سعيه .

وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا .. أى: ومن يسع في أمر فيترتب عليه شر، كان عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه، وهذا عام في الأمرين.

قال ابن كثير في تفسيره: (أى من يسع في أمر فيترتب عليه خير؛ كان له نصيب من ذلك).

وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا . أى: يكن عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «اشفعوا توجروا، ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء»<sup>(٣٤)</sup>.

وقال مجاهد بن جبير: (نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض).

وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا .. أى: مقتدرًا على مجازاة كل إنسان من المحسنين والمسيئين، بما يستحقه من جزاء، وقال مجاهد: مُقْتَدِرًا . شهيدًا، حسيبًا، وقيل قديرًا وقال الضحاك: المقيت الرزاق .

٨٦ - وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا .

حث الإسلام على صلة الرحم، وعمل على إشاعة المودة والمحبة والتراحم بين المسلمين، ومن أسباب المودة: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام .

روى أبو داود بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ! لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»<sup>(٣٥)</sup>.

ورد السلام فريضة والزيادة على تطوع، فينبغي أن ترد السلام على المسلم وأن تزيد عليه .

روى ابن جرير عن سلمان الفارسي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله! فقال: «وعليك السلام ورحمة الله» ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله فقال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته» ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته؛ فقال له: «وعليك» فقال الرجل: يا نبي الله بأبى أنت وأمى! أتاك فلان وفلان فسلمنا عليك، فرددت عليهما أكثر مما رددت عليّ، فقال: «إنك لم تدع لنا شيئاً، قال الله تعالى: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا .. فرددناها عليك»<sup>(٣٦)</sup>. قال ابن كثير: وهكذا رواه ابن أبي حاتم،

وابن مردويه ولم أره في المسند وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا زيادة في السلام على هذه الصفة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إذ لو شرع أكثر من ذلك لزاده رسول الله ﷺ .

وروى الإمام أحمد بن عمران بن حصين: أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليكم يا رسول الله: فرد عليه السلام ثم جلس فقال: «عشر»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله يا رسول الله: فرد عليه ثم جلس، فقال: «عشرون»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: فرد عليه السلام، ثم جلس فقال: «ثلاثون»<sup>(٣٧)</sup> رواه أبو داود والترمذي والنسائي والبخاري .  
وجاء في التفسير الوسيط:

والرد على تحية الإسلام واجب وإنما التخيير بين الزيادة وتركها. ولا يراد على من سلم أثناء الخطبة، وتلاوة القرآن جهراً، ورواية الحديث، وعند دراسة العلم، وعند الأذان والإقامة. ولا يسلم على لاعب النرد، والشطرنج، والمغنى، والقاعد بقضاء حاجته، والعارى في الحمام .

والسنة أن يسلم الماشى على القاعد، والراكب على الماشى، وراكب الفرس على راكب الحمار، والصغير على الكبير، والعدد القليل على العدد الكثير، وإذا التقيا بادر كل منهما إلى إلقاء السلام على صاحبه، وخيرهما الذى يبدأ .

وجاء في تفسير ابن كثير:

عن ابن عباس قال: من سلم عليك من خلق الله: فاردد عليه وإن كان مجوسياً؛ ذلك بأن الله يقول: فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا أَوْ رَدُّوهُا..

فأما أهل الذمة فلا يبدعون بالسلام، ولا يزدون بل يرد عليهم بما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليكم فقل: وعليك»<sup>(٣٨)</sup> .

وروى أبو داود بسنده إلى أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ! لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»<sup>(٣٩)</sup> . ورواه مسلم أيضاً .

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ... وختمت الآية بما يحرك وجدان المسلم نحو الامتثال والمحافظة، على ما يوطد روابط المحبة والمودة بين الناس، والحرص على إفشاء السلام، وعلى رد التحية أو الزيادة عليها، وعلى ما يملأ قلب المؤمن خوفاً من الله وحذراً من عقابه، فهو سبحانه سريع الحساب، ولا تخفى عليه خافية . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . (الزلزلة: ٨، ٧)

٨٧- اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . إخبار بتوحيد الله وتفرد بالألوهية لجميع المخلوقات.

يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ . هو الذي يجمع الناس - بعد قيامهم من قبورهم - يوم القيامة ليجازى كلًّا بما قدمت يداه، وهذا الجمع لا ريب فيه؛ أو هذا اليوم أت لا شك في مجيئه .

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا . أى: لا أحد أصدق منه فى حديثه وخبره، ووعده ووعيده، فلا إله إلا هو ولا رب سواه، ولا محدث أصدق منه، وحين يدخل أهل النار النار، ويدخل أهل الجنة الجنة، يقول الذين اتقوا ربهم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . (الزمن: ٧٤).

\*\*\*

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَّهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَلَا تَرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَن  
أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ يُجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذُوالُو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ  
سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُواهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ  
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَ وَكُمْ حَصْرَتٌ مِنْهُمْ أَوْ يَقُولُونَ كَلِمَاتٍ يَتَذَلَّلُونَ بِهَا وَلَوْ أَنَّ  
اللَّهَ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَدْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَإِنْ عَذَبْتُمُوهُمْ فَلْيَقْبَلُوهُم مِّنْ قِبَلِكُمْ وَلَا تَجْرُوا  
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

المفردات :

فِتْنَتَيْنِ : فرقتين .

أَرَكَّهُمْ : ردهم إلى الكفر ونكسهم .

أَوْلِيَاءَ : أعوانا ونصراء ؛ توالونهم .

مِيثَاقٌ : عهد .

حَصْرَتٌ : صدورهم ؛ ضاقت صدورهم .

عَذَبْتُمُوهُمْ : تركوا قتالكم .

وَأَقْبَلُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ : وافتقوا إليكم السلام ، وافتقوا إليكم الانقياد والاستسلام .

## التفسير:

٨٨ - فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ... تفيد هذه الآية وجود بعض المنافقين خارج المدينة؛ لأن المنافقين داخل المدينة كشفتهم السور المدنية، وذكرت خصالهم، وأمرت المسلمين بمهادنتهم؛ حتى ينكشف أمرهم، وحتى يقطع المسلمون مصادر قوتهم حيث أخرج المسلمون اليهود من المدينة؛ فضعف أمر المنافقين بعد ذلك .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية عدة أقوال:

ذكر ابن الجوزي في كتابه: زاد المسير في علم التفسير ١٥٢/٢: أن هناك سبعة أقوال في سبب نزولها، (ويمكن أن نختار أربعة أقوال منها) :

١- أن قوما أسلموا، فأصابهم وباء المدينة وحماها، فخرجوا فاستقبلهم نفر من المسلمين، فقالوا: ما لكم خرجتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة، واجتوبيناها، فقالوا: أما لكم في رسالة الله أسوة؟ واختلف بشأنهم؛ فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا؛ فنزلت هذه الآية .

٢- أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى أحد، ورجع ناس ممن خرج معه، فافترق فيهم أصحاب رسول الله، ففرقة تقول: نقتلهم؛ وفرقة تقول: لا نقتلهم، فنزلت هذه الآية، هذا في الصحيحين من قول زيد بن ثابت .

٣- أن قوما كانوا بمكة تكلموا بالإسلام، وكانوا يعاونون المشركين فخرجوا من مكة لحاجة لهم، فقال قوم من المسلمين: اخرجوا إليهم، فاقتلوهم، فإنهم يظهرون عدوكم، وقال قوم: كيف نقتلهم وقد تكلموا بمثل ما تكلمنا به؟! فنزلت هذه الآية .

٤- نزلت هذه الآية في شأن عبد الله بن أبي؛ حين تكلم في عائشة بما تكلم به. رواه ابن جرير الطبري ١٣/٩ ورجع ابن جرير قول من قال: إنها نزلت في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في قوم كانوا ارتدوا بعد إسلامهم من أهل مكة .

ونحن نعلم في قواعد علوم القرآن أنه إذا تعددت الروايات في سبب نزول الآية وبعضها صحيح وبعضها ضعيف أخذنا بالرواية الصحيحة، فإذا كانت الروايات كلها صحيحة وأمکن الجمع بينها؛ حكمنا بتعدد الأسباب والمنزل واحد، فيمكن أن يكون حدث أكثر من سبب أدى إلى نزول هذه الآية.

والجو العام للسيرة النبوية يؤدي إلى ترجيح ما رجحه ابن جرير الطبري واختاره الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن حيث رجح أن الآية نزلت في منافقين كانوا بعيدين عن المدينة، ولعل بعض المسلمين كانت تربطهم بهم قرابة، أو مشاركة في تجارة أو منفعة؛ فأراد القرآن أن يضع قاعدة للمسلمين، تؤكد أن الترابط والتعاون والعمل ينبغى أن يتم على أساس العقيدة والإيمان .



فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا . والخطاب في الآية عام لجميع المؤمنين .

والمعنى: لم تختلفون في القول بكفر هؤلاء المنافقين، وتفتقرون في هذا الأمر فرقتين، وقد ردَّهم الله إلى الكفر، كما كانوا بسبب ما اقترفوه من الاحتيال على رسول الله ﷺ وخديعته، أو معاونة المشركين في إيذاء المسلمين بمكة، حيث بيتوا الشر وأضرموا الردة ؟

ليس لكم أن تختلفوا في شأنهم .. بل كان يجب عليكم - أيها المؤمنون - أن تتفقوا على القطع بكفرهم؛ لظهور أدلة هذا الكفر وذلك النفاق .

لقد يسر الله لهؤلاء المنافقين طريق الإيمان الصادق، ولكنهم تنكبوا طريق الصواب، واختاروا الضلالة على الهدى؛ فسلبهم الله معونته وتوفيقه، وردَّهم إلى الكفر بسبب ما عملوا .

وكلمة أَرْكَسَهُمْ فيها أربعة أقوال:

- ١- ردَّهم .
- ٢- ركست الشيء وأركسته: لغتان أي: نكسهم ورددتهم في كفرهم .
- ٣- أوقعهم .
- ٤- أهلهم<sup>(١)</sup> .

فأما الذي كسبوا فهو كفرهم وارتدادهم .

أَتْرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ . أي: ترشدوه إلى الثواب بأن يحكم لهم بحكم المؤمنين؛ لأن قوما من المؤمنين قالوا: إخواننا وتكلموا بكلمتنا، فبين القرآن خطأ هذا الاتجاه بعد أن ظهر للعيان نفاقهم .

وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ... فإنما يضلُّ الله الظالين، أي: يمدُّ لهم في الضلالة حين يتجهون هم بجهدهم وينتهيهم إلى الضلالة، وعندئذ تغلق في وجوههم سبل الهداية، بما بعدوا عنها وسلخوا غير طريقها، ونبذوا العون والهدى، وتنكروا لمعالم الطريق<sup>(٢)</sup> .

٨٩ - وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... الآية

يفصح القرآن عن حقيقة مشاعر هؤلاء المنافقين، فهم لم يكتفوا بكفرهم، ورجوعهم إلى الضلال، بل يتمنون أن يقضوا على معالم الحق والإيمان .

والقرآن يلمس مشاعر المؤمنين لمسة قوية، مفزع لهم وهو يقول لهم: ودُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ... فقد كانوا حديثي عهد بنبذ الكفر، وتدق حلاوة الإيمان، فمن حاول أن يردَّهم إلى هدة الضلال، وظلام الجاهلية؛ وجب أن ينفروا منه، وأن يبعدوا عنه .

فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... أي: إذا كان الأمر كما علمتم؛ فلا تتخذوا من هؤلاء المنافقين أولياء وأصدقاء، حتى يهاجروا من مكة إلى المدينة؛ إخلاصاً لله، وطلباً لمرضاته .

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ .. فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ، والهجرة الصحيحة، فذلك هو الدليل المادى على نفاقهم وخداعهم.. فَأَسْرِوهُمْ إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْهِمْ، واقتلوهم إذا تمكنتم منهم، فى أى مكان تجدونهم فيه؛ دفعاً لشركهم، ورداً لكيدهم .

وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . أى: ولا تجعلوا منهم - فى هذه الحالة - ولياً يتولى شيئاً من مهام أموركم، ولا نصيراً تستنصرون به على أعدائكم .

إن الإسلام يتسامح مع أصحاب العقائد المخالفة له: فلا يكرههم أبداً على اعتناق عقيدته، بل ويحافظ على حياتهم وأموالهم ودمائهم، وهو يمتنعهم بخير الوطن الإسلامى، بلا تمييز بينهم وبين أهل الإسلام وهو يدعمهم يتحاكمون إلى شريعتهم فى غير ما يتعلق بمسائل النظام العام.

إن الإسلام يتسامح هذا التسامح مع مخالفيه جهاراً نهاراً فى العقيدة، ولكنه لا يتسامح مع من يقولون: إنهم يوحدون الله، ويشهدون بالإسلام ديننا، ويمحمد رسولا، ثم يناصرون أعداء الإسلام، وينضمون إلى معسكر الكافرين؛ لأن فى هذا خداع للإسلام والمسلمين .

٩٠ - إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ... الآية

استثنى الإسلام من هذا الحكم - حكم الأسر والقتل - لهذا الصنف من المنافقين، الذين يعينون أعداء الإسلام؛ من يلجأون إلى معسكر بينه وبين الجماعة الإسلامية عهد - عهد مهادنة أو عهد ذمة - ففى هذه الحالة يأخذون حكم المعسكر الذى يلتجئون إليه ويتصلون به .

من ذلك نلمح رغبة الإسلام فى السلام والوفاء، واحترام العهود والمواثيق .

فهو يجعل من يلجأ ويتصل ويعيش بين قوم معاهدين - عهد ذمة أو عهده هدنة - شأنه شأن القوم المعاهدين يعامل معاملتهم ويسالم مسالمتهم .

أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ... وهذه فئة تريد أن تقف على الحياد، فيما بين قومهم وبين المسلمين من قتال؛ إذ تضيق صدورهم أن يقاتلوا المسلمين مع قومهم، كما تضيق صدورهم أن يقاتلوا قومهم مع المسلمين؛ فيكفوا أيديهم عن الفريقين؛ بسبب هذا التخرج من المساس بهؤلاء أو هؤلاء .

فهؤلاء ليس للمسلمين تسلط عليهم؛ لأن الله كف المسلمين عن قتالهم؛ بما ألقى فى قلوبهم من الميل إلى المودة .

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَتْوُكُمْ . أى: ولولا ذلك الذى ألقاه الله فى نفوسهم: من الميل إلى الموادة، والرغبة فى الحياد؛ لكانوا قوة تضاف إلى قوة الأعداء، وتزيد فى آلام المسلمين .

وهكذا يلمس المنهج التربوى الحكيم نفوس المسلمين المتحمسين، الذين قد لا يرضون هذا الموقف من هذا الفريق، يلمسه بما فى هذا الموقف من فضل الله وتدبيره، ومن كف لجانب من العداء والأذى، كان سيضاعف العيب على عاتق المسلمين<sup>(١٧)</sup> .

وجاء فى تفسير القرطبى أن هذه الآية فيها خمس مسائل منها:

المسألة الخامسة: قوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَتْوُكُمْ .. تسليط الله تعالى المشركين على المؤمنين: هو بأن يقدرهم على ذلك ويقوئهم، إما عقوبة ونقمة عند إذاعة المنكر وظهور المعاصى، وإما ابتلاء واختباراً كما قال تعالى: وَلِتَبْلُوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ .. (محمد: ٣١) . وإما تحميصاً للذنوب كما قال تعالى: وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ .. (آل عمران: ١٤٦) .

ولله أن يفعل ما يشاء، ويسلط من يشاء على من يشاء إذا شاء، ووجه النظم والاتصال بما قبل: أى: اقتلوا المنافقين الذين اختلفتم فيهم، إلا أن يهاجروا، وإلا أن يتصلوا بمن بينكم وبينهم ميثاق، فيدخلون فيما دخلوا فيه قلوبهم، وإلا الذين جاءوكم، وقد حصرت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، فدخلوا فيكم فلا تقتلوهم<sup>(١٨)</sup> .

فَإِنْ عَزَّوْاْ تُوْكُمْ فَلَمْ يَفْعَلُوْاْ فَيُفَاتِلُوْكُمْ وَأَلْقُواْ إِلَيْكُمْ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً .. أى: وما دام هؤلاء الذين جاءوكم متحرجين من قتالكم وقتال قومهم، وقد اختاروا العزلة وعدم القتال، وسارعوا إلى السلم والمسالمة فليس لكم عليهم - أيها المسلمون - أى سبيل أو أدنى تسلط .

قال ابن كثير: أى: فليس لكم أن تقاتلوهم ما دامت حالهم كذلك، وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر من بنى هاشم مع المشركين فحضروا القتال وهم كارهون كالعباس ونحوه، ولهذا نهى النبى ﷺ يومئذ عن قتل العباس وأمر بأسره<sup>(١٩)</sup> .

﴿سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَّارِدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْزَلُوكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا إِلَيْدِيَهُمْ فَخُدُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

المضردات :

أركسوا : انقلبوا .

شقتتموهم : وجدتموهم .

سلطانا مبينا ، حجة ظاهرة .

التفسير :

٩١ - سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ... ينبه الله - سبحانه - المسلمين في

هذه الآية الكريمة إلى طائفة أخرى من المنافقين يلقون المسلمين بوجه، ويلقون كفار قومهم بوجه آخر .. يقصدون بذلك أن يظفروا بالأمن من الجانبين، وهذا الفريق من المنافقين لا يترك قتال المسلمين تخرجاً، ولكن يتركه مراوغة لتحقيق مأربه .

سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ...

قال ابن جرير الطبري: وهؤلاء فريق آخر من المنافقين كانوا يظهرن الإسلام لرسول الله ﷺ وأصحابه: ليأمنوا به عندهم من القتل والسياء، وأخذ الأموال، وهم كفار، يعلم ذلك منهم قومهم، إذا لقوهم كانوا معهم، وعبدوا ما يعبدونه من دون الله، ليأمنوهم على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وذرائعهم يقول الله:

كُلُّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ... يعني: كلما دعاهم قومهم إلى الشرك بالله، ارتدوا فصاروا مشركين مثلهم<sup>(٩١)</sup>.

كُلُّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ...

أُرْكَسُوا فِيهَا .. أي: انهمكوا فيها والفتنة هنا بمعنى الشرك، حكى ابن جرير عن مجاهد: أنها نزلت في قوم من أهل مكة كانوا يأتون النبي ﷺ فيسلمون رياءً، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان، ويعودون إلى عبادة الأصنام، يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا: فأمر بقتلهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا<sup>(٩٢)</sup>.

فَإِنْ لَمْ يَحْتَرِ لَكُمْ وَيُقِرَّ بِالْإِيكُمِ السَّلَامَ وَيَكْفُرَ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ ... أَيْ: فَإِنْ لَمْ يَجْتَنِبْ هَؤُلَاءِ قِتَالَكُمْ، وَيَطْلُبُوا الصَّلَاحَ مَعَكُمْ، وَيَمْدُوا يَدَ السَّلَامِ وَالْأَمْنِ إِلَيْكُمْ، وَيَكْفُرُوا شَرَهُمْ وَأَذَاهُمْ عَنْكُمْ، وَيَقْفُوا مَوْقِفَ الْحَيَادِ وَيَعْلَنُوا بِفَخْذِهِمْ بِالْقُوَّةِ أُسْرَى لَدَيْكُمْ، وَاقْتُلُوهُمْ فِي أَيِّ مَكَانٍ تَدْرِكُونَهُمْ وَتَظْفَرُونَ بِهِمْ عِنْدَهُ، (فَإِنْ دَمَاءَهُمْ لَكُمْ حِينَئِذٍ حَلَالٌ) (٩٢).

وَأَوْلَاكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا.. وَالسُّلْطَانُ الْمُبِينُ . أَيْ: وَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ الْحُجَّةَ الْوَارِضَةَ عَلَى جَوَانِ أَخْذِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، بِسَبَبِ ظُهُورِ عِدْوَانِهِمْ لَكُمْ، وَانْكَشَافِ حَالِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالْغَدْرِ بِكُمْ، وَالْخِيَانَةِ وَالْكَيْدِ لَكُمْ .

\*\*\*

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاؤًا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاؤًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾﴾

المضردات :

فتحرير رقبة ، فعتق رقبة .

يصدقوا ، يتصدقوا بالدية، بالتنازل عنها .

ميثاق ، عهد .

خالدا فيها ، ماكتا مكتا طويلا .

التفسير :

٩٢ - وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاؤًا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاؤًا .. أَيْ: وَمَا أذنَ اللَّهُ لِمُؤْمِنٍ وَلَا أَبَاحَ

لَهُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا يَقُولُ: مَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ فِيمَا جَعَلَ لَهُ رِيءَهُ، وَأذْنُ لَهُ فِيهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْبِتَّةِ (٩٤) .

لقد حرص الإسلام على حفظ العقول والأعراض والأموال والأرواح وقد حرم الله قتل النفس. وفي الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ولا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»<sup>(٩١)</sup>.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ... أى: وما صح وما استقام لمؤمن صادق الإيمان، فيما أتاه ربه في شريعة الإسلام، أن يقتل إنساناً مؤمناً بغير حق إلا خطأ.

وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ... أى: ومن وقع منه القتل الخطأ، فالجواب عليه في هذه الحالة أن يعتق نفساً مؤمنة، وأن يؤدي إلى ورثة القتيل دية يقتسمونها كما يقتسمون الميراث، والدية عوض عن دم القتل، وهي مائة من الإبل أو قيمتها بالدرهم أو الدينير، وقد قدرها عمر رضى الله عنه بألف دينار على من يتعاملون بالذهب، وائتى عشر ألف درهم على من يتعاملون بالفضة.

روى أبو داود عن عمر رضى الله عنه: (على أهل الإبل مائة بدنة، وعلى أهل البقر مائتا بقرة، وعلى أهل الشاة ألف شاة، وعلى أهل الطل مائتا حلة) وتتحمل عشيرة القاتل عنه دفع الدية، فإن لم تكن له عاقلة؛ وجبت على بيت المال، فإن لم يكن فيه؛ وجبت فى مال القاتل، ولا تسقط هذه الدية، إلا فى حال تنازل أهل القتيل عنها، وهذا التنازل نوع من المعروف وكل معروف صدقة<sup>(٩٢)</sup>.

قال تعالى: «إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا». أى تجب الدية إلا أن يعفو أهل القتيل بالتنازل عنها تطوعاً وصدقة، هذا إذا كان المقتول خطأ مؤمناً: من قوم مؤمنين.

فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ... أى: فإن كان المقتول خطأ من قوم كفار معادين للمؤمنين - وهو مؤمن - فالواجب فى هذه الحالة، عتق رقبة مؤمنة، وفكائها من قيد الرق، وإطلاق حريتها؛ كفاً عن هذا القتل الخطأ، ولا دية ... لأنها تعود على أعباء المسلمين المحاربين، ولا يجوز أن يدفع المسلمون أموالهم إلى عدوهم؛ ليتقوى عليهم بسببها، ويحاربهم بها.

روى ابن جرير الطبرى عن قتادة: «فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ. ولا دية لأهله؛ من أجل أنهم كفار، وليس بينهم وبين الله عهد ولا نمة.

وعن ابن عباس قال: كان الرجل يُسلم ثم يأتى قومه فيقيم فيهم وهم مشركون، فيمر بهم الجيش لرسول الله ﷺ فيقتل فيمن يقتل، فيعتق قاتله رقبة ولا دية له.

وقال آخرون: بل عنى به الرجل من أهل الحرب، يقدم دار الإسلام فيسلم، ثم يرجع إلى دار الحرب، فإذا مر بهم الجيش من أهل الإسلام هرب قومه، وأقام ذلك المسلم منهم فيها، فقتله المسلمون وهم يحسبونه كافراً.

روى الطبري في رواية أخرى عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: **فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**. هو المؤمن يكون في العدو من المشركين، يسمعون بالسرية من أصحاب محمد ﷺ، فيفرون، ويثبت المؤمن فيقتل، ففيه تحرير رقية مؤمنة<sup>(٩١)</sup>.

والروايات متقاربة في المعنى، وكلها تثبت معنى الآية أو الفقرة من الآية .

قال ابن كثير:

أى: إذا كان القاتل مؤمناً ولكن أولياءه من الكفار أهل حرب فلا دية لهم، وعلى القاتل تحرير رقية مؤمنة ولا غير .

وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهلهم وتحرير رقية مؤمنة ... أى: وإن كان المقتول خطأ، من قوم كفار بينكم - أيها المسلمون - وبينهم عهد وميثاق، وليسوا أعداء لكم؛ فالواجب - في هذه الحالة - المبادرة بأداء دية تسلّم إلى أهل القاتل؛ تعويضاً عن دمه، كما يجب - كذلك - عتق نفس مؤمنة؛ لأن دماء هؤلاء قد عصمت؛ بحكم ما بينهم وبين المسلمين من ذمة وميثاق.

وقد روى ابن جرير الطبري: أن أهل التأويل اختلفوا في صفة القاتل الذي هو من قوم بيننا وبينهم ميثاق، أهو مؤمن أو كافر؟ فقال بعضهم: هو كافر إلا أنه لزمته قاتله ديته؛ لأن له ولقومه عهداً، فوجب أداء ديته إلى قومه؛ للعهد الذي بينهم وبين المؤمنين، وأنها مال من أموالهم ولا يحل للمؤمنين شيء من أموالهم بغير طيب أنفسهم، وقال آخرون: بل هو مؤمن فعلى قاتله دية يؤديها إلى قومه من المشركين؛ لأنهم أهل ذمة .

وعلق الطبري على القولين بقوله:

وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية، قوله: من قال عنى بذلك المقتول من أهل العهد (سواء أكان مؤمناً أم كافراً) لأن الله أبهم ذلك، ولم يقل وهو مؤمن، فكان في تركه وصفه بالإيمان الذي وصف به القاتل الماضي ذكره قبل، الدليل الواضح على صحة ما قلنا، فإن ظن ظان أن في قوله تبارك وتعالى: **فَدِيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ**، دليلاً على أنه من أهل الإيمان؛ لأن الدية عنده لا تكون إلا لمؤمن، فقد ظن خطأ؛ وذلك أن دية الذمى وأهل الإسلام سواء؛ لإجماع جميعهم على أن ديات عبيدهم الكفار، وعبيد المؤمنين من أهل الإيمان سواء . وذهب قوم إلى أن ديات أهل العهد والميثاق على النصف أو على الثلث من ديات أهل الإيمان، قال الطبري: والراجع أن دياتهم وديات المؤمنين سواء<sup>(٩٢)</sup> .

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره :

وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ... أى: فإن كان القاتل، وأولياؤه أهل ذمة أو هدنة، فلهم دية قتييلهم، فإن كان مؤمناً؛ فدية كاملة، وكذا إن كان كافراً أيضاً؛ عند طائفة من العلماء، وقيل: يجب

فى الكافر نصف دية المسلم، وقيل ثلثها؛ كما هو مفصل فى كتاب الأحكام، ويجب أيضا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة<sup>(٩٣)</sup>.

وفى التفسير الوسيط ما يأتى:

وفى هذا القسم من أقسام القتل الخطأ، لم يوصف المقتول بالإيمان أو الكفر؛ مما يشعر بأن وجود عهد ودية بين المسلمين، يسوى بين الجميع فى الدية والغدية، وبذلك يرتفع الإسلام إلى أعلى مستوى من رعاية حقوق المعاهدين والذميين، وهو تشريع فى رعاية العهد، وحرمة الدم ولا يُسَامَى أبداً، وحرمة الدم الإنساني واضحة فى إيجاب عتق الرقيق فى جميع حالات القتل<sup>(٩٤)</sup>.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَابِعِينَ... أى: فمن لم يجد الرقيق بأن لم يملكه، ولا يملك ما يوصله إليه؛ بأن عجز عن ثمنه، أو عجز عن شرائه مع اليسار بثمنه، فالواجب على القاتل فى هذه الحالة الانتقال إلى البدل، وهو صيام شهرين متتابعين: لا يقع بين أيامهما إفطار بغير عذر يبيح الفطر . قال ابن كثير: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَابِعِينَ... أى: لا إفطار بينهما بل يَسْرُدُ صومهما إلى آخرهما، فإن أفطر من غير عذر من مرض، أو حيض، أو نفاس؛ استأنف؛ واختلفوا فى السفر هل يقطع أم لا على قولين .

تَوْبَةٌ مِنَ اللَّهِ... يعنى: تجاوزا من الله لكم؛ إلى التيسير عليكم بتخفيفه ما خفف عنكم، من فرض تحرير الرقبة المؤمنة إذا أعسرتم بها، بإيجابه صوم شهرين متتابعين<sup>(٩٥)</sup> والصوم المتتابع فيه قمع الشهوة، وإظهار التوبة، وصفاء النفس، وإظهار الأدب بامتنال أمر الله وطاعة أمره .

وقال ابن كثير فى تفسير الآية:

واختلفوا فىمن لا يستطيع الصيام: هل يجب عليه إطعام ستين مسكينا كما فى كفارة الظهار، على قولين:

أحدهما: نعم، كما هو منصوص عليه فى كفارة الظهار، وإنما لم يذكر ههنا؛ لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير؛ فلا يناسب أن يذكر فيه الإطعام، لما فيه من التسهيل والترخيص .

والقول الثانى: لا يعدل إلى الطعام؛ لأنه لو كان واجبا لما أحرَّ بيانته عن وقت الحاجة .

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا... أى: كان الله ولا يزال، عظيم العلم بما يصلح عباده، فيما يكلفهم من فرائضه؛ بالغ الحكمة فى كل ما شرعه من الأحكام .

٩٣ - وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُعْتَمِدًا فَقَدْ آوَاهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ...

أى: ومن يقتل مؤمنا قاصداً قتله؛ فجزاؤه الذى يستحقه على اقتراف تلك الجريمة الشنيعة، دخول



جهنم ماكتا فيها مكتا طويلا، إلى أن يشاء الله إخراجهم من النار فيخرجهم منها؛ إذ ليس المراد من الخلود هنا دوام البقاء في جهنم أبداً؛ فإن الخلود فيها أبداً جزاء الكافرين .

وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ .. أى: وانتقم منه، وأبعدوه سبحانه عن رحمته .

وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ... أى: وقد هيأ الله في جهنم لمن تعمد قتل المؤمن، عذاباً رهيباً، لا يدرك الإنسان غايته لشدة بشاعته .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره:

وهذه الآية تهديد شديد، ووعيد أكيد، لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذى هو مقرون بالشرك فى غير ما آية، فى كتاب الله حيث يقول سبحانه فى سورة الفرقان: وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . (الفرقان: ٦٨) .

وقال تعالى: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . (الأنعام: ١٥١) .

والآيات والأحاديث فى تحريم القتل كثيرة جدا فمن ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء»<sup>(٥٦)</sup> .

وروى أبو داود عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»<sup>(٥٧)</sup> .

وفى الحديث الآخر «لو اجتمع أهل السماوات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم الله فى النار»<sup>(٥٨)</sup> .

وفى الحديث الآخر: «من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة: جاء يوم القيامة مكتوبيا بين عينيه: آيس من رحمة الله»<sup>(٥٩)</sup> .

من تفسير الطبرى،

ساق الطبرى عدة آراء فى صفة القتل الذى يستحق صاحبه أن يسمى متعمداً .

فقال بعضهم: العمد ما كان بحديدة، وشبه العمد ما كان بخشبة، وقال آخرون: كل ما عمد الضارب إتلاف نفس المصروب فهو عمد، إذا كان الذى ضرب به الأغلب منه أن يقتل، وقد رجح الطبرى هذا الرأى .

وأما قوله: فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا .

فقد اختلف أهل التأويل فى معنى هذه الجملة .

١- فقال بعضهم: معناه: فجزاؤه جهنم إن جازاه الله وإن شاء تجاوز عنه .

٢- وقال آخرون: عنى بذلك رجلاً يعينه كان أسلم فارتد عن إسلامه وقتل رجلاً مؤمناً قالوا: فمعنى الآية: ومن قتل مؤمناً مستحلاً قتله؛ فجزاؤه جهنم خالداً فيها .

وقد ساق الطبرى أحاديث تثبت ذلك، وفيها: أن النبى ﷺ قال: «أظنه قد أحدث حدثاً، أما والله لئن كان فعل؛ لا أقيله فى حل ولا حرم ولا سلم ولا حرب؛ فقتل يوم الفتح» (١٠) قال ابن جريج وفيه نزلت هذه الآية، وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا .

٣- وقال آخرون: معنى ذلك: إلا من تاب .

قال مجاهد فى هذه الآية: إلا من ندم .

٤- وقال آخرون: ذلك إيجاب من الله الوعيد لقاتل المؤمن متعمداً، كائناً من كان القاتل، على ما وصفه فى كتابه، ولم يجعل له توبة من فعله، قالوا: فكل قاتل مؤمن عمداً، فله ما أوعدده الله من العذاب والخلود فى النار، ولا توبة له، وقالوا: نزلت هذه الآية بعد التى فى سورة الفرقان .

وفى الحديث الصحيح (١١) الذى رواه الإمام أحمد، ورواه البخارى، ومسلم، أن رجلاً قال ابن عباس- بعد أن كُفَّ بصره - أفرايت إن تاب قاتل المؤمن عمداً، وأمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس ثكلته أمه! وأنى له التوبة؟ فوالذى نفسى بيده لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول: ثكلته أمه قتل رجلاً متعمداً؛ جاء يوم القيامة آخذاً بيمينه أو بشماله، تشخب أوداجه دمًا، فى قُبُل عرش الرحمن، يلزم قاتله بيده الأخرى يقول: سل هذا فيم قتلنى؟! والذى نفس عبد الله بيده، لقد أنزلت هذه الآية، فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم ﷺ وما نزل بعدها من برهان (١٢) .

وقد وردت عدة آثار فى هذا المعنى، تفيد أن عبد الله بن عباس قال فى شأن هذه الآية، التى تحدثت عن جزاء قتل المؤمن عمداً: لقد نزلت فى آخر ما نزل من القرآن، وما نسخها شيء. وعن الضحاک بن مزاحم قال: ما نسخها شيء منذ نزلت، وليس له توبة .

قال الطبرى:

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب، قول من قال: معناه:

ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه - إن جازاه - جهنم خالداً فيها؛ ولكنه يعفو ويتفضل على أهل

الإيمان به ورسوله، فلا يجازيهم بالخلود فيها، ولكنه - عز ذكره - إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار، وإما أن يدخله إياها ثم يخرجها منها؛ بفضل رحمته لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله: **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**. (الزمن: ٥٣).

لقد قال تعالى عن المشرك: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**. (النساء: ١١٦).

والقتل دون الشرك .

تعقيب على الآية .

بعض الناس يستدل بهذه الآية على أن مرتكب الكبيرة في النار .

قال ابن كثير في تفسيره:

والذى عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل، فإن تاب وأناب، وخشع وخضع وعمل عملاً صالحاً؛ بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته، وأرضاه عن طلابته قال الله تعالى:

**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ... إلى قوله ... إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ...** وهذا

خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين، وحمل هذه الآية **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ...** على المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل، والله أعلم .

وقال الله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**. (النساء: ١١٦)

فهذه الآية عامة في جميع الذنوب، ما عدا الشرك .

وثبت في الصحيحين: خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس، ثم سأل عالماً: هل لى من توبة فقال: **ومن يحول بينك وبين التوبة؟! ثم أرشده إلى بلد يعبد الله فيه؛ فهاجر إليه فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة**. (٣٧).

وإذا كان هذا في بنى إسرائيل، فلأن يكون في هذه الأمة : التوبة مقبولة بطريق الأولى والأحرى؛ لأن الله وضع عناء الأصار والأغلال؛ التى كانت عليهم، وبعث نبينا بالحنيفية السمحة (٣٨)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبْنَاؤُمْ وَأَلْبَسْنَا لَكُمْ لِبَاسًا مِّنَ اللَّهِ فَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تَظْهَرُوا أَنَّ لِبَاسًا مِّنَ اللَّهِ قَدْ أُسْرِفَ عَلَيْكُمْ أَسْرَفًا وَمَا كَانَ لِيَؤْتَكُمْ اللَّهُ ثَمَرًا مِّن دُونِ ذَلِكَ إِذْ لَمْ تَعْمَلُوا خَيْرًا ﴿٩٤﴾ ﴾

## المضردات :

ضربتم في سبيل الله، سافرتم للغزو.

فتبينوا، فاطلبوا بيان الأمر والكشف عنه وتثبتوا.

ألقي إليكم السلام، حياكم بتحية الإسلام.

تبتغون عرض الحياة الدنيا، تطلبون متاعها الزائل، ونعيمها الفاني: من مال وغيره.

## التفسير :

٩٤ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبْنَاؤُمْ ... حرص الإسلام على حفظ الأعراس والأموال والدماء والعقول.

وقد ورد في كتب الصحيح وغيرها أسباب نزول هذه الآية وموجزها: أن أحد المسلمين كان في سرية للجهاد فتفرق الأعداء، وبقي رجل في غنمه فلما أدركه المسلم، قال الرجل: السلام عليكم إني مسلم، فقتله المسلم، واستاق ماله؛ فنزلت هذه الآية، تأمر بالثبوت والترؤى وعدم التسرع في قتل إنسان بعد إعلان إسلامه؛ إذ ربما كان الدافع الرغبة في ماله وفي عرض الحياة الدنيا.

وقد ساق ابن جرير الطبري ثمانى عشرة رواية في سبب نزول هذه الآية، منها: ما يفيد أن القاتل هو أسامة بن زيد، والقتيل هو مرادس بن نهيك، ومنها: ما يفيد أن القاتل هو المقداد بن الأسود، ومنها: ما يفيد أن القاتل غيرهما؛ ويمكن الجمع بينهما بتعدد الأحداث ونزول الآية عقب كل منها.

وقد وردت روايات بهذا المعنى في البخارى والترمذى، والحاكم، وغيرهم.

وجاء في تفسير مقاتل بن سليمان ما يأتى:

بعث رسول الله ﷺ سرية عليها أسامة بن زيد إلى بنى ضمرة، فلقوا رجلاً منهم يدعى مرادس ابن نهيك معه غنمه له وجمل أحمر، فلما رآهم أوى إلى كهف جبل، وأتبعه أسامة، فلما بلغ مرادس الكهف، وضع فيه غنمه، ثم أقبل إليهم فقال: «السلام عليكم، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول

الله» فشد عليه أسامة فقتله من أجل جملة وغنمه، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك؛ قال لأسامة: «كيف أنت ولا إله إلا الله»، قال: يا رسول الله، إنما قالها متعوذاً، تعوذُ بها .

فقال له رسول الله ﷺ: «هلاً شققت عن قلبه فنظرت إليه؟» قال: يا رسول الله، إنما قلبه بضعة من جسده<sup>(٩٦)</sup>؛ فأنزل الله خبر هذا، وأخبره إنما قتله من أجل جملة وغنمه فذلك حين يقول: تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..

فلما بلغ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ؛ أي: فتأب الله عليكم؛ حلف أسامة أن ألا يقاتل رجالاً يقول: لا إله إلا الله بعد ذلك الرجل، وما لقي من رسول الله ﷺ فيه<sup>(٩٧)</sup> .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، إِذَا سِيرْتُمْ مَسِيرَةَ اللَّهِ فِي جِهَادِ أَعْدَائِكُمْ .

فَتَبَيَّنُوا . فَتَأَنَّا فِي قَتْلِ مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ؛ وابتحثوا عن الحقيقة، وتثبتوا من حال من تقاتلونهم، ولا تقدموا على قتل أحد، إلا إذا علمتموه يقينا حربا لكم والله ولرسوله .

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلَقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ .. وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ اسْتَسْلَمَ لَكُمْ فَلَمْ يِقَاتِلْكُمْ، مظهرًا لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم .

لَسْتُ مُؤْمِنًا .. أي: إنك إنما أظهرت الإسلام، طلبًا للنجاة، بنفسك ومالك، وليست مخلصًا في إسلامك. وفي الأثر: فقال رسول الله ﷺ للمقداد بن الأسود: «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل!»<sup>(٩٨)</sup> .

تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . تريدون متاع الحياة الدنيا بالاستيلاء على مال الرجل وهو متاع قليل زائل.

فَعِدَّ اللَّهُ مَعَانِيَهُ كَثِيرَةً . من رزقه وفواضل نعمه فهي خير لكم إن أطعتم الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ كَفَّارًا مِثْلَهُمْ، أو تستخفون بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه وأخذتم ماله . فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ . أي: هداكم الله إلى الإسلام، أو إعلان الإيمان، أو التوبة على الذي قتل ذلك الرجل، فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم .

فَتَبَيَّنُوا . تكرير للأمر بالتبيين؛ ليؤكد عليهم .

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . فيعلم ما تخبئه النفوس، وتضمه القلوب، وبواعثها على العمل وغايتها التي لا تنكشف للناس .

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۗ وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ  
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۗ وَكَانَ اللَّهُ  
عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾

المضردات :

القاصدون : المتخلفون عن الجهاد .

أولى الضرر : أصحاب الأمراض والعاهات .

التفسير :

٩٥ - لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ... الآية . بين الله سبحانه فضل الجهاد  
ومنزلة المجاهدين، وصرف القول، وسلك العديد من الطرق: لبيان فضيلة هذه الفريضة .

وقد بين هنا فضل المجاهدين على القاعدين، وهو أمر معروف لأول وهلة، ولكنه ساقه هنا؛  
ليحفز به القاعدين، ويبعث الهمم فيهم إلى الرغبة في الجهاد، وقد ورد في كتب السنة وصحيح  
البخارى أمر خاص يتصل بهذه الآية؛ ودقة هذا الكتاب، والحكمة في نزوله منجماً؛ حتى يرى  
مصالح البش.

روى البخارى عن زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ أملى عليه:

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فجاء ابن أم مكتوم وهو يملأها على  
قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله على رسوله ﷺ،  
وفخذه على فخذي، فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سرى عنه فأنزل الله: غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ. (٩٦)

أى: لا يستوى المتخلفون من المؤمنين الأصحاء، الذين قعدوا عن الخروج للجهاد؛ بدون عذر  
أو مرض أو غير ذلك لا يستوى هؤلاء، والذين خرجوا للجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم في  
الأجر والثواب، وعلو الدرجة عند الله تعالى .

وكيف يستوى من تخلف - بدون أذار - مع الذين بذلوا أرواحهم راضين صابرين؛ لتكون  
كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى؟!؛

جاء في زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي:

قوله تعالى: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ . يعنى: عن الجهاد، والمعنى: أن الجهاد أفضل، قال ابن عباس: وأريد بهذا الجهاد غزوة بدر<sup>(١١١)</sup> وقال مقاتل: غزاة تبوك، والضرر .

والضرر: هو العذر الذى يمنع صاحبه من الجهاد .

وقال بعضهم: هو العجز بالزمانة والمرض .

وقال ابن عباس: هم قوم كانت تحبسهم عن الغزاة أمراض وأوجاع .

وقال الزجاج: الضرر: أن يكون ضريراً أو أعمى أو زماً .

فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . أى: فضل الله المجاهدين، الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، لإعلاء كلمة الحق، ابتغاء مرضاة الله، على الذين قعدوا عن الجهاد بغير عذر درجة عظيمة لا يعلم قدرها إلا الله .

وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى .. أى: وكلأ من فريقى المجاهدين والقاعدين من المؤمنين، وعده الله

المثوبة الحسنى وهى الجنة: لتحقق الإيمان الصادق فيهما .

قال ابن كثير: وفيه دليل على أن الجهاد ليس بفرض عين . بل فرضه على الكفاية<sup>(١١٢)</sup> .

وفى هذه الأيام صار الجهاد فنا من الفنون المعقدة، فالمقاتل يحتاج إلى جهود كثيرة لدراسة

فنون السلام والمناورة، أو الطيران أو الإشارة أو حل رموز الشفرة .

ولا يباح لمن كان عليه دور معين، أن يتخلف عن القتال بدون عذر: فقد توعد الله الغار من

الزحف بالغضب والعذاب .

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ \* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ بئس المصير . (الأنفال: ١٦، ١٥) .

وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . فيه تأكيد لمزيد أجر المقاتلين، وزيادة

درجاتهم لمسارعتهم لتفديت أمر الله، واستجابتهم لنداء الله .

وقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُقَاتِلُوا وَيَقْتُلُوا وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . (التوبة: ١١١) .

٩٦ - دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً... أى: منازل عالية لا يحبط الوصف بفخامتها، وجلال قدرها، تفضل الله بها على المجاهدين، مع مغفرة الذنوب، والرحمة التي يحيطهم بها، ويحفظهم بشمولها .  
وهذه الآية مفسرة للأجر العظيم فى الآية السابقة والمراد بالدرجات درجات الجنة .

روى البخارى ٩/٦، ١٣/٣٤٩ عن أبى هريرة مرفوعا: «إن فى الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»<sup>(٣١)</sup>.

وروى مسلم ٣/١٥٠١ عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد، من رضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا؛ وجبت له الجنة» فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدّها علىّ يا رسول الله! ففعل، ثم قال «وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، قال وما هى يا رسول الله؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، الجهاد فى سبيل الله»<sup>(٣٢)</sup>.

وقال ابن زيد: الدرجات: هى السبع التى ذكرها الله تعالى فى براءة حين قال: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوِطًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ \* وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَاجَتِهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . (التوبة: ١٢٠، ١٢١).

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا.. أى: كان ولا يزال على الداوم، عظيم الغفران لذنوب عباده، واسع الرحمة بكل شىء .

فإن قيل: ما الحكمة من أن الله تعالى ذكر فى أول الكلام درجة وفى آخره درجات؟ فعنه جوابان:

- ١- أن الدرجة الأولى تفضيل المجاهدين على القاعدين من أولى الضرر؛ منزلة، والدرجات تفضيل المجاهدين على القاعدين من غير أولى الضرر؛ منازل كثيرة، وهذا معنى قول ابن عباس .
- ٢- أن الدرجة الأولى درجة المدح والتعظيم، والدرجات منازل الجنة<sup>(٣٣)</sup>.



﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ قَالُوا لَيْتَكُمَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١٩﴾ ﴾

المضردات :

مستضعفين : عاجزين عن القيام بما وجب عليهم .

والوئدان : الصغار أو المراهقين أو الأرقاء .

لا يستطيعون حيلة : لا يجدون سببا موصلا إلى الغرض .

التفسير :

٩٧ - إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ... تبين هذه الآية موقف المسلمين الذين تخلفوا

عن الهجرة من مكة إلى المدينة، مع قدرتهم على هذه الهجرة .

وقد ورد في كتب التفسير: أنها تشير إلى جماعة من المنافقين.

جاء في تفسير ابن كثير عن الضحاک: نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ

بمكة، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا فيمن أصيب، فنزلت هذه الآية الكريمة عامة، في كل

من أقام بين ظهرائي المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم

لنفسه مرتكب حراما بالإجماع، وينص هذه الآية .

وجاء في تفسير الطبري، عدد من الآثار في سبب نزول هذه الآية، تفيد هذه الآثار في جملتها:

أن الآية نزلت فيمن تخلف عن الهجرة؛ وأثر البقاء في دار الكفر .

عن ابن عباس قال:

كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانو يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم،

فأصيب بعضهم؛ فقال المسلمون: «كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروها! فاستغفروا لهم» فنزلت:

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ . الآية .

قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية وأنه لا عذر له .

قال: فخرجوا من مكة فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة<sup>(٧٤)</sup> فنزلت فيهم: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ . (النكبت: ١٠) .

فكتب المسلمون إليهم بذلك فحزنوا وأيسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم: «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ . (النحل: ١١٠) ، فكتبوا إليهم بذلك «إن الله قد جعل لكم مخرجا» فخرجوا فأدرتهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل<sup>(٧٥)</sup> .  
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ .. أَى: تتوفاهم .

طالبي أنفسهم .. أَى: فى حال ظلمهم لأنفسهم حيث أسلموا وآثروا البقاء بين ظهراني المشركين فى دار الكفر، وتحملوا الذل والهوان والقهر – وهم قادرون على التخلص مما هم فيه – من كبت وإذلال– إلى بلد يأمنون فيه على دينهم وأموالهم وأنفسهم .  
إن هؤلاء حين تقبض الملائكة أرواحهم، أَى: ملك الموت وأعوانه .

قَالُوا فِيهِ كُنْتُمْ .. أَى: فى أى شىء كنتم من أمر دينكم الذى يأمركم بالهجرة، والمراد: لم مكنتم هنا وتركتم الهجرة، قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ . قالوا: معتذرين فى وقت لا ينفع فيه الاعتذار: كنا نعيش مهقورين تحت أيدي الكفار: لا تقدر على الخروج من مكة، ولا الذهاب فى الأرض .

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا .. أَى: إن عذرهم عن ذلك التقصير غير مقبول، حيث كان فى إمكانكم الهجرة إلى الحبشة أو إلى المدينة، وللحاق بإخوانكم المهاجرين، والانضمام إلى صفوفهم، ليزدادوا بكم قوة ومنعة .

من تفسير الزمخشري:

وفى هذه الآية دليل على أن الرجل إذا كان فى بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب، والعوائق عن إقامة الدين، أو علم أنه فى غير بلده أقوم بحق الله، وأدوم على العبادة، حقت عليه المهجرة .

اللهم، إن كنت تعلم أن هجرتى إليك لم تكن إلا للفرار بدينى؛ فاجعلها سببا فى خاتمة الخير، ودرك المرجو من فضلك، والمبتغى من رحمتك، وصل جوارى لك، بعكوفى عند بيتك، بجوارك فى دار كرامتك يا واسع المغفرة<sup>(٧٦)</sup> .

قَالُوا لِكُلِّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا .. أَى: فجزاء هؤلاء الذين تخلفوا عن الهجرة أن يكون مسكنهم جهنم؛ لتركهم الفريضة المحتومة – فقد كانت الهجرة واجبة فى صدر الإسلام – أو لنفاقهم وكفرهم، ونصرتهم أعداء الله على رسول الله ﷺ<sup>(٧٧)</sup> .

٩٨- إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَيْسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا .

هذا عذر من الله لهؤلاء المستضعفين في ترك الهجرة؛ لأنهم لا يقدرّون على التخلص من أيدي المشركين أي: لكن الضعفاء من الرجال والنساء والولدان أي: الأطفال والمراهقين الذين لا يقدرّون على حيلة في الخروج من مكة، ولا على نفقة ولا قوة .

وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا .. أي: لا يعرفون الطريق إلى المدينة .

أو لا يعرفون طريقاً يتوجهون إلى إن خرجوا هلكوا<sup>(٧٨)</sup> .

٩٩- فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا . أي: فهؤلاء المستضعفون سيرجى لهم

العفو من الله، لأنه كثير العفو واسع المغفرة .

قال الألوسي: وفيه دليل على أن ترك الهجرة أمر خطير؛ حتى أن المضطر الذي تحقق عدم وجوبها عليه، ينبغي أن يعد تركها ذنباً، ولا يأمن، ويترصّد الفرصة ويعلق قلبه بها<sup>(٧٩)</sup> .

★ ★ ★

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

المضردات :

مِرَاعِمًا : متحولاً يتحول إليه، ومكاناً يتنقل فيه .

وَسَعَةً : السعة: البسطة في العيش ، والزيادة في الرزق .

فقد وقع أجره على الله : أي: ثبت ثوابه عنده .

التفسير :

١٠٠- وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ... الآية

كانت الآيات السابقة في تحذير المسلمين من القعود عن الهجرة . من مكة عند القدرة عليها،

ويعث الرجاء في نفوس المستضعفين بأن الله سيعفو عنهم .

وهذه الآية جاءت بعدها؛ للترغيب في تلك الهجرة : ببيان ثوابها ومنزلتها عند الله تعالى.

وكونها طريقاً للنص، وإذلال الأعداء، وإياباً واسعاً للرزق. وذلك جرياً على عادة القرآن الكريم: من

الجمع بين الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب .

## سبب النزول:

لما نزلت الآيات السابقة فى التحذير من القعود عن الهجرة: خرج ضمرة بن جندب مهاجراً إلى رسول الله ﷺ، فمات فى الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ: فنزلت الآية: وَمَنْ يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ...

أورده ابن كثير عن ابن عباس .

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً .. أى: ومن يعمد إلى مثل تلك الهجرة - فى سبيل إعلاء كلمة الله، والمحافظة على دينه - يجد فى الأرض متسعاً لهجرته، ورحاباً فسيحة، يستطيع التنقل فيها، والتحول إليها، والاستمتاع بخيراتها، واتخاذ الموقع المناسب لضرب الأعداء والنجاة من شرهم .

وفى ذلك ما فيه الإهانة لهم، وإرغام أنوفهم . كما يجد - إلى جانب ذلك - سعة فى الرزق، وبسطة فى العيش ... فلا عذر لأحد من الأقوياء فى القعود عن الهجرة والبقاء فى دار الكفر: مكتوم الأنفاس، متعرضاً لأذى الكفار . قال تعالى: يَا عِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ . (العنكبوت: ٥٦).

وليست الهجرة - بصفة عامة - للهرب من العدو؛ وإنما هى ضرب من الجهاد: للقضاء على سيطرة الأعداء، وتحول من موقع إلى موقع آخر، يمكن منه ضرب العدو، وإلحاق الأذى والذل به، والتمكن من إقامة شعائر الدين فى حرية وطلاقة .

فهى فى الأصل: الانتقال من مكان إلى مكان . والمراد بها : الهجرة من أرض الكفر إلى أى مكان يأمن فيه الإنسان على نفسه وماله ودينه .

وقد هاجر بعض المسلمين - فى أول الإسلام - إلى الحبشة .

ثم كانت الهجرة بعد ذلك من مكة إلى المدينة . وكانت واجبة قبل فتح مكة . وهى التى نزلت فيها آيات الترغيب والترهيب .

ولما تم فتح مكة، واستقر الأمر فيها للمسلمين، وأعز الله فيه الإسلام، لم تعد هناك حاجة إلى الهجرة من مكة . ولهذا قال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية»<sup>(٨٠)</sup> .

وتشمل الهجرة بالمعنى العام: الهجرة فى طلب العلم، والهجرة فى طلب الرزق، والهجرة فى نشر الدعوة الإسلامية فى البلاد التى لم تصلها أو التى هى فى حاجة إليها . وكلها مما رغب الله فيه .

وقد تطلق الهجرة على هجر الذنوب والمعاصى، كما فى قول الرسول ﷺ: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»<sup>(٨١)</sup> .

هذا، وقد تكفل الله تعالى، في هذه الآية الكريمة، بثواب الهجرة كاملاً لمن خرج من بيته بنية الهجرة: لا يريد بذلك إلا وجه الله واللاحق برسول الله، ثم حلَّ به الموت قبل أن يصل إلى مقصده، وإن أدركه أمام باب داره التي خرج منها . فقال جل شأنه:

وَمَنْ يُخْرَجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.. أَى: لإعلاء كلمة الله، فهى ضرب من الجهاد .

ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ: أَى: يلحقه، وينزل به قبل أن يبلغ مقصده .

فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ: أَى ثبت ثوابه عنده، وكان فى ضمانه تعالى؛ بمقتضى وعده وتفضيله:

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا: أَى: كان - ولا يزال - عظيم المغفرة لما فرط من الذنوب، التى من جملتها:

القعود عن الهجرة من غير عذر إلى وقت الخروج إليها .

رُحِيمًا : كثير الرحمة بعباده حيث قبل توبتهم، وغفر ذنوبهم .

فهذه الآية الكريمة : تطمئن المهاجر على رزقه فى مهجره؛ حتى لا يتقاعس عن الهجرة، فترفع

عنه جميع الأعباء، وتفتح له سبل السعادة فى الدنيا، وتعدّه بعظيم الثواب فى الآخرة حتى لو حال الموت بينه وبين ما يتمناه: من إتمام الهجرة فى سبيل الله، بعد أن شرع فيها .

★ ★ ★

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَعْدَاؤُمْ مِينَا ﴾ (١٠١)

المضردات:

ضربتم فى الأرض : سافرتم .

جُنَاحٌ : حرج وإثم

أن تقصروا من الصلاة : أن تخففوها من رباعية إلى ثنائية .

يفتتنكم : يتعرض لكم بما تكرهون من الإغارة عليكم أثناء الصلاة .

التفسير:

١٠١ - وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ... الآية

بعد أن رغبنا الآية السابقة فى الهجرة - وهى مبنية على السفر والخوف من العدو - جاءت

هذه الآية تبين كيفية الصلاة في السفر، وفي حال الخوف من العدو: من جواز قصرها، وتفضيلاً من الله على عباده .

والكلام عن الصلاة في هذا الموطن: للدلالة على أنها وسائل الأمن عند الخوف، وعلى عظم شأنها، وبيان أنها لا تسقط بحال من الأحوال .

والمعنى: وإذا سافرت في الأرض - أيها المسلمون -:

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ : حرج وإثم .

أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ : فتصلوا الرباعية - وهي الظهر والعصر والعشاء - ركعتين .. أما الصبح فلا تقبل القصر ؛ لأنها قصيرة بطبيعتها، وكذلك المغرب لا تقبل القصر؛ لأنها وتر النهار .

وظاهر الآية: إباحة القصر لمطلق السفر، طال أم قصر .. ولكن الفقهاء اختلفوا في تحديد مسافة القصر ومدته، كما اشترط بعضهم أن يكون سفراً مباحاً .. وتفصيل ذلك في موضعه من كتب الفقه.

وظاهر قوله تعالى:

إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا . اشترط الخوف في السفر في جواز القصر . ولكن السنة النبوية بينت أنه يجوز القصر في السفر مع الأمن، كما يجوز فيه عند الخوف .

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: جواباً لمن سأله عن القصر حالة الأمن: «صَدَقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فاقبلوا صدقته !» <sup>(٨٧)</sup> . وقد بين الله سبب الترخيص - في القصر في السفر - عند الخوف من العدو بقوله :

إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا : أي: كانوا لكم أعداء ظاهري العداوة، مجاهرين بها. فتبينوا لعداوتهم واحذروها، وكونوا متيقظين لهم في الصلاة وغيرها .

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَرُيُوسًا فَلْيُقَاسُوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (١٠٢)

المضردات:

طائفة، جماعة.

ولياخذوا حذرهم، وليكونوا متيقظين للعدو، محترسين منه.

فيميلون عليكم، فيهجمون عليكم.

مائلة واحدة، هجمة واحدة يقضون بها عليكم، فلا يحتاجون بعدها إلى هجمة أخرى.

التفسير:

١٠٢- وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ... الآية

لما بين الله حكم القصر في السفر عند الخوف عقبه ببيان كيفية صلاة الخوف.

سبب النزول:

روى الدارقطني، عن أبي عياش الزرقى، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبيلة، فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر. فقالوا: لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: يأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال: فنزل جبريل عليه السلام - بهذه الآية بين الظهر والعصر: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ (٨٧).

ومعنى: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ: وإذا أردت أن تصلى بهم إماما، فلتصل طائفة منهم معك، بعد أن تجعلهم طائفتين، ولتقف الطائفة الأخرى تجاه العدو: لمراقبته، وحراسة المسلمين منه. وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ:

أى: ولتأخذ الطائفة التي تصلى معك أسلحتهم؛ ليتقوا بها العدو عند المفاجأة. فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ. أى: فإذا فرغت الطائفة التي تصلى معك من سجد الركعة الأولى؛ فليصرفوا للحراسة خلفكم. وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكْ: أى: ولتأت طائفة الأخرى التي كانت فى مواجهة العدو للحراسة والمراقبة، والتي لم تصل بعد، فليصلوا معك الركعة الثانية، وهى الأولى لهم. وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ: أى: يجب أن يكونوا دائما متيقظين لمخادعات العدو، وليأخذوا أسلحتهم معهم؛ ليتقوه بها إن بادهءهم؛ لأن الأعداء يتمنون أن ينالوا منكم غرة فى صلاتكم، فيحملوا عليكم جملة واحدة؛ منتهزين فرصة انشغالكم بالصلاة. كما قال تعالى: وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْلِبُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْنِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً: والأمتعة: ما يتمتع به المحارب من لوازمه فى السفر.

والأمر هنا: للوجوب؛ لقوله تعالى بعده:

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ: أى: ولا إثم عليكم فى أن تتركوا أسلحتكم عندما يكون بكم تأذى من المطر أو المرض. وهذا الرخصة لا تعطى إلا فى حال العذر الذى بينه الله فى الآية فى قوله تعالى: وَخُذُوا حِذْرَكُمْ. أى كونوا على حذر دائم، وبخاصة فى تلك الحالة التى وضعت فيها أسلحتكم.

إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا: يهينهم ويخزيهم ويذلهم، يتحقق بعضه على أيديكم بالنصر عليهم؛ إذا اتبعت النصيحة، ونهضتم بالتكليف، وكنتم دائما على صلة بالله، وفى موقف اليقظة والاستعداد بما تستطيعون من قوة، ويتحقق بعضه الآخر بالعذاب الذى يلاقونه يوم القيامة من الله بسبب كفرهم ومحاربتهم أوليائه. فاهتموا بأمرهم ولا تهملوا مباشرة الأسباب.

هذا نموذج من نماذج تأدية الصلاة فى الميدان حين التريص والتهيو.

وقد دلت الآية على أهمية الصلاة وضرورتها، وما للجماعة فيها من ميزة ومنزلة، حتى فى أشد حالات الخوف.

فالصلاة هى المدد الروحى الحافز للرزائم على النصر؛ إذ هى صلة بالله رب العالمين، القادر على كل شئ، وهو مالك الأسباب جميعا للنصر وغيره. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. (آل عمران: ١٢٦).

فعلى المسلمين أن يحرصوا على أداء الصلوات؛ استدراكاً لعون الله. وفى الحروب الحديقة عليهم تأدية الصلاة بالكيفية التى تناسب وضعهم من العدو، بحيث لا يعرض أمنهم للخطر.

وقد بين الشرع طريقتها فى كل حال.

ومنها: أنه إذا التحم الجيشان، فللجندى أن يصلى مستقبل القبلة أو غير مستقبلها، وعلى أية كيفية ممكنة ولو بالإيماء.

وفى ذلك يقول الله تعالى: فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا. (البقرة: ٢٣٩).



﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾

التفسير:

١٠٣ - فإذا قضيتُم الصلاة... الآية. أى: فإذا أديتموها على هذا النحو.

فادكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم.. : يأمر الله - تعالى - بكثرة الذكر عقب صلاة الخوف وإن كان ذلك مشروعا فيه بعد غيرها أيضا - ولكن ههنا أكد، لما وقع فيها من التخفيف فى أركانها، ومن الرخصة فى الحركات الكثيرة التى لا تباح فى غيرها - وكما يذكرونه بالسنتهم يذكرونه بقلوبهم .

فإذا اطمانتم . أى : سكنت قلوبكم من الخوف، وأمنتم بعدما وضعت الحرب أوزارها .

فأقيموا الصلاة . أى: أديوها بأركانها وشروطها كاملة فى مواقيتها .

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً . أى: أقيموها كذلك ؛ لأنها كانت فى حكم الله، ولا زالت مكتوبة مفروضه محددة الأوقات: لا يجوز إخراجها عن أوقاتها فى أمن .

★ ★ ★

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

التفسير:

١٠٤ - وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ .. أى: لا تضعفوا ولا تتوانوا فى طلب الكفار أهل الحرب. لقتالهم:

لأنكم، إن تكونوا تألمون فإنهم يَألمون كما تألمون وتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ . فليست الآلام مختصة بكم. بل هى أمر مشترك بينكم وبينهم . وتزيدون عليهم : أنكم ترجون وتطمعون من الله تعالى. فيما لا يخطر لهم ببال . من نصر دينه الذى أمركم بالجهاد فى سبيله . ومن الثواب الجزيل . والنعيم المقيم فى الآخرة فأنتم تنصرون الله وهو معكم على عدوكم . ومن كان الله معه؛ فهو من المنتصرين . وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا : عظيم العلم بكل شىء، فيعلم ما فيه مصلحتكم فى دنياكم وأخراكم، عظيم الحكمة فيما يأمركم به وينهاكم عنه؛ فجدوا فى الامتنال لأمره ؛ فإن عواقب الامتنال حميدة .

★ ★ ★

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلنَّخَائِثِينَ  
 خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ  
 يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَافًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ  
 وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا  
 يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ  
 يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

## المفردات :

خصيما ، مجادلاً، ومدافعاً.

يختانون أنفسهم ، يخونونها بالظلم والشر؛ لأن وبال ذلك يعود عليها.

يبيتون ، يدبرون خفية.

## التفسير :

١٠٥ - إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلنَّخَائِثِينَ خَصِيمًا.

اختر الله رسوله بشرا من بين الناس؛ ليكون قدوة عملية في سلوكه وله أن يجتهد في الحكم بين الناس وهذا هو رأى الجمهور.

وقال بعضهم: ليس له أن يجتهد؛ لأن الوحي ينزل عليه والوحي قطعى، والاجتهاد ظنى.

وأجيب عن ذلك بأن الوحي قد لا ينزل عليه فى كل وقت؛ فقد تأخر عنه الوحي خمسة عشر يوما.

ثم إن الاجتهاد من صفة العلماء إذا توفرت لديهم شروطه والرسول نوع مختار من البشر يتمتع بالذكاء والبطنة والأمانة فهو أولى أن يتمتع بهذه النعمة، وأن يعمل عقله فى ما لم ينزل عليه وحى بشأنه.

فإذا تخاصم إليه رجلان فمن حقه أن يقضى بينهما، بما ينقدح فى ذهنه بأنه الحق والصواب، ولا يجب عليه انتظار الوحي؛ لأن الوحي من شئون الرسالة والدين ونظام الشريعة. أما شئون الدنيا والقضاء بين الناس فى خصوماتهم العادية، فهو من شئون الناس؛ والرسول ﷺ يقضى بينهم بأصول دينه الذى أوحى إليه، وبما ينقدح فى ذهنه من الحكم بعد الاستماع إلى أطراف القضية.

وقد ساق الإمام ابن كثير في تفسيره طائفة من الأحاديث تتعلق بهذه الآية. منها ما ثبت في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ سمع جليلة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «ألا إنما أنا بشر وإنما أفضى بنحو ما أسمع ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض؛ فأقضى له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها!»<sup>(٨٤)</sup>

**سبب نزول هذه الآية وما بعدها:**

ذكر ابن الجوزي ثلاثة أقوال في سبب نزول هذه الآية.

وقال ابن كثير: ذكر مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في سارق بنى أبيبرق على اختلاف سياقاتهم وهي متقاربة.

وقال ابن الجوزي:

جمهور العلماء على أن المشار إليه بالاستخفاء والتببيت: قوم طعمة بن أبيبرق وقد بيتوا: احتيالهم في براءة صاحبهم بالكذب.

**وقصة الآية:**

أن طعمة بن أبيبرق سرق درعا لقتاده بن النعمان؛ وكان الدرع في جراب فيه دقيق؛ فجعل الدقيق ينتشر من خرق في الجراب، حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، فالتصمت الدرع عند طعمة فلم توجد عنده، وحلف: مالى بها علم، فقال أصحابها: بلى والله، لقد دخل علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق؛ حتى انتهوا إلى منزل اليهودى فأخذوه، فقال: دفعها إلى طعمة بن أبيبرق، فقال قوم طعمة: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ؛ حتى نبرئ أصحابنا وندافع عنه، فمال رسول الله ﷺ إلى كلامهم، وهم أن يجادل عن طعمة بن أبيبرق، وأن يعاقب اليهودى؛ فنزلت هذه الآيات كلها: تبرئ اليهودى وتلطخ طعمة بعار السرقة<sup>(٨٥)</sup> وفى ذلك نلمح صدق القرآن فهو يتحيز إلى الحق، ويدافع عن يهودى برىء، ويوجه الاتهام إلى مسلم خائن؛ لأن القرآن كلام الله الحق، ومن أصدق من الله حديثاً !؟

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ.

إننا أنزلنا إليك القرآن الكريم ناطقاً بالحق، داعياً إليه وإلى التمسك به؛ لتحكم بين الناس على اختلاف عقائدهم، بما عرفك الله وأوحى به إليك، ولا تكن مجادلاً عن الخائنين؛ فينتصروا على البرءاء.

قال ابن الجوزي:

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ . أى: لتقضى بينهم، وفى قوله: بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ. قولان:

أحدهما: أنه الذي علّمه، والذي علّمه ألا يقبل دعوى أحد على أحد إلا ببرهان.

والثاني: أنه مما يؤدي إليه اجتهاده<sup>(٨٧)</sup>.

وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا.

قال الزجاج: لا تكن مخاصما، ولا دافعا عن خائن، واختلفوا هل خاصم عنه أم لا على قولين:

أحدهما: أنه قام خطيبا فعذره.

والثاني: أنه هم بذلك ولم يفعله.

قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن غيره في إثبات

حق أو نفيه، وهو غير عالم بحقيقة أمره؛ لأن الله تعالى عاتب نبيه على مثل ذلك.

١٠٦ - وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا.

أى: واستغفر الله مما هممت به في أمر طعمة وبراءته لظاهر الحال.

قال الالوسي في تفسيره روح المعاني:

والهم بالشىء خصوصا إذا يظن أنه الحق ليس بذنب حتى يستغفر منه، لكن لعظم النبي ﷺ،

وعصمة الله تعالى له، وتذريه عما يوهم النقص - وحاشاه - أمره بالاستغفار؛ لزيادة الثواب،

وإرشاده إلى التثبوت، وأن ما ليس بذنب مما يكاد يعد حسنة من غيره؛ إذا صدر منه عليه الصلاة

والسلام بالنسبة لعظمته، ومقامه المحمود يوشك أن يكون كالذنب؛ فلا متمسك بالأمر بالاستغفار

في عدم العصمة كما زعمه البعض، وقيل: يحتمل أن يكون المراد *وَأَسْتَغْفِرِ*. لأولئك الذين برءوا ذلك

الخائن. *إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا*. مبالغا في المغفرة والرحمة لمن استغفره، وقيل: لمن استغفر له<sup>(٨٨)</sup>.

١٠٧ - وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ... الآية

أى: تدافع. وتوحى هذه الآية بأن قوم طعمة بن أبيرق، بيتوا أمرا سريا لتبرئة طعمة، والصاق

التهمة بيهودى برىء، وهم بذلك قد خانوا غيرهم؛ ولكن القرآن جعلهم خائنين لأنفسهم؛ لارتكابهم

ما يشين هذه النفس، وما يحط من شأنها عند الله.

أو خائنين لمبادئ الجماعة الإسلامية وقوانينها؛ وهى القيام بالقسط والعدل وعلى نفس

الإنسان أو الوالدين والأقربين.

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

*يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ* يخونونها بالمعصية، كقوله تعالى: *عَلِمَ اللَّهُ أَنكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ*. (البقرة: ١٨٧)

جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم، كما جعلت ظلماً لها؛ لأن الضرر راجع إليهم، (فإن قلت): لم قيل لِلْخَائِنِينَ وَيَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ. وكان السارق طعمه بن أبيرق وحده ؟ .

(قلت): لوجهين:

أحدهما: أن قومه شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم.

والثاني: أنه جمع ليتناول طعمة، وكل من خان خيانة، فلا تخاصم لخائن قط، ولا تجادل عنه<sup>(٨٨)</sup>.  
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا.

أى: لا يرضى عن يكثر من الخيانة والإثم، بارتكاب المعاصي، وانتهاك محارم الله، واتهام غيرهم بهتانا وزوراً.

«والذين لا يحبهم الله لا يجوز أن يجادل عنهم أحد ولا أن يحامى عنهم أحد، وقد كرههم الله للإثم والخيانة»<sup>(٨٩)</sup>.

١٠٨ - يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ مَا لَمْ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ... الآية  
يستترون من الناس؛ مخافة أن يظهر أفعالهم بالإثم «والناس لا يملكون لهم نفعاً ولا ضراً بينما الذى يملك النفع والضرر معهم مطلع عليهم وهم يزورون من القول ما لا يرضاه، فأى موقف يدعوا إلى الزرابة والاستهزاء أكثر من هذا الموقف؟!»<sup>(٩٠)</sup>.

قال الزمخشري فى الكشاف:

وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم - إن كانوا مؤمنين - أنهم فى حضرته<sup>(٩١)</sup>.

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا...

أى: وكان الله بجميع أعمالهم - عليما - شامل العلم، فلا تخفى عليه خليات نفوسهم، وخفايا أسرارهم، وهم تحت عينه وفى قبضته.

١٠٩ - هَاتَمْتُ هَوْلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... الآية

تجىء هذه الآية فى مقام الإنكار، على هؤلاء الذين جادلوا عن طعمة بن أبيرق، وألصقوا التهمة بيهودى برىء.

والمعنى: هبوا أنكم بذلتم الجهد فى المخاصمة عن أشارت إليه الأخبار فى الدنيا.

فما جدوى الجدل فى الدنيا، إذا كان ذلك لا يغنى عنهم من عذاب الله شيئاً ؟ !

فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَي: فمن يخاصمه في ذلك اليوم الثقيل الذي تنطق فيه جارية بما اجترحت. يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. (النور: ٢٤)

أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا. أَي: حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه وأصل معنى الوكيل: الشخص الذي توكل الأمور له وتسند إليه، وتفسيره: بالحافظ والمحامي؛ مجاز من باب استعمال الشيء في لازم معناه<sup>(٩١)</sup>.

★ ★ ★

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾  
وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ. وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ  
خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ رَدَّهَا بِرِيءًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَا فَضْلَ اللَّهُ عَلَيْكَ  
وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ  
وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ  
تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

#### المفردات :

بُهْتَانًا : البهتان : أفحش الكذب .

خَطِيئَةً : صغيرة .

إِثْمًا : كبيرة .

#### التفسير :

١١٠ - وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا .

فتح الإسلام باب التوبة على مصراعيه، ولم يجعل وساطة بين العبد وربّه، ويسرّ للمذنب باب التوبة والندم، وأخبر الله بقبول توبة التائبين في كل وقت من أوقات الليل والنهار، وبين الإسلام أن خطيئة البشر ليست لعنة أبدية، وإنما هي كبوّة يمكن للعبد أن يستقيم بعدها ويطلب المغفرة من الله بالتوبة النصوح، والندم والاستقامة .

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا. أَي: أمرا قبيحا يسوء به غيره، كما فعل طعمة بن أبيرق باليهودي .

أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ. بما يفعله من الذنوب التي يغضب بها الله وقيل: السوء ما دون الشرك، والظلم: الشرك، وقيل: السوء الصغيرة، والظلم: الكبيرة .

ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ. يطلب مغفرة الله بالتوبة الصادقة .

يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. لما استغفره منه، كائنًا ما كان الإثم المرتكب .

رَحِيمًا . متفضلا على عباده رحيمًا بهم .

قال تعالى : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ . (الأعراف: ١٥٦)

وفيه حث لمن نزلت الآية بشأنهم من المذنبين على التوبة والاستغفار .

١١١ - وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ... الآية

ومن يفعل ذنبًا من الذنوب؛ فإنما يعود جزاؤه على نفسه لا يتعداه إلى غيره .

جاء في ظلال القرآن :

ليست هناك خطيئة موروثه في الإسلام، كالتى تتحدث عنها تصورات الكنيسة، كما أنه ليست هناك كفارة غير الكفارة التى تؤديها النفس عن نفسها، وعندئذ تنطلق كل نفس حذرة مما تكسب، مطمئنة إلى أنها لا تحاسب إلا على ما تكسب .. توازن عجيب ! فى هذا التصور الفريد، هو إحدى خصائص التصور الإسلامى وأحد مقوماته التى تطمئن الفطرة وتحقق العدل الإلهى المطلق، المطلوب أن يحاكيه بنو الإنسان

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا . بكل شيء ومنه الكسب .

حَكِيمًا فى كل ما قَدَّرَ وقضى، ومن ذلك لا تحمل وازرة وزر أخرى .

١١٢ - وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا .

ومن يرتكب خطيئة صغيرة أو إثماً، أو كبيرة من المعاصى ثم يتهم بها بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً وإثماً. فى رميه البريء وإثماً فى ارتكابه الذنب الذى رمى به البريء، وقد احتملها معه وكأنما البهتان والإثم حملاً يحمل على طريقة القرآن فى تجسيم المعنى، وإبراز الصورة الأثمة لشخص يذنب ويلقى تبعة الذنب على الأبرياء .

١١٣- وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ... الآية  
 وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ. أى عصمته وأطافه بك بإعلامك عن طريق الوحي بما دبروه وأخفوه.  
 لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ. من قوم طعنة بن أبيرق.

أَنْ يُضِلُّوكَ. عن القضاء بالحق، وتوخي طريق العدل، مع علمهم بأن الجانى هو صاحبهم، فقد روى أن ناساً منهم كانوا يعلمون كنه القصة (١٣٢).

وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ. وما يعود ضرر ذلك إلا على أنفسهم؛ لوقوعهم فى الضلالة والكذب والافتراء، وتضليل العدالة.

وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ. فقد تكفل الله بحفظك وعصمتك.

وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ. وهو القرآن الكريم.

وَالْحِكْمَةَ. بيان ما فى الكتاب، وإلهام الصواب، وإلقاء صحة الجواب فى الروح (١٣٤).

وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. من أخبار الأولين والآخرين

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا. بالنبوة والرسالة وجميع الفضائل التى خص الله بها رسوله، فكان خاتم الرسل، وصاحب الشفاعة وأمه آخر الأمم، وكتابه آخر الكتب، وملايين المآذن تردد اسمه عند كل أذان.

وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إذا قال فى الخمس المؤذن: أشهد

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلُوهُ فذو العرش محمود وهذا محمد

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الْجَامِعَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ، أو أنزل عليك القرآن والسنة، وعلمك ما لم تعلمه من العلوم والمعارف الربانية.

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا. لا تحويه عبارة ولا تحيط به إشارة.

ومن ذلك: النبوة والرسالة، وإرشادك إلى أخطاء المخطئين.



﴿ لَأَخِيرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ  
بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾  
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ  
مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾

## المفردات :

**نجواههم** : النجوى: المسارة بالحديث بين اثنين فأكثر . قاله الزجاج . وعرفها بعضهم :  
بالحديث الذي ينفرد به اثنان فأكثر ، سرًا أو جهراً . وعلى كل ، فضمير نجواهم  
للناس عامة ؛ لأن الحكم عام .

**أومعروف** : هو ما عرف حسنه شرعا أو عرفا . فينتظم أصناف البر والخير .  
ابتغاء مرضاة الله ، طلباً لرضاه .

**يشاقق الرسول** : يخالفه فيما أمر به ، أو نهى عنه .

**نؤله ما تولى** ، حقيقة معنى نؤله : نجعله والياً ، يقال : تولاه . بمعنى : تقلده واضطلع به ، وولاه  
غيره . جعله والياً ، ومضطلعا بالأمر .

والمعنى المقصود : هو أن توفيق الله تعالى - يتخطى عنه .

## التفسير :

١١٤ - لَأَخِيرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ... الآية

لما بين الله تعالى - قبل هذه الآية - أنه أنزل على رسوله ﷺ ، الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم  
يكن يعلم : أتبعه ذكر بعض ما أنزله عليه من الكتاب والحكمة مما يدعم أواصر المحبة بين الناس،  
ويقضى على أسباب النزاع بينهم . كما أن فيه رداً على من كان يحرض رسول الله ﷺ ، على أن  
يقضى لصالح من سرق الدرع وخباها عند اليهودي، فيبرئه ويقضى على اليهودي !!

والمعنى : لا خير في أحاديث الناس فيما بينهم، إلا في حديث من أمر بصدقة - واجبة كانت  
أو متطوعا بها، أو أمر بما عرف حسنه شرعا أو عرفا، ولم يعارض قاعدة شرعية، وتقبله العقول  
الخالصة من الهوى بالرضاء، أو أمر بإصلاح بين الناس؛ حتى يُحلَّ الوثام محل الخصام .

فهذه الجهات الثلاث، هي التي تكون النجوى - أئ: الحديث الجانبى فيها - خيرا مشروعا  
مثابا عليه .

أما الأحاديث الجانبية التى يتأمر فيها المتأمرين على الإضرار بعباد الله، أو يتناجى فيها  
المتناجون بالمعاصى والهذيان؛ فلا خير فيها ولا ثواب عليها، بل يعاقب عليها؛ لأنها كانت فى  
معصية الله تعالى .

فإنما يثاب الإنسان على المعروف، إذا ترك الامتنان والإعجاب به، ولا يتم المعروف - كما  
قال ابن عباس - رضى الله عنهما - «إلا بثلاث: تعجيله، وتصغيره، وستره . فإذا عجلته هنأته<sup>(١١٤)</sup>  
وإذا صغّره عظّمته، وإذا سترته أتممته» .

وقد دعت الآية الكريمة إلى فضيلة الإصلاح بين الناس، وجعلتها خيرا مثابا عليه؛ لما لها من  
الأثر العظيم فيهم، حيث تُحلُّ الوثام محل الخصام، والراحة النفسية محل القلق، والتفكير فى الخير  
مكان التفكير فى الشر؛ فيسود الأمن والسلام .

وقد أباح الإسلام الكذب الأبيض فى سبيل الإصلاح، مع أن الكذب - بصفة عامة - حرام؛ لأن  
هذا غير ضار بأحد . وهو مؤدّب إلى مصلحة مؤكدة، كأن تقول لكلا الخصمين عن صاحبه : سمعته  
يثنى عليك ويصفك بطيب النية، وحسن الطوية والمروءة، ونحو ذلك مما يلين قلب الخصم نحو أخيه  
فى حين أنك لم تسمع ذلك منه .

وفى ذلك يروى حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه - أم كلثوم بنت عقبة - أنها أخبرته  
أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس، فيمنى خيرا أو يقول خيرا»  
وقالت : لم أسمع به يرخص فى شيء مما يقوله الناس، إلا فى ثلاث : فى الحرب، والإصلاح بين الناس،  
وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها<sup>(١١٥)</sup> .

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا . أئ: ومن يتناجى ويتحدث مع غيره -  
فى خلوة - بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، ويرشده إليها وينصحه بها؛ فسوف يعطيه الله  
على ذلك ثوابا جزيلًا : يناسب عظمة المنعم .

وإذا كان هذا ثواب التنجى بها، والإرشاد إليها، فثواب فعلها أعظم .

أما أن يأمر بها الإنسان ولا يفعلها، فذلك جرمه عظيم، ووعيده شديد، قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ . (الصف: ٣، ٢)

١١٥- وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا .

المعنى : ومن يخالف الرسول فيما أمر به عن الله تعالى أو نهى عنه، ويتبع غير طريق المؤمنين فى عقيدته أو عمله، بأن يكفر أو يترك الواجبات، أو يفعل المنهيات - من بعد ما ظهر له ما يهديه من أدلة اليقين وأحكام الدين - نتركه وما تولاه وانصرف إليه، وقام به من الكفر والمعاصى .. فلا نلطف به لصراف قواه إليه، وعدم مراجعته نفسه فيه، وندخله جهنم فيخلد فيها إن كان كافرا ويعاقب فيها على قدر معصيته إن كان عاصيا .. وقبحت جهنم مصيرا !

فلا ينهى لعاقل أن يقترب من المعاصى ما يجعلها مصيرا له ومآلا .

### الأحكام :

استدل الإمام الشافعى - رضى الله عنه - بهذه الآية، على أن الإجماع من أهل الحق حجة .

جاء فى تفسير روح المعانى للالوسى ١٤٩/٥ .

عن المزنى أنه قال : «كنت عند الشافعى يوما، فجاء شيخ عليه لباس صوف وببده عصا، فلما رآه ذا مهابة، استوى جالسا، وكان مستندا إلى الأستوانة<sup>(١٧)</sup> وسوى ثيابه : فقال الشيخ : ما الحجة فى دين الله تعالى ؟ قال الشافعى : كتابه . قال : وماذا ؟ قال سنة نبيه ﷺ . قال : وماذا ؟ قال: اتفاق الأمة . قال : من أين هذا الأخير ؟ أهو فى كتاب الله تعالى ؟ فتدبر الشافعى ساعة ساكتا فقال له الشيخ: أجلك ثلاثة أيام بلياليهن، فإن جنت بآية، وإلا فاعتزل الناس .. فمكث ثلاثة أيام لا يخرج. وخرج فى اليوم الثالث بين الظهر والعصر، وقد تغير لونه، فجاء الشيخ وسلم عليه وجلس، وقال : حاجتى : فقال : نعم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . قال الله تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ... الآية. فدللت الآية على أن اتباع سبيل المؤمنين فيما يذهبون إليه من الأحكام فرض: لورود الوعيد فيمن لم يتبع سبيلهم . قال الشيخ : صدقت وقام وانصرف<sup>(١٨)</sup> .

والآية لا تغيد الخلود فى النار لمن يرتكب المعاصى، بل تغيد عقوبتهم بالصيرورة إلى النار، وذلك لا يقتضى التابيد، خلافا لمن زعم ذلك من الخوارج، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة كافر خالد فى النار، ويجسم دعواهم قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...

روى الترمذى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه قال : ما فى القرآن آية أحبُّ إلى من هذه الآية : إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...

وفيما يلى نص تفسيرها .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّاهُمْ وَلَا مُبِينَهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ أَذَانُ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْفِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَاؤُنْهْمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

## المضردات :

- مادون ذلك : ما سوى الشرك من المعاصي .  
 ضلالا ببعيدا : أى : بعدا عن الحق عظيما .  
 إن يدعون : ما ينادون ، أو ما يعبدون .  
 إلا إنثا : أى : معبودات كالإناث فى الضعف ، وعدم القدرة على الإسعاف بالمطلوب .  
 وفيها معانٍ أخرى ، ستأتى فى الشرح بمشيئة الله .  
 شيطانا مريدا : الشيطان هنا : إبليس - لعنه الله - والمريد : بمعنى : المتمرد على الطاعة .  
 أو المتمرد للشرك . من قولهم : شجرة مرداء . وهى التى سقط ورقها .  
 لعنه الله : طرده من رحمته .  
 لا تخذنى : الاتخاذ : أخذ الشيء على وجه الاختصاص .  
 نصيبا مفروضا : حظا مقسوما . وسيأتى بيانه فى الشرح .  
 ولا مئيينهم : أى : لأعلنهم بالأماني الكاذبة .  
 فليبتكن آذان الأنعام : الأنعام : الإبل والبقر والغنم والمعز . وغلب استعمالها فى الإبل خاصة . وتبتك  
 الأنعام : تقطيع آذانها أو شقها . وكانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية وسيأتى بيانه .  
 فليغيرن خلق الله : صورة أو صفة ، ككفأ عين الفحل . وسيأتى بيانه ، وكخصاء العبيد ، وإتيان  
 الذكور بدل الإناث .  
 وليئا من دون الله : أى : معبودا وناصرا ، متجاوزا ، وتاركه له .

خسراننا مبيننا ، أئ: خسرانا بينا واضحا .  
 إلا غـروروا ، إلا إيهاما وغشا وخداعا .  
 ماواهم جهنم : مستقرهم ومرجعهم .  
 محيصا : معدلا ومهريا .

التفسير:

١١٦ - إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ... الآية

سبب النزول :

فى سبب نزول هذه الآية قولان :

أحدهما : أنه نزلت فى حق طعمة بن أبيرق لما هرب من مكة ومات على الشرك وهذا قول الجمهور .

والثانى : أن شيخا من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إني منكم فى الذنوب، إلا أنى لم أشرك بالله منذ عرفته، وإني لنادم مستغفر فما حالى فنزلت هذه الآية ..  
 روى هذا القول عن ابن عباس<sup>(٩٧)</sup> .

تمهيد :

الشرك بالله كبيرة وإثم وخروج عن مألوف الفطرة فقد خلق الله الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وفضل على كثير من خلقه، ووضع له الدلائل والأمارات على ألوهيته، ونادى الإنسان بقوله:  
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. (البقرة: ٢١).

وفى الحديث الصحيح : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال : الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور وشهادة الزور»<sup>(٩٨)</sup> .

المعنى :

إن الله لا يغفر لطمعة بن أبيرق إذ أشرك ومات على شركه بالله، ولا لغيره من خلقه بشركهم وكفرهم<sup>(٩٩)</sup> .

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ. ويغفر ما دون الشرك بالله من الذنوب: إذا ندم المذنب وتاب إلى الله.

وهذه الآية من أرحى آيات المغفرة فى القرآن الكريم، والمقصود من الشرك بالله: الكفر به مطلقا، فيشمل نسبة الولد أو الصاحبة إليه، وإنكار وجوده - سبحانه وتعالى - وإنما ذكر الشرك فى الآية: لأنه كان الاعتقاد السائد فى الجزيرة العربية التى نشأت فيها الدعوة الإسلامية .

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا. ومن يجعل لله فى عبادته شريكا، أو يكفر به بأى وجه فقد ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل ذهابا بعيدا، وزوالا شديدا، وذلك أنه بإشراكه بالله فى

عبادته قد أطاع الشيطان وسلك طريقه وترك طاعة الله ومنهاج دينه فذلك هو الضلال البعيد والخسران المبين<sup>(١٠٧)</sup>.

وجاء فى تفسير ابن كثير: روى الترمذى عن على رضى الله عنه قال: ما فى القرآن آية أحب إلى من هذه الآية إن الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ... الآية<sup>(١٠٨)</sup>.

١١٧- إن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا ...

نقل ابن جرير الطبرى عدة آراء فى معنى الإناث، وقد اختصرها ابن الجوزى فى زاد المسير فقال: وللمفسرين فى معنى الإناث أربعة أقوال:

١- الإناث بمعنى: الأموال؛ قال الحسن: كل شيء لا روح فيه كالحجر والخشبة فهو إناث.

٢- الإناث: الأوثان، وهو قول عائشة ومجاهد.

٣- أنها الملائكة، كانوا يزعمون أنها بنات الله، قال تعالى: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا. (الزخرف: ١٩).

٤- إن الإناث: اللات والعزى ومناة كلهن مؤنث، روى عن الحسن قال: لم يكن حى من أحياء العرب إلا ولهم صنم يسمونه أنثى بنى فلان، فنزلت هذه الآية، قال الزجاج: والمعنى ما يدعون إلا ما يسمونه باسم الإناث.

قال الطبرى: وأولى التأويلات بالصواب قول من قال:

عنى بذلك الآلهة التى كان مشركو العرب يعبدونها من دون الله، ويسمونها الإناث من الأسماء كالكالات والعزى ونائلة ومناة وما أشبه ذلك.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن الأظهر من معانى الإناث فى كلام العرب، ما عرف بالتأنيث دون غيره، فإذا كان ذلك كذلك، فالواجب توجيه تأويله إلى الأشهر من معانيه.

وإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية:

إن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا. ما يدعو الذين يشاقون الرسول، إلا ما سموه بأسماء الإناث، كالكالات والعزى وما أشبه ذلك.

وحسب هؤلاء الذين أشركوا بالله، وعبدوا الأوثان والأصنام، حجة عليهم فى ضلالهم وكفرهم، أنهم يعبدون إناثا ويدعونها آلهة وأرباباً، والإناث من كل شيء أخس، فهم يقرون للخسيس من الأشياء بالعبودية، على علم منهم بخساسته، ويمتنعون عن إخلاص العبودية للذى له ملك كل شيء ويبيده الخلق والأمر<sup>(١٠٩)</sup>.

وَأَن يَذُوعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا وما يعبدون أو ما ينادون في الواقع إلا شيطاناً شريراً عاتياً متمرداً، خارجاً عن الطاعة، وهو إبليس؛ فهو الذي زين لهم دعاءها وعبادتها؛ فأطاعوه، فكانت طاعتهم له عبادة.

١١٨ - لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لِأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا .

لَعْنَةُ اللَّهِ . طرده وأبعده عن رحمته؛ لتمرده واستكباره عن طاعة ربه، وعدم سجوده لآدم، فأخرجه الله من الجنة مذموماً مدحوراً مطروداً من رحمة الله في عاجله وأجله .

وَقَالَ لِأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا . أي: بعد أن لعنه الله وطرده من جوارحه، قال يخاطب الله تعالى: لِأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا . يريد تأكيد استيلائه - بالوسوسة - على إرادة أبناء آدم عدوه؛ حتى يسخرها في سبيل الغواية والفساد عقيدة وعملاً حتى كأنهم نصيب مفروض مقطوع له.

قال الزجاج: الفرض في اللغة: القطع، والفرض فيما ألزمه الله العباد جعله حتما عليهم قاطعاً.

وقال مقاتل: النصيب المفروض: أن من كل ألف إنسان واحد في الجنة وسائرهم في النار، وفي تفسير القرطبي ٣٨٨/٥ قلت: وهذا صحيح معنى، يعضده قوله تعالى لآدم يوم القيامة: «ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين»<sup>(١٠٠)</sup> أخرجه مسلم، وبعث النار: هو نصيب الشيطان .

وفي تفسير ابن كثير: وَقَالَ لِأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا . أي: معينا مقدراً معلوماً. قال قتادة: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة<sup>(١٠١)</sup> .

وقال ابن قتيبة: أي: حظاً أفترضه لنفسى منهم فأضلهم<sup>(١٠٢)</sup> .

١١٩ - وَلَا ضَلِيلٌ لَهُمْ وَلَا مَنِينٌ وَلَا مَنِينٌ وَلَا مَنِينٌ فَلْيَبْكِتْ عَادَانَ الْأَنْعَامِ ...

يؤكد الشيطان اللعين تأكيداً بعد تأكيد، أنه سيضل عباد الله عن الحق .

قال الألويسي: وَلَا مَنِينٌ لَهُمْ . الأمانى الباطلة، وأقوالهم: ليس وراءكم بعث، ولا نشر، ولا جنة، ولا نار، ولا ثواب ولا عقاب، فافعلوا ما شئتم، وقيل: أمنيتهم بطول البقاء في الدنيا فيسوفون في العمل. وقيل: أمنيتهم بالأهواء الباطلة، الداعية إلى المعصية، وأزين لهم شهوات الدنيا وزمراتها، وأدعو كلا منهم إلى ما يميل إليه بطبعه فأضده بذلك عن الطاعة .

وَلَا مَنِينٌ لَهُمْ فَلْيَبْكِتْ عَادَانَ الْأَنْعَامِ . يؤكد الشيطان أنه سيأمرهم بتبكيك آذان الأنعام؛ فيطيعون أمره .. وتبكيك آذان الأنعام: تقطيعها أو شقها .

وهذا إشارة إلى ما كانت الجاهلية تفعله: من شق أو قطع أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن، وجاء الخامس ذكراً؛ وتحريم ركوبها، وسائر وجوه الانتفاع بها<sup>(١٠٣)</sup> .

وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَيَغْبِرُونَ خَلَقَ اللَّهُ. إن الشيطان يوسوس للإنسان؛ ليخرجه عن فطرة الله، ويزحزحه عن منهج الله، ويدعوه إلى تغيير خلق الله؛ لتحقيق شهواته وأوهامه ولذائذه، كما يزين الشيطان لأتباعه تغيير فطرة الله تعالى وهي الإسلام.

ومن تغيير خلق الله: ترجل النساء، وتخنث الرجال، واللواط والسحاق، وعبادة الشمس والقمر والنار والحجارة مثلا، واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالاً، ولا يوجب لها من الله سبحانه زلفى<sup>(١١٠)</sup>.

ويلحق بذلك خصاء العبيد وهو حرام منهي عنه.

وهناك تغيير أمرت به السنّة، كالختان ووسم البهائم لحاجة تعريفها حتى لا تختلط بغيرها، والوسم: كى البهائم بمكواة يسمونها: الميسم.

جاء فى صحيح مسلم عن أنس قال: «رأيت فى يد رسول الله ﷺ الميسم وهو يسم إبل الصدقة والفقير، وغير ذلك؛ حتى يعرف كل مال فيؤدى فيه حقّه ولا يتجاوز به إلى غيره»<sup>(١١١)</sup>.

كما يستثنى من تغير خلق الله الخضاب بالحناء.

وبالكتم - وهو السواد - لإرهاب العدو، والوشم لحاجة، وخضب اللحية وقص ما زاد منها على السنة ونحو ذلك<sup>(١١٢)</sup>.

وَمَنْ يَخِذْ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا. فى المراد بالولى قولان: أحدهما: أنه بمعنى: الربّ.

والثانى: من الموالاة: أى: ومن يجعل الشيطان صاحبا يتبعه وينقاد له، متجاوزا أوامر الله تعالى، بإيثار ما يدعو إليه الشيطان على ما يأمر به الله.

فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا. أى: فقد خسر الدنيا والآخرة وتلك خسارة لا جبر لها، ولا استدراك لغائتها.

١٢٠ - يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا.

يعد الشيطان عباد الله على معصيته أحلى الوعود المكذوبة، ويمنّيهم بأحلى الأمانى الباطلة. وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا. وهو إيهام النفع فيما فيه الضرر، وهذا الوعد والأمر إما بالخواطر الفاسدة، وإما بلسان أوليائه.

والغرور: الأمانى الكاذبة والباطل، أو يقول له: سيطول عمرك وتنال من الدنيا مرادك.

حتى إذا صحصص الحق، واحتاج المغرورون إلى الشيطان، قال لهم عدو الله: ما جاء فى الآية

٢٢ من سورة إبراهيم:



وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ.

١٢١- أُولَئِكَ مَاوَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا .

أولئك الذين يتخذون الشيطان وليا من دون مستقرهم جميعا فى جهنم ولا يجدون عنها معدلا يعدلون إليه ولا مهرباً ينجيهم من عذابها .

يقال: وقع فى حيص بيص، وحااص باص: إذا وقع فيما لا يقدر على التخلص منه، قال ابن يعيش شارح المفصل ٤/١١٤ تقول العرب: وقع الناس فى حيص بيص: إذا وقعوا فى فتنة واختلاط من أمرهم لا مخرج لهم منها .

★ ★ ★

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَوْ عَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢)

المضردات :

خالدين فيها أبداً : مقيمين فى الجنة دائماً لا يبرحونها .  
قيلًا : أى: قولاً .

التفسير:

١٢٢- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا .

قال الطبرى :

الذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة وأدوا الفرائض التى فرضها الله عليهم؛ سوف يدخلهم الله يوم القيامة؛ بساتين تجرى من تحتها الأنهار باقين فى هذه الجنات دائماً (١٢٢).

وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا . أى: عده الله لهم يقيناً صادقاً؛ وذلك على العكس من وعود الشيطان الكاذبة وأمانيه الفارغة، فكلها غرور وأباطيل، وغش وخداع .

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا. ومن أحد أصدق من الله قولاً ووعداً؟! فهو الذى إذا قال صدق، وإذا وعد وفى، وكان رسول الله ﷺ يقول فى خطبته: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» (١١٢).

★ ★ ★

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يَحِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٢٢) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

المضردات :

بأمانيتكم : الأمانى: جمع أمنية. وخالصة ما قاله الراغب فى معناه : أنها هى الصورة الحاصلة فى النفس ، المترتبة على التمنى . أما التمنى : فهو الرغبة الشديدة فى

شئ يقدره الشخص فى نفسه .

وليًّا : أحدا يلى أمر الدفاع عنه بالقول .

ولا نصيرا ، ينصره ويمنعه بالقوة من العقاب .

نصيرًا : النفير هو النقرة فى ظهر النواة . وهو مثل يضرب للقلة والحقارة .

أسلم وجهه ، الوجه هنا مجاز عن الذات أى : أخلص ذاته ونفسه لله .

حنيفًا : مائلا عن الأديان الباطلة .

واتخذ الله إبراهيم خليلا : الخليل - كما قال الزجاج - هو من ليس فى محبته خلل .. ا هـ . فمعنى اتخذ

إبراهيم خليلا : أنه تعالى ، أحبه حبًا لا نقص فيه ، واصطفاه اصطفاء كاملا .

مُحِيطًا ، عليما شامل العلم .

التفسير :

١٢٢ - لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ... الآية.

لما بين الله سوء مصير من اغتر بوعود الشيطان وأمانيه الكاذبة، وعقبه بذكر حسن مصير المؤمنين الصالحين، أتبع ذلك بيان أن الأمر - بعد الموت - لا يكون بالتمنى من هؤلاء وأولئك، بل

يكون بالعمل الصالح، فإن الآخرة هي دار الجزاء .. والجزاء من جنس العمل . فمن يعمل سوءاً يجز به سوءاً ومن يعمل خيراً يجز به خيراً . ولا يظلم ريك أحداً .

### سبب النزول :

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم: عن السدي، قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى، فقال اليهود للمسلمين : نحن خير منكم، ديننا قبل دينكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن على دين إبراهيم، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى : مثل ذلك. فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم، ونبينا ﷺ بعد نبيكم، وديننا بعد دينكم، وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم، فنحن خير منكم، ونحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحق . ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا؛ فأنزل الله: **لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ ... الآية .**

وقال القرطبي : من أحسن ما قيل في سبب نزولها، ما رواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس . قال : قال اليهود والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان منا، وقالت قريش : ليس نبعث فأنزل الله : **لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ... الآية .**

وليس هناك ما يمنع نزول الآية للسببين، فحكهما عام : للمسلمين وأهل الكتاب والمشركين ومن في حكمهم من سائر الكافرين، كما سيتضح في الكلام على المعنى .

والمعنى : ليس الفوز بدخول الجنة والتقلب في نعيمها الذي وعده الله الصالحين، حاصلًا بأمانيك - أيها المسلمون - ولا بأمانى أهل الكتاب، فإن الأمانى - وحدها - لا تحقق هذه الغاية العظيمة، وإنما يحققها - مع الإيمان - العمل الصالح . أما العمل النافع وحده فلا يحققها ؛ لخلوه من قصد وجه الله تعالى، وهذا يستلزم الإيمان . كما أن عدم البعث ليس بأمانى من أنكروا البعث، فإنه حاصل، وسيجزى بعده الناس على أعمالهم : **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .** (الزلزلة: ٨،٧) ولذا قال الله بعده :

**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا .** من يعمل عملاً سيئاً، سواء أكان من كسب القلوب: كالكفر، والحقد، والحسد، وسوء الظن بالمسلمين، أم كان من كسب الجوارح: كالقتل، والسرقة، وأكل مال اليتيم، والتطفيف في الكيل والميزان - يعاقبه الله عليه بما يسوءه، ولا يجد له أحداً ينقذه منه، من ولي يدافع عنه بالقول والشفاعة، أو نصير ينصره بالقوة ... فالكل مقهور لله الواحد القهار.

ولما نزلت هذه الآية، كان لها أثر شديد في نفوس المؤمنين .

يصوره ما أخرجه الترمذي وغيره عن أبي بكر رضى الله عنه - أنه قال للرسول - ﷺ - بعد أن سمعها : «بابى أنت وأمى يا رسول الله ! وأينا لم يعمل سوءاً، وإنما لمجزيون بكل سوء عملنا»<sup>(١١٤)</sup>

وما أخرجه الإمام مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : «لما نزلت هذه الآية، شق ذلك على المسلمين، وبلغت منهم ما شاء الله تعالى - فشكوا ذلك إلى رسول الله - ﷺ - فقال : سَدُّوا وقاربوا، فإنَّ كُلَّ ما أصاب المسلم كفارة، حتى الشوكة يشاكها، والنكبة ينكبها»<sup>(١١٤)</sup>.

ومن هذا الحديث، نفهم أن الله تعالى، يكفر الخطايا بالبلايا - صغرت أم كبرت - والأحاديث الواردة في هذا كثيرة .

ولهذا أجمع العلماء أن مصائب الدنيا وهمومها - وإن قلت مشتقتها - تكفر بها الخطايا؛ إذا صبر صاحبها .

والأكثرين على أنها ترفع بها الدرجات، وتكفر بها السيئات .

وهو الصحيح المعول عليه .

ومما صح في ذلك عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها سيئة»<sup>(١١٥)</sup> أورده الألويسي .

١٢٤- وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَبْلُغُونَ نَقِيرًا.

إنها العدالة الإلهية في عقاب المسيء ومكافأة المحسن ؛ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .

وكان أهل الجاهلية يحجبون البنات من الميراث ويقولون: إنما يرث من يركب الفرس ويمسك السيف، ويحمى القبيلة، فسموا الإسلام بالبنات وليدة وناشئة وزوجة وأما، وجعلها شريكة للرجل في الإيمان والعمل الصالح والولاء، وجعل لها الحق في البيع والشراء، وتملك الأموال والعقار .

وفي هذه الآية يوضع قاعدة عامة هي :

من يعمل شيئاً من الأعمال الصالحة - من الذكور والإناث - في حال إيمانه؛ فأولئك المؤمنون الصالحون يدخلون الجنة، ولا ينقصون شيئاً من الثواب على أي عمل، ولو كان مشها للنقيين؛ في القلة، والنقيين: نقرة في ظهر الذئبة، يضرب بها المثل في أدنى الأمور .

قال الأستاذ سيد قطب: وهذه الآية نص صريح على وحدة القاعدة في معاملة الذكر والأنثى، وفي اشتراط الإيمان لقبول العمل .

وهذه الألفاظ الصريحة تخالف ما ذهب إليه الأستاذ، الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسير جزء عم عند قوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. إذ رأى النص لعمومه هذا يشمل المسلم وغير المسلم بينما النص صريح الأخرى تنفي هذا تماماً، وكذلك ما رآه الأستاذ، الشيخ: المراغي رحمه الله، وقد أشرنا إلى هذه القصة في جزء عم «الجزء الثلاثين من الظلال»<sup>(١١٦)</sup> .

١٢٥- وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ..

يحتاج العمل المقبول إلى ركنين أساسيين:

الأول: الإخلاص لله تعالى بهذا العمل، وأن يقصد به وجه الله، وأن يبعد به صاحبه عن الرياء والسمعة.  
الثاني: أن يكون العمل موافقا للشرع، فقد حسنه الشرع فلا حسن إلا ما حسنه الشرع .

ومتى فقد العمل واحداً من هذين الركنين فسد، فمن عمل عملاً لغير الله لم يقبله الله، ومن عمل عملاً غير موافق لأصول الدين وقواعده وأحكامه كان مردوداً عليه، والآية تثبت ذلك والاستقحام منها بمعنى: النفي الإنكارى، والمعنى: لا يوجد أحسن - فى الدين - ممن أخلص نفسه وذاته لله، فلم يعرف لها ربا سواه، ولم يتوجه بوجهه لغيره سبحانه، يفعل ذلك وهو محسن فى عمله بألا يترك واجبا، ولا يفعل محرما .

وَاتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا. قال ابن كثير: (وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة) فمن آمن بالله رباً وبمحمد رسولا، واختار الإسلام ديناً؛ صار متبعاً لملة إبراهيم عليه السلام فى العقائد وأصول الأحكام.

ومعنى حنيفاً: أى: مائلاً عن الأديان الزائفة؛ حال من إبراهيم عليه السلام ويجوز أن يكون حالاً من فاعل وَاتَّبِعْ. أى: سار على الإسلام ملة إبراهيم حال كونه مائلاً عن الأديان التى تشرك بالله سبحانه وتعالى.

وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا .. تذييل جىء به؛ للترغيب فى اتباع ملته عليه السلام والمعنى: أحبُّ الله إبراهيم حبا كاملا، لا خلل فيه ينقصه عن الكمال .

قال الالوسى: واتخذ الله خليلاً؛ لإظهاره الفقر والحاجة إلى الله تعالى، وانقطاعه إليه، وعدم الالتفات إلى من سواه، كما يدل على ذلك قوله لجبريل عليه السلام حين قال له يوم ألقى فى النار: ألك حاجة؟: أما إليك فلا، ثم قال: حسبى الله تعالى ونعم الوكيل، والمشهور أن الخليل دون الحبيب<sup>(١١٨)</sup>.

وليس فى الآية ما يفيد قصر الخلّة على إبراهيم؛ فقد اتخذ الله نبينا محمد - ﷺ - خليلاً أيضاً. وروى مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أختى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً»<sup>(١١٩)</sup>.

وروى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه: أن رسول الله ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويبدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائى، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر!»<sup>(١٢٠)</sup>.

١٢٦- وَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ...

إنه سبحانه غنى عن الخليل أو المعين، فهو سبحانه مالك السماوات والأرض؛ متصف بالهيمنة والقهر والعلم والسلطان. وهذه الألوهية الحقّة، تستدعى إخلاص العبادة والتوجه والعمل له سبحانه. فهو مالك كل شيء، وهو بكل شيء محيط، وهو مهيمن على كل شيء، وفي ظل هذا التصور الإسلامى يصلح الضمير ويصلح السلوك وتصلح الحياة .

★ ★ ★

﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءَ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

المضردات :

الكتاب : القرآن .

يتامى النساء : اللاتى لا حول لهن .

وترغبون أن تنكحوهن : تطمعون فى مالهن من الميراث والصداق ، فتنزوجونهن لذلك ، أو تمنعونهن من

الزواج ، وتعزلونهن لذلك .

والمستضعفين من الولدان : الأطفال اليتامى .

بالقسط : بالعدل .

التفسير :

١٢٧- وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ... الآية

الربط : فى هذه الآية - وما تلاها - رجوع إلى ما افتتحت به السورة من أمر النساء واليتامى .

وكان المسلمون قد بقيت لهم أحكام، سبق لهم السؤال عنها، فلم يجبهم الرسول - ﷺ -

انتظارا للوحى .

روى أشهب عن مالك رضى الله عنهما، قال: كان النبي - ﷺ - يسأل فلا يجيب، حتى ينزل عليه الوحي، وذلك فى كتاب الله: وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلِ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ (البقرة: ٢٢٠) يسألونك عن الخمر والميسر (البقرة: ١٦٩) ويسألونك عن الجبال (طه: ١٠٥).

### سبب النزول :

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن جبير، قال: كان لا يرث إلا الرجل الذى قد بلغ أن يقوم فى المال ويعمل فيه، ولا يرث الصغير ولا المرأة شيئاً، فلما نزلت الموارث فى سورة النساء: شق ذلك على الناس، وقالوا: أيرث الصغير الذى لا يقوم فى المال، والمرأة التى هى كذلك، فيرثان كما يرث الرجل؟! فرجوا أن يأتى فى ذلك حدث من السماء. فانتظروا، فلما رأوا أنه لا يأتى حدث قالوا: لئن تم هذا، إنه لواجب ما عنه بدُّ ثم قالوا: سلوا.. فسألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى غير ذلك فى سبب النزول ورجح هذا شيخ الإسلام: أبو السعود، كما قاله الالوسى.

ونحن نقول: إن سبب النزول لا يقتضى أنهم لم يسألوا إلا عما جاء فيه، بل سألوا عن غيره أيضاً، ولهذا تضمنت الفتوى جواب سؤالهم الوارد فى سبب النزول، كما تضمنت عدة أحكام، ستأتى فى الآيات التالية، تتعلق بأمر النساء.

### وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ .

المعنى: ويستفتيك المسلمون - يا محمد - فى أحكام الإناث، فيطلبون منك بيان ما يشكل عليهم من أحكامهن، مما يجب لهن أو عليهن.

قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ .

المعنى: قل الله يفتيكم فى حكمهن ويبينه لكم. وكذا ما يتلى فى أمرهن، مما سبق نزوله قبل هذه الآية، فهو أيضاً يفتيكم. ويبين لكم الحكم الشرعى الذى تسألون عنه.

والمقصود من الآية الكريمة: أن الله سيفتيكم - مستقبلاً - فيما لم ينزل حكمه من شأن النساء، وأن ما سبق نزوله فيهن ويتلى عليكم. تظل الفتيا أيضاً فى أمرهن، فيكتمل بالفتاوى - السابقة واللاحقة - أحكامهن المشروعة.

وقد أشار المولى سبحانه بقوله:

وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَمَانِي النِّسَاءِ ... الآية . إلى ما سبق فى صدر هذه السورة عنهن وعن المستضعفين من الولدان ابتداء من قوله: وَعَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَلْبَابِ ... إلى آخر آيتى الموارث.

فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّائِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ... أَى : ويفتيكم أيضا فيما يتلى عليكم فى شأن يتامى الإناث، اللاتى لا تؤتونهن - أيها الأولياء - ما كتب لهن من الميراث والصداق، وقد رغبتم فى الزواج بهن؛ طمعا فى الميراث والصداق فقد أوجب عليكم فيما نزل بشأنهن أول السورة - أن تقسطوا فى شأنهن، بألا تطمعوا فى أموالهن الموروثة، وأن تعطوهن من الصداق أعلى سنتهن، وتعدلوا بينهن وبين ضراتهن : فى القسم والنفقة وحسن العشرة ..

أو يكون المعنى: وإن أنتم رغبتم عن الزواج بهن، فلا تعضلوهن عن الزواج بغيركم ؛ طمعا فى أموالهن.

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ. أَى : ويفتيكم فيما يتلى عليكم فى شأن المستضعفين من الأولاد والصغار اليتامى : ذكورا وإناثا . فقد أوجب عليكم - فيما سبق - أن تحافظوا على أموالهم، ولا تبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم، وأفهمكم أن أكل أموالهم ذنب كبير، وأوجب عليكم أن تؤدوا أموالهم إليهم عند بلوغهم رشدهم دون مماطلة .

وبالجملة: فقد أوجب عليكم - هنا، وفيما مر فى صدر هذه السورة - أن تقوموا لليتامى بالقسط والعدل، فى أمرهم كله. فلا تحاولوا أن تعودوا لما كنتم عليه فى الجاهلية، من توريث الرجال الذين يدافعون عن القبيلة وحرمان الصغار والنساء، فذلك جورٌ لا يوافق عليه الإسلام ولا يقره.

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ... أَى : وما تفعلوا - أيها الأولياء - من خير فى حقوق من تقدم ذكرهم، فإن الله كان به عليما قبل أن يخلقكم، كما هو عليم به عند فعلكم له فيجزىكم عليه خير الجزاء .

وإنما اقتصرنا الآية على ما يفعلونه من الخير، مع أنه يعلم ما يفعلونه من شر أيضا، ويجازى عليه بمثله ؛ للإيذان بأن الشر لا ينبغى أن يقع منهم وتحريضا على فعل الخير والاستدامة عليه .

وتكرار هذه الوصية باليتامى والنساء الضعاف - مع ما سبق فى أول السورة - لاجتثاث ما عسى أن يكون عالقا بالرجال من أطماع فى أموال الضعاف من يتامى النساء والولدان .



﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلُوقَةِ وَإِن تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ؕ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾

## المفردات :

خَافَتْ ، علمت أو توقعت .

بَعْلِهَا ، زوجها .

نُشُورًا ، أى: ترفعا <sup>(١٢٨)</sup> .

أَوْ إِعْرَاضًا ، أى: ميلا وعدم اهتمام .

فَلَا جُنَاحَ ، فلا حرج ولا إثم .

وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ، أى: جعل الشح حاضرا فى الأنفس ملازما لها ، والشح : البخل الشديد .

كَالْمَعْلُوقَةِ ، المرأة المعلقة ؛ هى التى ليست مطلقة ولا صاحبة زوج ، كما قال ابن عباس

رضى الله عنه . أو هى المسجونة . كما قال قتادة رضى الله عنه .

يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ، أى: يغن الله كليهما من غناه الواسع .

## التفسير :

١٢٨- وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا ... الآية

رسم القرآن الكريم سبيل الحياة الزوجية، وأداب العشرة بين الزوجين فى الخلاف والوفاق .

وقد رعى القرآن فطرة الإنسان فالله خالق الإنسان وهو أعلم به، وقد تكبر الزوجة، أو يزهده الرجل فيها، أو يعزم على طلاقها، وترى الزوجة أنها فى حاجة إلى بقائها فى عصمة الزوج وجواره؛ فتتنازل له عن شىء من مهرها أو عن بعض حقوقها فى المبيت، فإذا فعلت ذلك جاز للزوج أن يقبل ذلك . ويجب ألا يتمادى فى الظلم بل يكون عادلاً مع تنازل الزوج.

وفى الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: قالت: لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة فكان النبي ﷺ يقسم لها بيوم سودة<sup>(١٢٢)</sup>.

وفى صحيح البخارى: عن هشام عن أبيه عروة قال: «لما أنزل الله فى سودة وأشباهاها: وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا. وذلك أن سودة كانت امرأة قد أسنت ففرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ، وضنت بمكانها منه، وعرفت من حب رسول الله ﷺ عائشة ومنزلتها منه: فوهبت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة فقبل ذلك رسول الله ﷺ<sup>(١٢٣)</sup> وكذلك رواه أبو داود، والحاكم فى مستدركه.

وقال البخارى: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة:

وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا ... قالت: الرجل تكون عنده المرأة المسنة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأنى فى حل فنزلت هذه الآية.

وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا<sup>(١٢٤)</sup>.

معنى الآية: إذا رأت الزوجة من زوجها تغييراً فى معاملته أو انصرافاً عنها وإعراضاً.

وأمارات النشور: الغلظة والجفاء.

وأمارات الإعراض: أن يقلل من محادثتها ومؤانستها، وأن يتساهل فى تحقيق رغباتها؛ إما لدمامتها، أو لكبر سنّها، أو لغير ذلك.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ... أى: فلا إثم على الزوجة فيما تفعله؛ لإصلاح ما بينها وبين زوجها، من إعفائه من صداقتها أو نفقتها أو بعضهما، أو من مسكن أو كسوة، أو فيما تعطيه من مالها، أو فيما تنزل له عنه من نصيبها فى القسم، تستعطفه بذلك، وتستديم المقام فى عصمته والتمسك بالعقد الذى بينه وبينها من النكاح، ولا إثم على الزوج فى قبول ذلك منها، فإن ذلك لا يعتبر رشوة حتى يتحرجا منها، بل يعتبر سبيلاً إلى عودة المودة واستمرار الزوجية بينهما، وذلك أسمى فى نظر الدين من تلك الماديات اليسيرة التى تعينت لعودة المودة بينهما.

روى أبو داود والطيالسى عن ابن عباس:

«فما اصطلحا عليه من شىء فهو جائز»

وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ...

قال الطبرى: يعنى: والصلح يترك بعض الحق؛ استدامة للحرمة وتمسكاً بعقد النكاح، خير من

طلب الفرقة والطلاق<sup>(١٢٥)</sup>.

وروى أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»<sup>(١٣٦)</sup>.

سأل رجل الإمام علياً عن قول الله عز وجل .

وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ... فقال : يكون الرجل عنده المرأة فتنبو عيناه عنها . من دماستها، أو كبرها، أو سوء خلقها، أو قدرها، ففكره فراقه، فإن وضعت له شيئاً من مهرها حلُّ له وإن جعلت له من أيامها فلا حرج<sup>(١٣٧)</sup>.

وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ...

قال الطبري : أحضرت أنفس النساء الشح بأنصبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة، فتأويل الكلام: وأحضرت أنفس النساء أهواءهن؛ من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن، والشح بذلك على ضرائرهن .

من المفسرين من قال : عنى بذلك .

«وأحضرت أنفس الرجال والنساء الشح» .

#### المعنى :

وجعل البخل والحرص على النفع الذاتي، حاضراً في الأنفس ملازماً لها، لا يغيب عنها؛ لأنه من طبيعتها، فلذا لا تكاد الزوجة تفرط في حقوقها عند الزوج، ولا يكاد الزوج يوجد بالإنتفاق وحسن المعاشرة لمن لا يريدتها .

وإذا كان ذلك هو ما فطرت عليه النفوس، فينبغي - لكل من الزوجين - أن يقدّر حرص الآخر على مصلحته، فلا يهدرها تماماً، فترضى الزوجة حرص الزوج بالبذل والتضحية، ويرضى الزوج حرص الزوجة فلا يقسو عليها في مطالبه<sup>(١٣٨)</sup>.

وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ... وإن تحسنا - أيها الرجال - في أفعالكم إلى نساءكم إذا كرهتم منهن دمامة أو خلقاً، أو بعض ما تكرهون منهن بالصبر عليهن، وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف<sup>(١٣٩)</sup>

وتقوا. الله فيهن بترك الجور منكم عليهن وعدم إكراههن على ترك شيء من حقوقهن .

قال ابن كثير : وإن تتجشموا مشقة الصبر على ما تكرهون منهن، وتقسوا لهن أسوة بأفعالهن فإن الله عالم بذلك وسيجزيك على ذلك أوفر الجزاء .

١٢٩- وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ .

العدل بين النساء مطلوب فى الأمور المادية وهى النفقة والكسوة والمبيت وما يتصل بذلك من حقوق الزوجة، أما العدل فى الأمور القلبية من الحب وما يتصل به فغير مستطاع. وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نساته ويعدل ثم يقول: «اللهم، هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك» يعنى: القلب .

وهناك آيتان فى سورة النساء تتحدثان عن هذا الموضوع: الآية الثالثة من سورة النساء حيث قال سبحانه :

وَأَنْ حِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْبَتَاءِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرِبَاعَ فَإِنْ حِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَى الْأَتَعُولُوا .

والآية ١٢٩ من سورة النساء - التى نتكلم عن تفسيرها - وهى:

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَمْلُوقَةِ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا .

وقد فهم بعض الناس فهما خاطئاً مؤداه: أن الإسلام نهى عن تعدد الزوجات؛ لأنه قال فى الآية الثالثة من سورة النساء. فَإِنْ حِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً .

وقال فى الآية ١٢٩ من سورة النساء: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ. أى: ومادام العدل غير مستطاع؛ فقد وجب الاقتصار على زوجة واحدة .

وهذا فهم خاطئ .

لأن قوله تعالى: فَإِنْ حِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً . يتكلم عن العدل المادى فى المأكل والمسكن والمبيت.

وقوله سبحانه: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ. يتكلم عن العدل فى الحب وميل القلب.

فإنه خالق الإنسان وهو أعلم به .

وإذا كان العدل فى أمور الحب غير مستطاع . فإن على الإنسان ألا ينساق وراء الأسباب الداعية إلى الميل بقدر طاقته ويعفى عما خرج عن الطوق .

أى: إذا عجزتم عن تحقيق العدل فى الحب وميل القلب؛ فلا تميلوا إلى من تحبونها كل الميل

بحيث تتركون الضرّة الأخرى أشبه بالمرأة المعلقة التي تركها زوجها فلا هي متزوجة تتمتع بحب الزوج ورعايته وعطفه ولا هي مطلقة تلتمس الأزواج ويتقدم لها الخطّاب .

قال تعالى : فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ...

قال الطبري : وإنما أمر الله جل ثناؤه بقوله : فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ . الرجال بالعدل بين أزواجهن فيما استطاعوا فيه العدل بينهن، من القسمة بينهن، والنفقة وترك الجور .. في ذلك بتفضيل إحداهن على الأخرى فيما فرض عليهم العدل بينهن فيه، إذ كان قد صفح لهم عما لا يطبقون العدل فيه بينهن مما في القلوب من المحبة والهوى (١٣٠) .

وَإِنْ تَصَلِحُوا فَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا .

قال الطبري : وإن تصلحوا أعمالكم - أيها الناس - فتعدلوا في قسمكم بين أزواجكم، وما فرض الله لهن عليكم من النفقة والعشرة بالمعروف .

وَتَتَّقُوا اللَّهَ فِي الْمِيلِ الزائد لإحداهن .

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . يغفر لكم ما سبق من التقصير في حق بعض الزوجات ويتوب عليكم من الميل إلى بعض الزوجات دون بعض .

١٣٠ - وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ... الآية

فإن قبلت المرأة التي قد نشز عليها زوجها، الصلح بصفحتها لزوجها عن يومها وليلتها، وطلبت حقها منه من القسم والنفقة وما أوجب الله لها عليه، وأبى الزوج عليها ذلك فتفرقا بطلاق الزوج لها؛ فإن الله يغن عنهما ويغني عنه، بأن يعرضه الله من هو خير له منها، ويعرضها عنه بمن هو خير لها منه .

وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ... أي: كان الله ولا يزال واسع الغنى كافيًا، حَكِيمًا . في جميع أفعاله وأقداره وبشره .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

## المضردات :

ولقد ووصينا ، ولقد أمرنا أمرا مؤكداً .

الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، المراد بهم: أهل الكتب السماوية السابقون جميعاً: اليهود، والنصارى، وغيرهم .

حَمِيدًا ، مستحقاً للحمد ، وإن لم يحمده الحامدون .

وكفى بالله وكفيلاً ، وكفى به قيماً وكفيلًا : توكل إليه الأمور .

## التفسير :

١٣١ - وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... الآية

ولله جميع ملك ما حوته السماوات السبع والأرضون السبع من الأشياء كلها .

وإنما ذكر جل ثناؤه ذلك بعقب قوله : وَإِنْ يَفْرَقْنَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ . تذكيراً منه لخلقته بالجوء إلى ذلك الباب عند الشدائد والخطوب، فمن كان له ملك السماوات والأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يتعذر عليه إغناء الزوجين بعد فرقتهما، ولا إيناسهما بعد وحشتهما .

وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ...

قال الطبري : رجع جل ثناؤه إلى عدل من سعى في أمر بني أبيرق وتوبيخهم، ووعد من فعل

فعل المرتد منهم فقال : وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ .. يقول :

ولقد أمرنا أهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل وإيَّاكم وأمرناكم وقلنا لكم ولهم: اتَّقُوا اللَّهَ

يقول : احذروا الله أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه (١٣١) .

وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... وقلنا لهم ولكم : إن تكفروا وتجدوا وصيتي

إياكم فتخالفوها! فإنكم لا تضررون غير أنفسكم؛ فالله غني حميد لا يضره كفركم ومعاصيكم،

ولا ينفعه إيمانكم وتقواكم وفى الآية الثامنة من سورة إبراهيم: وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ .

وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا . أى: كان قبل أن تكونوا، ولا يزال بعد ما كنتم .

غَنِيًّا . عن عباده غير محتاج إلى سواه .

حَمِيدًا . أى: محمودا فى جميع ما يقدره ويشرعه .

١٣٢ - وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا .

ولله ملك جميع ما حوته السماوات والأرض، وهو القيم بجميعه، والحافظ لذلك كله، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يؤوده حفظه وتدبيره؛ فهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب الشهيد على كل شيء .

١٣٣ - إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ... أى: هو قادر على إهلاككم وإفنائكم وتبديلكم بناس آخرين غيركم؛ لموازرة نبيه محمد ﷺ ونصرته .

وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا ...

قال الطبرى : وكان الله على إهلاككم وإفنائكم، واستبدال آخرين غيركم قديرًا يعنى: ذا قدرة على ذلك (١٣٣) .

كما قال تعالى : وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ... (محمد: ٢٨) .

قال بعض السلف:

ما أهون العباد على الله: إذا أضاعوا أمره .

وقال عز شأنه: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ . (فاطر: ١٧، ١٦) .

١٣٤ - مَنْ كَانَ يَرْيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... من كان قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط: فقد ضييع على نفسه خيرا أكثر فإنه لو قصد وجه الله بعمله: لحصل على ثواب الدنيا والآخرة، فعند الله من هذه وهذه، وإذا سألته أعطاك وأغناك كما قال تعالى : فَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ \* وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . (البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢) .

وقال تعالى : مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ... (الشورى: ٢٠).

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ... أى: وكان الله سميعًا لما يقول العباد، بصيرا بأعمالهم ونياتهم فيجازى كلا على حسب حاله .

وذهب الطبرى إلى أن معنى الآية :

وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا . أى: من المنافقين الذين أظهروا الإيمان لأجل ذلك .

فإن الله مجازيه به جزاءه فى الدنيا .

وجزاؤه فى الآخرة العقاب والنكال .

كما قال فى الآية الأخرى :

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ... (هود: ١٥، ١٦) .

والإمام ابن كثير نقل رأى الطبرى وقال: إن هذا التفسير للطبرى فيه نظر : فإن قوله تعالى : فَعَبَدَ اللَّهُ لُؤَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . ظاهر فى حصول الخير فى الدنيا والآخرة .

أى بيده هذا وهذا فلا يقتصر قاصر الهمة على السعى للدنيا فقط بل لتكن همته سامية إلى نيل المطاب العالية فى الدنيا والآخرة: فإن مرجع ذلك إلى الذى بيده الضر والنفع وهو الله الذى لا إله إلا هو .

★ ★ ★

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفَرًا مِمَّنْ بِالْقِسْطِ شَهِدَ لَهُ لَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ  
وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدُوا وَإِن  
تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ  
وَرَسُولِهِ ءَالِ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالِ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ  
يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالِ الْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

المفردات :

قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ ، قائمين بالعدل مع المواظبة عليه ، والمبالغة فيه .

وَأَنِ تَلَوْا ، وإن تملوا ألسنتكم بالشهادة ، بالإتيان بها على غير وجهها .

أَوْ تَعْرَضُوا ، أى: تركوا إقامتها أو تقيموها على غير وجهها .



## التفسير:

١٣٥ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ... الآية .

هذه الآية - والتي بعدها - فيها امتداد للحديث عن العدل، الذي سبق طرف منه في الآيات السابقة. وبين الإيمان والعدل رباط وثيق؛ لأن الإيمان الصحيح، يقتضى إقامة العدل والقسط بين الناس .

والمعنى: بأيتها الذين آمنوا، كونوا مواظبين على العدل فى جميع الأمور، مجتهدين فى إقامته كل الاجتهاد؛ لا يصرقكم عنه صارف . وكونوا شهداء ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين . وذلك بأن تقيموا شهادتكم بالحق خالصة لوجه الله، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، مهما يكن أجره، ولو عادت الشهادة بالضرر عليكم، أو على الوالدين والأقربين . فإن الحق أحق أن يتبع، وأولى بالمراعاة من كل عاطفة وغرض .

إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ... أى: إن يكن المشهود عليه غنياً يُرجى نفعه . أو فقيراً يثير فقره الرحمة، فلا تتأفروا بذلك كله فى شهادتكم . فالله أولى بالأغنياء والفقراء، وأحق منكم برعاية ما يناسب كلا منهما . ولولا أن أداء الشهادة على وجهها فيه مصلحة لهما، لما شرع الله . فراعوا أمره - تعالى - فإنه أعلم بمصالح العباد منكم .

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْلَمُوا ... أى: فلا تتبعوا فى شهادتكم - على هذا أذاك - هواكم: كارهين إقامة العدل فى شهادتكم من أجل الرغبة فى مصلحتهما؛ لأن اتباع الهوى والميل، ضلال لا يليق بالمؤمنين . وإقامة العدل حقٌ وهدى: يجب على المؤمنين - وجوباً مؤكداً - أن يتصفوا به .

وَأَنْ تَلُؤُوا أَوْ تَعْرُضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ... أى: وإن تميلوا أو استنتم عن الشهادة بالإتيان بها على غير وجهها الذى تستحقه أو تعرضوا عنها وتتركوا إقامتها وتهربوا من أدائها - فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ . من التحريف، أو الكذب، أو ترك الشهادة وكتمانها خبيراً . وعلماً .

قال تعالى: وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ... (البقرة: ٢٨٣).

قال الطبرى: وهذه الآية عندى تأديب من الله جل ثناؤه عباده المؤمنين أن يفعلوا ما فعله الذين عذبوا بنى أبيرق - فى سرقتهم ما سرقوا وخيانتهم ما خانوا - عند رسول الله ﷺ لهم عنده بالصلاح فقال لهم: إذا قمتم بالشهادة لإنسان أو عليه؛ فقولوا فيها بالعدل . ولو كانت شهادتكم على أنفسكم وأبائكم وأمهاتكم وأقربائكم، ولا يحملنكم غنى من شهدتم له، أو فقره أو قرابته ورحمة منكم على الشهادة له بالزور، ولا على ترك الشهادة عليه بالحق وكتمانها (١٣٣) .

والآية بعد كل هذا تظل معلما رفيعا، ومنازة هادية إلى الشهادة بالحق ولو كان ذلك على الإنسان أو قرابته أو من يهمة أمرهم لأى سبب كان كرعاية الجار، أو الطمع فى جاره، أو منصب عند حاكم، أو انتصار لطائفة أو مذهب، أو نحو ذلك وما جاء فى الآية إنما هو من باب ضرب المثل .  
جاء فى تفسير ابن كثير :

ومن هذا قول عبد الله بن راحة لما بعثه النبي ﷺ يحرص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم فأرادوا أن يرشوه؛ ليرفق بهم؛ فقال : والله لقد جئتمكم من عند أحب الخلق إلى، ولأنتم أبغض إلى من أعداكم من القردة والخنازير، وما يحملنى حبى إياه وبغضى لكم على ألا أعدل فيكم، فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض .

١٢٦- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ... الآية

يخاطب الله تعالى بهذه الآية أهل الكتاب فقد كان لهم نوع من الإيمان والتصديق ولكنه إيمان غير كامل . فقد آمن اليهود بموسى وبالتوراة وكفروا بعميسى وبالإنجيل، كما آمن النصارى بموسى ويعيسى وكفروا بمحمد ﷺ .

قال الطبري فى تفسير الآية :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا . بمن قبل محمد من الأنبياء والرسول، وصدقوا بما جاءهم به من عند الله .

آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . صدقوا بالله وبمحمد رسوله، أنه لله رسول، مرسل إليكم وإلى سائر الأمم قبلكم.

وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ . وصدقوا بما جاءكم به محمد من الكتاب الذى نزل الله عليه وهو القرآن الكريم .

وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ . و آمنوا بالكتاب الذى أنزله الله من قبل القرآن وهو التوراة والإنجيل.

وقال ابن كثير : وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ .. جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة، وقال فى القرآن نزل؛ لأنه نزل منجما على الوقائع بحسب ما يحتاج إليه العباد فى معاشهم ومعادهم .

وأما الكتب السابقة فكانت تنزل جملة واحدة؛ لهذا قال تعالى : وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ .

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ومن يكفر بمحمد ﷺ وبما جاء من عند الله،

فقد كفر بجميع ما أمر الله به؛ لأنه فرق بين الرسل وقال : نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ .. وهذا خروج عن دين الله وهدية واتباع للضلال والهلاك .

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ... فقد بعد عن الحق بعداً صحيحاً؛ لأن الخروج عن دين الله وهديه يتبعه الهلاك والضلال والوبار .

ومن المفسرين من قال: معنى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . أى: استمروا واثبتوا على إيمانكم بالله ورسوله وبالقرآن الكريم وبالكتب السماوية السابقة على القرآن وهي: التوراة والإنجيل، والزيور، وإلى هذا المعنى ذهب الإمام ابن كثير فى تفسيره حيث قال : يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول فى جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقديره وتثبيته والاستمرار عليه كما يقول المؤمن فى كل صلاة: أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .

أى: بصُرنا فيه وزدنا هدى وثبتنا عليه، فأمرهم بالإيمان به ورسوله كما قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ . (الحديد: ٢٨).

★ ★ ★

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أُزَادُوا كُفْرًا كَرِهَ اللَّهُ لِعِبَادِهِمْ وَلِأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أُزَادُوا كُفْرًا كَرِهَ اللَّهُ لِعِبَادِهِمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ وَإِنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِمْ إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

المفردات :

ازدادوا كُفْرًا ، عادوا واستمروا فيه .

بشرا المنافقين ، أنذرهم .

أبْتَغُونَ ، يطلبون .

العِزَّة ، الغلبة والقوة .

يَخُوضُوا ، يدخلوا .

## التفسير:

١٣٧ - إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ... الآية

هذه الآية، بينت حال بعض الكافرين، وهم المنافقون الذين ترددوا بين الإيمان الظاهر أمام المؤمنين، وبين الكفر، حينما يلتقون بالكافرين أمام المؤمنين .

والمعنى : إن المنافقين الذين أظهروا الإيمان أمام المؤمنين رياء، ثم كفروا أمام أوليائهم الكافرين، ثم عادوا إلى إظهار الإيمان حين لقائهم بالمؤمنين، ثم كفروا عند عودتهم إلى الكافرين، ثم ازدادوا في دخيلة أنفسهم كفرا وجودا، واستمروا عليه - إن هؤلاء :

لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا . أى : هؤلاء المنافقون المذكورون، قد حكم الله بأنهم محرومون من أن يغفر الله لهم كفرهم ومعاصيهم، ومحرومون من أن يهديهم الله إلى الحق؛ لإصرارهم على الكفر والنفاق .

وقيل: إن المراد من هؤلاء : قوم تكرر منهم الارتداد، وأصروا على الكفر وتمادوا فى الغي والضلال.

١٣٨ - بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا .

بعد أن أوصد الله فى وجه هؤلاء المنافقين أبواب الرحمة والهداية، نتيجة تكرر الكفر منهم، أمر الله رسوله أن يندرهم بأنه أعد لهم فى الآخرة عذابا شديدا بالإيلاء، وعبر عن الإنذار بالتبشير؛ تهكما بهم وسخرية منهم، وإيناسا لهم من المبشرات كلها، وأنها - بفرص وقوعها كما هى هنا - فليس لها رصيد إلا العذاب الأليم : لتلاعبهم بالعقيدة وسخريتهم بها .

١٣٩ - الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... الآية

أى: أولئك هم الذين يوالون الكافرين ويتخذونهم أعوانا وأنصارا لما يتوهمونه فيهم من القوة ويتكرون ولاية المؤمنين، ويقولون للكافرين إذا خلوا بهم إنا معكم إنما نحن مستهزئون .. (البقرة: ١٤).

أَيَتَعُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ : أى: أيطالبون بموالاتة الكفر: القوة والغلبة ؟ والاستفهام إنكارى أى: أيطالبون العزة ممن لا يستطيع أن يمنحها لهم!؟

فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ...

قال الشوكانى : هذه الجملة تعليل لما تقدم من توبيخهم بابتغاء العزة عند الكافرين وجميع أنواع العزة وأفرادها مختص بالله سبحانه، وما كان منها مع غيره فهو من قبضه وتفضله كما فى قوله: ولله العزة ورسوله وللمؤمنين . (المنافقين: ٨) والعزة : الغلبة، يقال: عرّه يعرّه عزا : إذا غلبه .

١٤٠ - وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ... الآية

وقد نزل عليكم - يا معشر المؤمنين في القرآن - أنكم إذا رأيتم أولئك الكافرين يستهزئون بكتاب الله تعالى، وسمعتهم منهم ذلك فاتركوا مجالسهم حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ .

قال الشوكاني: أى: لا تقعدوا معهم ماداموا كذلك؛ حتى يخوضوا فى حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بها والذى أنزله الله عليهم فى الكتاب هو قوله تعالى:

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ .. (الأنعام: ٦٨).

وقد كان جماعة من الداخلين فى الإسلام يقعدون مع المشركين واليهود حال سخرتهم بالقرآن واستهزائهم به فنهوا عن ذلك (١٢٢).

إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ .. أى: إن فعلتم ذلك ولم تنتهوا فأنتم مثلهم فى الكفر، ولستم بمؤمنين كما تزعمون فإن المرء بجليسه .

إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا .. أى: يجمع الفريقين: الكافرين والمنافقين فى الآخرة فى نار جهنم؛ لأن المرء مع من أحب .

قال ابن كثير: أى: كما أشركوهم فى الكفر، كذلك يشارك الله بينهم فى الخلود فى نار جهنم أبداً، ويجمع بينهم فى دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشراب الحميم والغسلين .

★ ★ ★

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ فَالْوَالِئُ أَنْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ فَأُولَئِكَ نَسْتَحْوِذُ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجْدَلَهِ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾

## المضردات :

يتربصون بكم ، ينتظرون وقوع أمر بكم .

فتُح من الله ، نصر منه .

ألم نستحوذ عليكم ، ألم نحطكم بعوننا ومساعدتنا .

يسخادصون الله ، يفعلون مع الله ما يفعل المخادع . وهو إظهار ما لا يبطن .

يسراءون الناس ، يظهرون للناس غير ما انطوت عليه صدورهم .

مذبذبين ، مترددين بين المؤمنين والكافرين .

## التفسير :

١٤١ - الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ... الآية

هذه الآية - وما بعدها - تبين لنا بعض سمات المنافقين وصفاتهم، التي كانوا عليها . وأول صفة ذكرت لهم، هي التريص والانتظار ؛ لاستغلال المواقف استغلالاً دنيئاً لمصلحتهم . وهو ما بيَّنه الله بقوله :

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ . أَى: فإن كان لكم نصر على أعدائكم - بمعونة الله - تزلّفوا لك، وراحوا يطالبون بالمغانم قائلين : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ . بالعون حتى نصرتم على الأعداء؟

وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ . من الغلبة في الحرب على المؤمنين .

قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ ... أَى: قال المنافقون للكافرين: ألم نحطكم بعوننا ومساعدتنا، وإطلاعكم على أسرار المؤمنين؛ حتى صارت لكم الغلبة عليهم .

وَمَنْعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . أَى: ندفع عنكم صولة المؤمنين بتبيطنا إياهم، وتباطئنا في معاونتهم، وإشاعة الأخبار التي توهم قلوبهم، وتضعف عزائمهم . فاعرفوا حقنا عليكم، وهاتوا نصيبنا مما غنمتم .

فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : فهو مطلع على دخائل الجميع محقين ومبطلين، فيثبت أوليأه المؤمنين المخلصين، ويعاقب أعداءه المنافقين يوم الجزاء .

وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا .

قال ابن كثير : أَى: لن يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى :

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ .. (غانر: ٥١) .

وعلى هذا يكون رداً على المنافقين فيما أمّلوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين، وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين؛ خوفاً على أنفسهم منهم، إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم كما قال تعالى: **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فِضْضِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ تَادِمِينَ ... (المائدة: ٥٢).**

وفسر بعض العلماء هذه الفقرة على أنها ستكون يوم القيامة؛ قال الإمام علي: «ذاك يوم القيامة». وقيل: إنه سبحانه لا يجعل للكافرين سبيلاً على المؤمنين ما داموا عاملين بالحق غير راضين بالباطل، ولا تاركين للنهي عن المنكر كما قال تعالى: **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ . (الشورى: ٣٠).**

قال ابن العربي: وهذا نفيس جداً<sup>(١٣٥)</sup>.

١٤٢- **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ... الآية**

هذا كلام مبتدأ يتضمن بعض قبائح المنافقين وفصائحهم. ولا شك أن الله لا يخادع؛ فإنه عالم بالسرائر والضمائر.

ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم؛ يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس، وجزت عليهم أحكام الشريعة ظاهراً - فكذاك يكون حكمهم عند الله يوم القيامة، وأن أمرهم يروج عنده .. **وَهُوَ خَادِعُهُمْ .** أي: هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ويخذلهم عن الحق، وعن الوصول إليه في الدنيا، وكذلك يوم القيامة<sup>(١٣٦)</sup>.

**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً ... الآية .** أي: يصلون وهم متناقلون، لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، وما قيامهم للصلاة مع المصلين، إلا مظهر من مظاهر خداعهم.

**يُرَاءُونَ النَّاسَ ..** أي: يقصدون بصلاتهم الرياء والسعة ولا يقصدون وجه الله.

قال ابن كثير: أي لا إخلاص لهم، ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة، ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يرون فيها غالباً كصلاة العشاء وصلاة الصبح، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:

«أنقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر»<sup>(١٣٧)</sup>.

**وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ...** هذه الجملة معطوفة على **يُرَاءُونَ .** أي: لا يذكرونه سبحانه إلا نكراً

قليلاً، أو لا يصلون إلا صلاة قليلة ووصف الذكر بالقلّة: لعدم الإخلاص، أو لكونه غير مقبول أو لكونه قليلاً في نفسه .

أو يراد بالقلّة: العدم؛ لأن ذكرهم غير مقبول، فلا فائدة فيه .

١٤٣ - مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ... الآية

المذبذب: المتردد بين أمرين، والمذبذبة الاضطراب قال ابن جنى : المذبذب: القلق الذى لا يثبت على حال .

لَا إِلَى هَوْلَاءَ وَلَا إِلَى هَوْلَاءَ ... أى: ليسوا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين فظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين: ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلآء وتارة يميل إلى أولئك.

قال ابن جرير عن قتادة يقول: ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك .

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ ... أى: يخذله ويسلبه التوفيق ويصرفه عن طريق الهدى .

فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ... أى: طريقاً يوصله إلى الحق .

فإنه: مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ . (الأعراف: ١٨٦)

★ ★ ★

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ  
يَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُمِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ  
وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا  
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾  
مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾

المضردات :

سلطاناً مُمِيناً : حجة ظاهرة .

أولياء : تُصراء .

الدرك الأسفل : الطبقة السفلى .

واعتصموا بالله : اتخذوه ملجأ وملاناً .

وكان الله شاكراً : أى: كان - ولا يزال - مثيباً على الشكر .



## التفسير:

١٤٤ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... الآية

بعد أن بين الله صفات المنافقين، الناطقة: بأنهم كفار في حقيقة أمرهم، نهي الله المؤمنين أن يتخذوا الكافرين - جميعا - أولياء، فإنهم لا يضمرون الخير لهم. فقال: يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا الكفار أولياء وأحباء ونصراء من دون المؤمنين؛ لأنهم لا يؤمن جانبهم.

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ... أي: أترغبون - بموالاته الكفار - أن تكون لله عليكم حجة واضحة في عذابه إياكم؛ إذ إنكم اتخذتم أعداءه أولياء لكم. وهم يبغيون لكم الهزيمة، ولديكم الزوال. كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ... (المتحنة: ١).

وهذا لا يمنع من عقد معاهدات السلام معهم إذا كان في ذلك مصلحة الإسلام والمسلمين.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعنى: مصاحبتهم ومصادقتهم، ومناصحتهم، وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم.

وقال الإمام الشوكاني: أي: لا تجعلوهم خاصة لكم وبطانة توالونهم من دون إخوانكم من المؤمنين كما فعل المنافقون من موالاتهم للكافرين.

١٤٥ - إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... الآية

أي: في الطبقة التي في قعر جهنم وهي سبع طبقات.

قال ابن عباس: أي: في أسفل النار، وذلك لأنهم جمعوا مع الكفر الاستهزاء بالإسلام وأهله.

وتفيد الآية: أن النار دركات، كما أن الجنة درجات.

وَأَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ... أي: ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من أليم العذاب.

١٤٦ - إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ...

تستثنى هذه الآية من تاب عن النفاق قبل أن يموتوا، وأصلحوا أعمالهم ونياتهم، وبدلوا الرياء بالإخلاص واعتصموا بالله. أي: تمسكوا بكتاب الله ودينه.

وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ... أي: جعلوا قلوبهم نقية خالية من الشرك خالصة للإيمان وقصدوا بعلمهم وجه الله.

قال ابن أبي حاتم: عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «أخلص دينك؛ يكفك القليل من العمل»<sup>(١٣٨)</sup>.

إن الإخلاص إكسیر العبادة وروحها وسر قبولها قال تعالى :  
 وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ... (البينة: ه) .  
 فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ... أى: هؤلاء الذين تابوا إلى الله وأصلحوا أعمالهم ونياتهم يدخلون فى عداد  
 المؤمنين إيمانًا حقيقيا وإنه لشرف عظيم أن يدخل الإنسان فى عداد المؤمنين .  
 وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ... أى: يعطيهم الأجر الكبير فى الآخرة وهو الجنة .

١٤٧- مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ ...

أى منفعة له سبحانه فى عذابكم؟ إن شكرتم وأمنتم أيتشفى من الغيظ - حاشا لله -؟ وأم يدرك  
 به الثأر، أم يدفع به الضر، ويستجلب النفع؟ وهو الغنى عنكم؟!

قال الإمام الشوكاني فى تفسيره: فتح القدير:

هذه الجملة متضمنة لبيان أنه لا غرض له سبحانه فى التعذيب إلا مجرد المجازاة للعصاة .  
 والمعنى: أى منفعة له فى عذابكم إن شكرتم وأمنتم، فإن ذلك لا يزيد فى ملكه، كما أن ترك  
 عذابكم لا ينقص من سلطانه؟!

وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا . أى: يشكر عباده على طاعته: فيثيبهم عليها ويتقبلها منهم .

والشكر فى اللغة: الظهور يقال: دابة شكور؛ إذا ظهر من سمنها فوق ما تعطى من العلف .  
 فالله سبحانه وتعالى يعطى على العمل القليل الثواب الجزيل وهو واسع العلم لا يعزب عنه  
 مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض .

فما أعظم فضله، وما أجزل نعمه، وما أكثر عطاءه. وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا .

وكان من دعاء رسول الله ﷺ إذا قام من الليل: «اللهم، لك الحمد أنت نور السماوات والأرض  
 ومن فيهن، ولك الحمد. أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ضياء السماوات  
 والأرض ومن فيهن، ولك الحمد. لا إله إلا أنت وعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنبيون حق،  
 ومحمد ﷺ حق» (١٣١).

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، تمت كتابة تفسير القرآن الكريم (الجزء الخامس) ضحى  
 يوم الأربعاء ٢٨ شوال ١٤٠٧ هـ الموافق ٢٤ يونيو ١٩٨٧ م بمنيل الروضة القاهرة، والحمد لله رب العالمين .

اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك وصل اللهم على سيدنا محمد  
 وعلى آله وصحبه وسلم .

تخريج أحاديث وهوامش  
تفسير القرآن الكريم  
(الجزء الخامس)

خرَجَ أحاديثه  
الأستاذ  
بجمال سعيّد فهمي

(١) احتلمت في ليلة باردة:

رواه أبو داود في الطهارة (٣٣٤) وأحمد في مسنده (١٧٣٥٦) عن عمرو بن العاص، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشقت إن اغتسلت أن أهلك فتميت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟! فأخبرته بالذي معني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إن الله كان بكم رحيمًا فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا!.

(٢) من قتل نفسه بشيء عذب به:

رواه البخاري في الجنائز (١٣٦٤) في الأدب (٦٠٧٤، ٦١٠٥) في الأيمان والنذور (٦٦٥٣) مسلم في الإيمان (١١٠) وأبو داود في الأيمان والنذور (٣٢٥٧) والترمذي في الطب (٢٦٣٦) والنسائي في الأيمان والنذور (٣٧٧٠) والدارمي في الدييات (٢٣٦١) وأحمد في مسنده (١٥٩٥٦، ١٥٩٥٠) من حديث ثابت بن الضحك وكان من أصحاب الشجرة حدثه أن رسول الله ﷺ قال: من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقتله.

(٣) من تردى من جبل فقتل نفسه:

رواه البخاري في الطب (٥٧٧٨) ومسلم في الإيمان (١٠٩) والترمذي في الطب (٢٠٤٣، ٢٠٤٤) والنسائي في الجنائز (١٩٦٥) وابن ماجه في الطب (٣٤٦٠) (٣٤٣٩، ٩٨٣٩، ٩٩٦٤) والدارمي في الدييات (٢٣٦٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا أبدًا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ومن قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها في بطنه جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبد.

(٤) اجتبوا السبع الموبقات:

رواه البخاري في الوصايا ح ٢٧٦٦، ومسلم في الإيمان ح ٨٩، والنسائي في الوصايا ح ٣٦٧١، وأبو داود في الوصايا ح ٢٨٧٤ من حديث أبي هريرة.

(٥) ألا أتاكم بأكبر الكبائر:

رواه البخاري في الشهادات ح ٢٤٦٠، وفي الأدب ح ٥٥١٩، ٥٥٢٠، ومسلم في الإيمان ح ١٢٦، ١٢٨، وأحمد ح ١١٨٨٦، ١٩٤٩١، ١٩٤٩٩.

(٦) إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه:

رواه البخاري في الأدب (٥٩٢٣) وأبو داود في الأدب (٥١٤١) وأحمد في مسنده (٦٩٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٧) ما زال جبريل يوصيني بالجار:

رواه البخاري في الأدب (٦٠١٤) ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٤) وأبو داود في الأدب (٥١٥١) والترمذي في البر والصلة (١٩٤٢) وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٣) وأحمد في مسنده (٢٤٠٧٩، ٢٤٤٢١، ٢٥٠١٢، ٢٥٤٨٢) من حديث عائشة. ورواه البخاري في الأدب (٦٠١٥) ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٥) من حديث ابن عمر. ورواه أبو داود في الأدب (٥١٥٢) والترمذي في البر والصلة (١٩٤٣) وأحمد في مسنده (٦٤٦٠) من حديث عبد الله بن عمرو. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روي هذا الحديث عن مجاهد عن عائشة وأبي هريرة عن النبي ﷺ أيضًا. ورواه أحمد في مسنده (٥٥٥٢) من حديث عبد الله بن مسعود. ورواه أحمد في مسنده أيضًا (١٠٢٩٧، ٩٤٥٣، ٧٤٧٠، ٧٩٨٥) من حديث أبي هريرة. ورواه أحمد في مسنده (١٩٨٣٧، ٢٢٥٨٣) عن رجل من الأنصار.

(٨) اقرأ على؛ أحب أن أسمع من غيري:

رواه البخاري في التفسير (٤٥٨٢) وفي فضائل القرآن (٥٠٥٠، ٥٠٥٥) ومسلم في صلاة المسافرين (٨٠٠) والترمذي

في التفسير (٣٠٢٤) وأبو داود في العلم (٣٦٦٨) وابن ماجه في الزهد (٤١٩٤) وأحمد في مسنده (٣٥٩٥، ٣٥٩٥، ٤١٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٩) تفسير المراغي ٥ / ٦١ .

(١٠) فتح القدير للشوكاني ١ / ٤٨٠ .

(١١) الحمد لله الذي وفق:

رواه أبو داود في الأفضية (٣٥٩٢) والترمذي في الأحكام (١٣٧٢) والدارمي في المقدمة (١٦٨) وأحمد في مسنده (٢١٥٠٢، ٢١٥٥٦، ٢١٥٩٥) عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بكتاب الله قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبينة رسول الله ﷺ قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله، قال: أجتهد رأيي ولا ألو. فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله ﷺ قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتمصل. وقال الزيلعي في نصب الراية: وأخرجاه أيضاً عن أناس من أصحاب معاذ: أن رسول الله ﷺ مرسلًا، قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بمتمصل، انتهى. وقال البخاري في «تاريخه الكبير»: الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة الثقفي عن أصحاب معاذ، عن معاذ، روى عنه أبو عون، ولا يصح، ولا يعرف إلا بهذا، مرسل، انتهى. وفيه كتاب، ورواه النسائي في آداب القضاة (٥٢٩٩) والدارمي في المقدمة (١٦٧) عن شريح أنه كتب إلى عمر يسأله فكتب إليه أن اقض بما في كتاب الله ﷺ فإن لم يكن في كتاب الله فبينة رسول الله ﷺ فإن لم يكن في كتاب الله ﷺ فاقض بما قضى به الصالحون فإن لم يكن في كتاب الله ﷺ ولا في سنة رسول الله ﷺ ولم يقض به الصالحون فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر ولا ترى التأخير إلا خيراً لك والسلام عليكم.

(١٢) الشرح: مسيل الماء .

(١٣) اسق يا زبير:

رواه البخاري في المساقاة أيضاً (٢٣٦١، ٢٣٦٢) وفي الصلح (٢٧٠٨) وفي التفسير (٤٥٨٥) من حديث عروة قال خاصم الزبير رجل من الأنصار فقال للنبي ﷺ: يا زبير اسق ثم أرسل فقال الأنصاري: إنه ابن عمك، فقال عليه السلام: اسق يا زبير ثم يبلغ الماء الجدر ثم أمسك فقال الزبير: فأحسب هذه الآية نزلت في ذلك «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم».

ورواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٠) ومسلم في الفضائل (٢٣٧٥) وأبو داود في الأفضية (٣٦٣٧) والترمذي في الأحكام (١٣٣٢) وفي التفسير (٣٠٢٧) والنسائي في آداب القضاة (٥٤٠٤) وابن ماجه في المقدمة (١٥) وفي الأحكام (٢٤٨٠) وأحمد في مسنده (١٥٦٨٤) عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أنه حدثه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل.. الحديث، ورواه أحمد في مسنده (١٤٢٢) من حديث الزبير ابن العوام.

(١٤) في ظلال القرآن ٢ / ٧٠٧ .

(١٥) تضمن الله لمن خرج في سبيله

رواه البخاري في الإيمان (٣٦) وفي فرض الخمس (٣١٢٣) وفي التوحيد (٧٤٦٣، ٧٤٧٥) رواه مسلم في الإمارة واللفظ له - (١٨٧٦) ومالك في الموطأ كتاب الجهاد (٩٧٤) والنسائي في الجهاد (٣١٢٢، ٣١٢٣) وفي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٩) وابن ماجه في الجهاد (٢٧٥٣) والدارمي في الجهاد (٢٣٩١) وأحمد في مسنده (٨٧٥٧، ٨٩٢٣) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا جهاداً في سبيلي.. الحديث، وقد روى الحديث بآثار من لفظ منها: تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا جهاداً.. الحديث، ومنها: أعد الله لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً.. وفي إحدى الروايات: تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج إلا جهاداً.. الحديث.

(١٦) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، ٧٠٨ / ٥، طبعة دار الشروق الحادية عشرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

(١٧) كنت أنا وأمي من المستضعفين:

رواه البخاري في الجنايز (١٣٥٧) وفي تفسير القرآن (٤٥٨٧) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما يقول: كنت أنا وأمي من المستضعفين: أنا من الولدان وأمي من النساء.

(١٨) تفسير الكشاف ١ / ٢٨١ .

(١٩) إني أمرت بالعفو فلا تقتلوا القوم:

رواه النسائي في الجهاد (٣٠٨٦) من حديث ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون فلما آمننا صرنا أذلة فقال: إني أمرت بالعفو فلا تقتلوا فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا فأنزل الله عز وجل ﴿ألم تر إلى الذين قول لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة﴾. وذكره السيوطي في الدر ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه.

(٢٠) كانت الزكاة غير محددة المقادير في مكة - قبل الهجرة - وكان ذلك متروكا لتقدير المسلمين، ثم تم تحديدها بالمدينة.

(٢١) انظر تفسير القرطبي ٥ / ٢٨٢ .

(٢٢) ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب:

رواه البخاري في المرضي باب: ما جاء في كفارة المرضى (٥٣١٧) ومسلم في البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (٢٥٧٢) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها). ورواه البخاري فيما تقدم (٥٣١٨) عن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن وأذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها). رواه الترمذي في تفسير القرآن باب ومن سورة النساء (٥٠٢٩) عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾، شق ذلك على المسلمين فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: قاروا وسدوا. وفي كل ما يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكهاها. هذا حديث حسن غريب.

(٢٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية الحزب التاسع، ص ٨٥٩ .

(٢٤) أنتم أعلم بأمر دينكم:

رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣) وأحمد في مسنده (١٢١٣٥) من حديث أنس أن النبي ﷺ مر بقوم يلحقون فقال: لو لم تغفلوا لصلح قال: فخرج شيصا فمر بهم فقال: ما لنخلكم قالوا: قلت: كذا وكذا قال: أنتم أعلم بأمر دينكم.

(٢٥) من أطاعني فقد أطاع الله:

رواه البخاري في الجهاد (٢٥٧٧) وفي الأحكام (٧١٣٧) ومسلم في الإمارة (١٨٣٥) والنسائي في البيعة (٤١٩٣) وفي الاستعانة (٥٥١٠) وابن ماجه في المقدمة (٢) وفي الجهاد (٢٨٥٩) (٧٣٨٦، ٨٣٠٠، ٨٧٨٨) من حديث أبي هريرة مرفوعا: من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني.

(٢٦) إنما هلكت الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب:

رواه مسلم في العلم (٢٦٦٦)، وأحمد ٢ / ١٨٥ .

(٢٧) كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع:

رواه مسلم فى المقدمة (٥) وأبو داود فى الأدب (٤٩٩٢) من حديث حفص بن عاصم - عن أبى هريرة - قال: قال رسول الله ﷺ كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع. قال أبو داود ولم يذكر حفص أباه هريرة قال أبو داود ولم يستند إلا هذا الشيخ يعنى على بن حفص المدائنى. ورواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه: بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع. ورواه أيضاً من حديث أبى الأحوص عن عبد الله قال: بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع.

(٢٨) إن الله كره لكم قيل وقال:

رواه البخارى فى كتاب الزكاة (١٤٧٧) وفى الاستقراض (٢٤٠٨) وفى الأدب (٥٩٧٥) وفى الرقاق (٦٤٧٣) وفى الاعتصام (٧٢٩٢) ومسلم فى كتاب الأفضية (١٧١٥) من حديث المغيرة بن شعبه.

(٢٩) من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب:

رواه أحمد (١٧٧١٩، ١٧٧٤٦، ١٧٧٧٦) من حديث المغيرة بن شعبه. ورواه مسلم فى المقدمة، والترمذى فى العلم (٢٦٦٢) من حديث المغيرة بن شعبه أيضاً إلا أنه يلفظ: من حدث عنى. ورواه مسلم فى المقدمة، وأحمد (١٩٦٥٠، ١٩٧١٢) من حديث سمرة بن جندب. ورواه ابن ماجه فى المقدمة (٤٠) من حديث على، ثم أسنده من حديث سمرة. قال الترمذى: هذا حديث صحيح وروى شعبه عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن سمرة عن النبى ﷺ هذا الحديث وروى الأعمش وابن أبى ليلى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن على عن النبى ﷺ وكان حديث عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن سمرة عند أهل الحديث أصح قال: سألت أباه محمد عبد الله بن عبد الرحمن عن حديث النبى ﷺ من حدث عنى حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين، قلت له: من روى حديثاً وهو يعلم أن إسناده خطأ يخاف أن يكون قد دخل فى حديث النبى ﷺ أو إذا روى الناس حديثاً مرسلأ فأسنده بعضهم أو قلب إسناده يكون قد دخل فى هذا الحديث فقال: لا إنما معنى هذا الحديث إذا روى الرجل حديث ولا يعرف لذلك الحديث عن النبى ﷺ أصل فحدث به فأخاف أن يكون قد دخل فى هذا الحديث.

(٣٠) لا حينما سأله عمر: أطلقت نساءك؟ حديث الإيلاء:

هذا اللفظ جزء من حديث الإيلاء: رواه البخارى فى العلم (٨٩) وفى المظالم ح (٢٤٦٨، ٢٤٦٩)، وفى التفسير ح (٤٩١٣، ٤٩١٤، ٤٩١٥) وفى النكاح ح (٥١٩١، ٥٢٠٣)، وفى الطلاق ح (٥٢٦٧)، وفى اللباس ح (٥٨٤٣)، وفى الأدب (٦٢١٨)، وفى أخبار الأحاد ح (٦٧٢١)، ومسلم فى الطلاق ح (١٤٧٩)، والترمذى فى التفسير ح (٣٣١٨)، والنسائى فى الطلاق ح (٢٤٥٥)، وأبو داود فى الأدب ح (٤٥٢٥)، وأحمد فى مسنده ح (٢٤١).

(٣١) تفسير ابن كثير ١ / ٥٣٠ .

(٣٢) قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض:

رواه مسلم فى الإمارة (١٩٠١) وأحمد فى مسنده (١١٩٩٠) من حديث أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ بسيسة عينا ينفلر ما صنعت عبر أبى سفيان فجاء وما فى البويت أحد غيرى وغير رسول الله ﷺ قال: لا أنرى ما استفتنى بعض نسائه قال: فحدثه الحديث قال: فخرج رسول الله ﷺ فنكلم فقال: إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا فجعل رجالا يستأذنونهم فى ظهرانهم فى علو المدينة فقال: لا إلا من كان ظهره حاضراً فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ لا يقدمن أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض قال: يقول عمير بن الحمام الأنصارى: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم قال: يخ بع فقال: رسول الله ﷺ ما يحكمك على قوله: يخ بع قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها قال: فإنك من أهلها فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة! قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

(٣٣) يا أبا سعيد من رضى الله ربا:

رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٤) والنسائي في الجهاد (٣١٣١) وأحمد في مسنده (١٠٧١٨) من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا سعيد من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً ويمحمد نبياً وجبت له الجنة فحجب لها أبو سعيد فقال أعدها على يا رسول الله ففعل ثم قال: وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة من الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال: وما هي يا رسول الله قال: الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله.

(٣٤) اشفعوا توجروا:

رواه البخاري في الزكاة (١٤٣٢) وفي الأدب (٦٠٢٧، ٦٠٢٨)، وفي التوحيد (٧٤٧٦) ومسلم في البر (٢٦٢٧) وأبو داود في الأدب (٥١٣١) والترمذي في العلم (٢٦٧٢) والنسائي في الزكاة (٢٥٥٦) (١٩٠٨٧، ١٩٠٧٠) من حديث أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: اشفعوا توجروا ويقضى الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء. ورواه أبو داود في الأدب (٥١٣٢) والنسائي في (٢٥٥٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل ليسأني الشيء فأمنته حتى تشفعوا فيه فتوجروا وإن رسول الله ﷺ قال: اشفعوا توجروا.

(٣٥) لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا:

رواه مسلم في الإيمان (٥٤) وأبو داود في الأدب (٥١٩٣) والترمذي في الاستئذان (٢٦٨٨) وابن ماجه في المقدمة (٦٨) وفي الأدب (٣٦٩٢) (٨٨٤١، ٩٤١٦، ٩٨٢١، ١٠٢٧٢) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أبلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم. ورواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠) وأحمد في مسنده (١٤٣٣، ١٤٤٥) من حديث الزبير بن العوام أن النبي ﷺ قال: دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء هي المألفة لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم أفشوا السلام بينكم. وقال الترمذي: هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير فروى بعضهم عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد عن مولى الزبير عن النبي ﷺ ولم يذكروا فيه عن الزبير.

(٣٦) وعليكم السلام:

قال الهيثمي في المجمع: عن سلمان قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله. قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فقال له رسول الله ﷺ: وعليك. فقال الرجل: يا رسول الله أتاك فلان وفلان فحببتهما بأفضل مما حبيتني. فقال رسول الله ﷺ: إنك لو أن لم تدع شيئاً، قال الله عز وجل ﴿وَإِذَا حَبِيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحِيَا أَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا﴾ فرددت عليك التحية. وقال: رواه الطبراني وفيه هشام بن لاحق قواه النسائي وترك أحمد حديثه، ويقية رجاله الصحيح. وذكره السيوطي في الدر وزاد نسبتة لأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند حسن.

(٣٧) عشر في السلام:

رواه أبو داود في الأدب (٥١٩٥) والترمذي في الاستئذان (٢٦٨٩) والدارمي في الاستئذان (٢٦٤٠) وأحمد في مسنده (١٩٤٤٦) من حديث عمران بن حصين أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم قال: قال النبي ﷺ: عشر ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي ﷺ: عشرون ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي ﷺ: ثلاثون. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وعن سهل بن حنيف رواه البيهقي في السنن، وعن ابن عمر رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٣٨) إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم:

رواه مالك في الموطأ كتاب الجامع (١٧٩٠) وأحمد في مسنده (٤٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم فإنما يقول: السام عليكم فقل: عليك.



(٣٩) لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا:

تقدم ص ٧٩.

(٤٠) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٢٥٤، ١٥٥٢.

(٤١) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٢/ ٧٣١.

(٤٢) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٢/ ٧٣٤.

(٤٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ٥/ ٣١٠.

(٤٤) تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٣.

(٤٥) تفسير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ٩/ ٢٦.

(٤٦) تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ٩/ ٢٧ وفيه أيضا والفن في كلام العرب: الاخبار. والإيراس: الرجوع: فتأويل الكلام: كلما ردوا إلى الاختيار؛ ليرجعوا إلى الكفر والشرك؛ رجعوا إليه. تفسير الطبري ٩/ ٢٨.

(٤٧) الطبري ٩/ ٢٩.

(٤٨) تفسير الطبري ٩/ ٣٠.

(٤٩) لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى:

رواه البخاري في الديات ح ٦٣٧٠، ومسلم في القسامة ٣١٥٧، ٣١٦٧، والترغيب في الديات ح ١٣٢٢، وفي الحدود ح ١٣٦٤، والنسائي في تحريم الدم ح ٣٩٥٩، وفي القسامة ح ٤٦٤٢، وأبو داود في الحدود ح ٣٧٨٨، وابن ماجه في الحدود ح ٢٥٢٥، وأحمد ح ٣٨٥٩، ٣٤٣٨، ٤٠٢٤، والدارمي في الحدود ح ٢١٩٦.

(٥٠) على أهل الإبل مائة بدنة:

رواه أبو داود في الديات (٤٥٤٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ﷺ ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم ودية أهل الكتاب يومئذ النصف من دية المسلمين قال: فكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر رحمه الله فقام خطيباً فقال: ألا إن الإبل قد غلت قال: ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألفاً وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاة ألفي شاة وعلى أهل الحلال مائتي حلة قال: وترك دية أهل الذمة لم يرفعها فيما رفع من الدية.

(٥١) تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ٩/ ٤٠.

(٥٢) تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ٩/ ٤٣، ٤٤ باختصار وتصرف.

(٥٣) تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٥.

(٥٤) التفسير الوسيط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الحزب العاشر ص ٨٨١.

(٥٥) تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ٩/ ٥٦.

(٥٦) أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء:

رواه البخاري في الرقاق (٦٥٣٣) وفي الديات (٦٨٦٤) ومسلم في القسامة (١٦٧٨) والترغيب في الديات (١٣٩٧) والنسائي في تحريم الدم (٣٩٩٣) وابن ماجه في الديات (٢٦١٥، ٢٦١٧) وأحمد في مسنده (٣٦٦٥، ٤٢٠١) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ أول ما يقضى بين الناس بالدماء.

(٥٧) لزوال الدنيا أهون:

رواه الترمذى فى الدييات (١٣٩٥) والنسائى فى تحريم الدم (٣٩٩٧) من حديث عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال: لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم. ثم رواه الترمذى موقوفاً وقال: وهذا أصح من حديث ابن أبى عدى - يعنى الموقوف -.

ورواه ابن ماجه فى الدييات (٢٦١٩) من حديث البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق.

(٥٨) لو اجتمع أهل السماوات والأرض على قتل رجل مسلم:

قال السيوطى فى الدرر: وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس قال: «قتل بالمدينة قتيل على عهد النبى ﷺ لم يعلم من قتله، فصعد النبى ﷺ المنبر فقال: أيها الناس قتل قتيل وأنا فيكم ولا نعلم من قتله، ولو اجتمع أهل السماء والأرض على قتل امرئ لعذبهم الله إلا أن يفعل ما يشاء».

(٥٩) من أعان على قتل مسلم:

رواه ابن ماجه فى الدييات (٢٦٢٠) من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من أعان على قتل مؤمن بشرط كلمة لعنى الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله. قال البوصيرى فى الزوائد: فى إسناده يزيد بن أبى زياد، بالغوا فى تضعيفه، حتى قيل: كأنه حديث موضوع. وقال الزيلعى فى نصب الراية: وهو حديث ضعيف.

قال السيوطى فى الدرر: وأخرج ابن عدى والبيهقى فى البعث عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعان على دم امرئ مسلم بشرط كلمة، كتب بين عينيه يوم القيامة: آيس من رحمة الله». وقال الهيثمى فى المجمع: وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من شرك فى دم حرام بشرط كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله. رواه الطبرانى وفيه عبد الله بن خراس ضعفه البخارى وجماعة ووثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ، وبقيته رجاله ثقات.

(٦٠) أظنه قد أحدث حدثاً:

قال السيوطى فى الدرر: أخرج ابن جريج وابن المنذر من طريق ابن جريج عن عكرمة «أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقبس بن ضبابة، فأعطاه النبى ﷺ الدية فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله. قال ابن جريج، وقال غيره: ضرب النبى ﷺ ديته على بنى النجار، ثم بعث مقبسا، وبعث معه رجلاً من بنى فهر فى حاجة للنبى ﷺ، فاحتمل مقبس الفهرى - وكان رجلاً شديداً - فضرب به الأرض، ورضخ رأسه بين حجرين، ثم ألقى يتغنى: قتلت به فهرا وحملت عقله سرأة بن النجار أرباب قارع فأخبر به النبى ﷺ فقال: أظنه قد أحدث حدثاً. أما والله لئن كان فعل لا أومنه فى حل ولا حرم، ولا سلم ولا حرب، فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ الآية.

(٦١) تكلمه أمه قبل رجلاً متعمداً:

رواه أحمد فى مسنده (٢١٤٣، ٢٦٧٨) والترمذى فى تفسير القرآن (٣٠٢٩) والنسائى فى تحرى الدم (٣٩٩٩) وفى القسامة (٤٨٦٦) من حديث ابن عباس أن رجلاً أتاه فقال: أرأيت رجلاً قتل رجلاً متعمداً قال: ﴿جزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ قال: لقد أنزلت فى آخر ما نزل ما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ وما نزل وحى بعد رسول الله ﷺ قال: أرأيت إن تاب وأمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال: وأنى له بالتوبة وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: تكلمه أمه رجل قتل رجلاً متعمداً بجمىء يوم القيامة أخذاً قائله بيمينه أو يسارته وأخذاً رأسه بيمينه أو شماله تشخب أوداجه دما فى قبل العرش يقول: يا رب سل عبدك فم قتلنى. وقال الترمذى: حديث حسن.

(٦٢) تفسير الطبرى تحقيق محمود شاكر ٩ / ٦٣ قال: رواه أحمد فى المسند برقم ٢١٤٢ بطوله وهو حديث صحيح، وقوله (تشخب أوداجه دما) أى تسيل دماً له صوت فى خروجه، مثل صوت الحالب لضرع الشاة (والأوداج) جمع ودج بفتحين، وهى العروق التى تكتنف الحلقوم وما أحاط بالعنق من العروق التى يقطعها الذابح (قيل) بضمين ما يستقبلك من شيء، ويعنى به: ما بين يدي العرش ومعنى (وما نزل بعدها من برهان) أى: ما جاء نبى بعد نبيكم، ولا نزل كتاب بعد كتابكم.

(٦٣) أن رجلا قتل مائة نفس:

رواه البخارى فى الأنبياء باب: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾ (٣٢٨٣) مسلم فى التوبة باب قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ (٢٧٦٦) وابن ماجه فى الديات باب هل لقاتل مؤمن توبة؟ (٢٦٢٢).

(٦٤) تفسير ابن كثير ١ / ٥٣٧.

(٦٥) (الْبَيْضَةُ) بفتح السين: القطعة من اللحم.

(٦٦) هلا شققت عن قلبه:

رواه البخارى فى المغازى (٤٢٦٩) وفى الديات (٦٨٧٢) ومسلم فى الإيمان (٩٦) وأبو داود فى الجهاد (٢٦٤٣) وأحمد فى مسنده (٢١٢٣٨) من حديث أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمتهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا فلما غشينا قال: لا إله إلا الله فكف الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبى ﷺ فقال: يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله قلت: كان متعوذا فما زال يكرها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

(٦٧) كان رجل مؤمن يخفى إيمانه:

رواه البخارى فى الديات (٦٨٦٥) للمقداد بن عمرو الكندى حليف بنى زهرة، وكان شهد بدرًا مع النبى ﷺ أنه قال: رسول الله إنى لعيت كافرا فاقتلتنا فضرب يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة وقال: أسلمت لله أقتله بعد أن قالها قال رسول الله ﷺ: لا تقتله قال: يا رسول الله فإنه طرح إحدى يدى ثم قال ذلك بعد ما قطعها أقتله قال: لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله وأنت بمنزلة قبل أن يقول كلمته التى قال وقال حبيب بن أبى عمرة: عن سعيد عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ للمقداد: إذا كان رجل مؤمن يخفى إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته فذلك كنت أنت تخفى إيمانه بمكة من قبل.

(٦٨) يُملأ: يضم أوله، وكسر الميم وتشديد اللام؛ هو مثل يملؤها، والرض: الدق، وسرى كشف، وروى البخارى عن البراء قال: لما نزلت ﴿لا يسئروا القاعدون من المؤمنين﴾ دعا رسول الله ﷺ زيدا فكبها، فجاء ابن أم مكتوم، فشكا ضرارته فأذن الله ﴿غير أولى الضرر﴾. وقد جاء فى المسند ٥ / ١٨٤ والبخارى ٨ / ١٩٥ . وأبو داود ٣ / ١٧ والترمذى ٤ / ٩٢، والنسائى ٩ / ٦، نقلا عن زاد المسير لابن الجوزى، المكتب الإسلامى ٢ / ١٧٣ .

(٦٩) البخارى ٨ / ١٩٧ .

(٧٠) تفسير ابن كثير ١ / ٥٤١ .

(٧١) إن فى الجنة مائة درجة:

جزء من حديث، رواه البخارى فى الجهاد والسير ح ٢٧٩٠، وفى التوحيد ح ٧٤٣٢، وأحمد ح ٧٨٦٣، ٨٢٤٤، ٨٢٦٩، من حديث أبى هريرة مرفوعا: من آمن بالله وبرسوله ... الحديث. ورواه الترمذى فى صفة الجنة ح ٢٥٢٩، وأحمد ح ٢١٥٨٢، من حديث معاذ بن جبل مرفوعا: من صام رمضان وصلى الصلوات ... الحديث. ورواه الترمذى أيضا فى صفة الجنة ح ٢٥٣٠، وأحمد ح ٢٢١٨٧، ٢٢٢٣٢، من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا: فى الجنة مائة درجة ... الحديث. وأشار الترمذى إلى أن حديث معاذ أصح من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنهم.

(٧٢) يا أبا سعيد من رضى بالله ربا:

تقدم ص ٧٦.

(٧٣) زاد المسير فى علم النفس، لابن الجوزى، المكتب الإسلامى ٢ / ١٧٦ .

(٧٤) كفروا بعد إسلامهم.

(٧٥) تفسير الطبري تحقيق محمود شاکر، ١٠٣ / ٩، وأفاد أن هذا الأثر خرجه ابن كثير في تفسير ٢ / ٥٥٢، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ / ٢٠٥، وهو في السنن الكبرى للبيهقي ٩ / ١٤، وقد رأى المحقق محمود شاکر توثيق رواة هذا الأثر.

(٧٦) تفسير الكشاف ١ / ٢٩٣، وهو دعاء عالم آثر جوار الله في البيت الحرام؛ حتى سمى جبار الله.

(٧٧) تفسير الألوسي: روح المعاني ٥ / ١٢٦.

(٧٨) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ٢ / ١٧٩، ونسب الرأي الأول إلى ابن عباس وعكرمة ومجاهد، والثاني إلى ابن زيد.

(٧٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة محمود الألوسي ٥ / ١٢٧.

(٨٠) لا هجرة بعد الفتح:

رواه البخاري في الجهاد (٢٧٨٣، ٢٨٢٥) والترمذي في السير (١٥٩٠) والدارمي في السير (٢٥١٢) (١٩٩٢، ٣٣٢٥) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا. ورواه البخاري في المتابع (٣٨٩٩) وفي المغازي (٤٣١١) من حديث عبد الله بن عمر. ورواه مسلم في الإمارة (١٨٦٤) من حديث عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الهجرة فقال: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا. وفي الباب: عن أبي سعيد الخدري، ومجاشع بن مسعود.

(٨١) والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه:

رواه البخاري في الإيمان (١٠) وفي الرقاق (٦٤٨٤) ومسلم في الإيمان (٤٠) وأبو داود في الجهاد (٢٤٨١) والنسائي في الإيمان (٤٩٩٦) وأحمد في مسنده (٦٤٧٩، ٦٧٦٧، ٦٩١٤، ٦٩٤٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه. ورواه ابن ماجه في الفتن (٢٩٣٤) وأحمد في مسنده (٢٣٤٣٨) من حديث فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع ألا أخيركم بالمؤمنين؟ من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب. ورواه البخاري في الإيمان (١١) ومسلم في الإيمان (٤٢) والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٤) عن أبي موسى رضى الله عنه قال: قالوا يا رسول الله أى الإسلام أفضل؟ قال من سلم المسلمون من لسانه ويده. ورواه مسلم في الإيمان (٤١) والدارمي في الرقاق (٢٧١٢) وأحمد في مسنده (١٤٧٨٨) من حديث جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ورواه الترمذي في الإيمان (٢٦٢٧) والنسائي في الإيمان (٤٩٩٥) وأحمد في مسنده (٧٨١٢) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دنائهم وأموالهم قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد في مسنده (١٢١٥١) من حديث أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ المؤمن من آمنه الناس المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء والذي نفسى بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه.

(٨٢) صدقة تصدق الله بها عليكم:

رواه مسلم في صلاة المسافرين (٦٨٦) وأبو داود في الصلاة (١١٩٩) والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٣٤) والنسائي في تقصير الصلاة (١٤٣٣) وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٦٥) والدارمي في الصلاة (١٥٠٥) من حديث يعلى بن أمية قال: سألت عمر بن الخطاب قلت: ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته.

(٨٣) رواه أحمد، وأصحاب السنن، واللفظ لأحمد.

(٨٤) ألا إنما أنا بشر وإنما أقتنى:

رواه البخاري في المغازم (٢٤٥٨) وفي الشهادات (٢٦٨٠) وفي الحيل (٦٩٦٧) وفي الأحكام (٧١٦٩، ٧١٨١، ٧١٨٥) وفي الأفضية (١٧١٣) ومسلم في الأفضية (١٧١٣) ومالك في الموطأ كتاب الأفضية (١٤٢٤) وأبو داود في الأفضية

(٣٥٨٣) والترمذي في الأحكام (١٣٣٩) والنسائي في آداب القضاة (٥٤٢٢) وابن ماجه في الأحكام (٢٣١٧) (٢٥٩٥٢) من حديث أم سلمة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون مبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضى له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فلأخذها أو فليتركها.

(٨٥) انظر تفسير ابن الجوزي زاد المسير ١٩٠/٢، وتفسير ابن كثير ٥٥١/١، وكذلك الكشاف وروح المعاني وغيرها.

(٨٦) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ١٩١/٢ المكتب الإسلامي ونقل في الهامش عن ابن كثير أنه قال: احتج بهذه الآية من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد وما ثبت في الصحيحين «إلا إنما أنا بشر، وإنما أقضى بنحو ما أسمع...».

(٨٧) اللؤلؤى: روح المعاني ١٤٠ / ٥ .

(٨٨) تفسير الكشاف للزمخشري ٢٩٧/١ .

(٨٩) في ظلال القرآن ٧٥٤/٥ .

(٩٠) في ظلال القرآن ٧٥٤/٥ .

(٩١) تفسير الكشاف ٢٩٧/١ .

(٩٢) اللؤلؤى: روح المعاني ١٤٢/٥ .

(٩٣) تفسير الكشاف ٢٩٨/١ .

(٩٤) ابن الجوزي زاد المسير، ونقله عن أبي سليمان الدمشقي .

(٩٥) أى: جعله هنيئاً لأخذه مسعفاً بمطلوبه .

(٩٦) ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس

رواه البخارى فى الصلح (٢٦٩٢) ومسلم فى البر (٢٦٠٥) وأبو داود فى الأدب (٤٩٢٠، ٤٩٢١) وأحمد فى مسنده (٢٦٧٢٨) من حديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فىمنى خيراً أو يقول خيراً.

(٩٧) الساربه أو العمود .

(٩٨) روى عنه: أنه قرأ القرآن ثلاث مرات يتفقد هذا الحكم حتى ظفر به .

(٩٩) ابن الجوزي: زاد المسير فى علم التفسير ٢٠٣/٢ .

(١٠٠) ألا أنياكم بأكبر الكيثار:

تقدم ص ١٣ .

(١٠١) تفسير الطبرى ٢٠٦/٩ تحقيق محمود شaker .

(١٠٢) تفسير الطبرى بصرف .

(١٠٣) تفسير ابن كثير ٥٥٥/١ وقد علق الترمذى عليه بقوله: هذا حسن غريب .

(١٠٤) تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ٢١١/٩ باختصار وتصرف .

(١٠٥) ابعت بعث النار:

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٨) وفي تفسير القرآن (٤٧٤١) وفي الرقاق (٦٥٣٠) رواه مسلم في الإيمان (٢٢٢) (١٠٨٩٢) من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخرج بعث النار قال: وما بعث النار قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير ويضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﷻ قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد قال: أبشروا فإن منكم رجالا ومن يأجوج ومأجوج ألف ثم قال: والذي نفسي بيده إنى أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود. ورواه مسلم في الفتن (٢٩٤٠) وأحمد في مسنده (٦٥١٩) من حديث عبد الله بن عمر وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال: سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت ويكون ويكون ثم قال: قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد لا أصغي ليثا ورفع ليثا قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبلة قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطرا كأنه اللؤلؤ أو الخلل نعمان الشاك ففتنت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم ﷻ وقفوههم إنهم مستولون ﷻ قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين.. الحديث. ورواه الترمذي في تفسير القرآن (٣١٦٦، ٣١٦٧) (١٩٣٨٣، ١٩٤٠٠) من حديث عمران بن حصون أن النبي ﷺ لما نزلت ﷻ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﷻ إلى قوله ﷻ ولكن عذاب الله شديد ﷻ قال: أنزلت عليه هذه الآية وهو في سفر فقال: أنتدرون أي يوم ذلك فقالوا: الله ورسوله أعلم قال: ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعت بعث النار فقال: يا رب وما بعث النار؟ قال تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة... الحديث.

(١٠٦) تفسير ابن كثير ٥٥٦/١ .

(١٠٧) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ٢٠٤/٢ المكتب الإسلامي .

(١٠٨) تفسير روح المعاني للألوسي ١٤٩/٥ .

(١٠٩) المربع السابق ١٥٠/٥ كلب الشطرنج بإسراف وإدمان؛ لتضييع الوقت فإن كان اللعب قليلا؛ جاز .

(١١٠) رأيت في يد رسول الله ﷺ الميسم:

رواه مسلم في اللباس (٢١١٩) وفي فضائل الصحابة (٢١٤٤) (١٢٦١٤، ١٦٣٧٤) من حديث أنس بن مالك قال رأيت في يد رسول الله ﷺ الميسم وهو يسم إبل الصدقة.

(١١١) تفسير روح المعاني ١٥٠/٥ .

(١١٢) تفسير الطبري ٢٢٦/٩ .

(١١٣) إن أصدق الحديث كتاب الله:

رواه البخاري في الأدب (٦٠٩٨) وفي الاعتصام (٧٢٧٧) والدارمي في المقدمة (٢٠٧) وابن ماجه في المقدمة (٤٦) من حديث عبد الله: إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وإن ما تودعون لآت وما أنتم بمعجزين ﷻ. ورواه أحمد في مسنده (١٣٩٢٤، ١٤٠٢٢، ١٤٥٦٦) والنسائي في صلاة العيدين (١٥٧٨) والدارمي في المقدمة (٢٠٦) وابن ماجه في المقدمة (٤٥) من حديث جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدى هدى محمد وشر الأمور

محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه ويشدد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش قال ثم يقول أنتكم الساعة بعثت أنا والساعة هكذا - وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى - صحبتكم الساعة ومستكم من ترك ما لا فلاح له من ترك ديننا أو ضيعا فإلى وعلى، والضياح يعنى: ولده المسكين.

(١١٤) وأينا لم يعمل سوءاً ١٩:

رواه الترمذى فى تفسير القرآن (٣٠٢٩) وأحمد فى مسنده (٢٤) من حديث أبى بكر الصديق قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه هذه الآية ﴿من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ فقال رسول الله ﷺ: يا أبابكر ألا أقرئك آية أنزلت على قلت: بلى يا رسول الله قال: فأقرئها فلا أعلم إلا أنى قد كنت وجدت انتصاماً فى ظهري فتمطمت لها فقال رسول الله ﷺ: ما شأنك يا أبابكر قلت: يا رسول الله بأبى أنت وأمى وأينا لم يعمل سوءاً وإنما لم يجزوا بما عملنا؟ فقال رسول الله ﷺ: أما أنت يا أبابكر والمؤمنين فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب وفى إسناده مقال وموسى ابن عبدة يضعف فى الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل ومولى بن سباع مجهول وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبى بكر وليس له إسناد صحيح أيضاً وفى الباب عن عائشة. قال السيوطى فى الدرر: وأخرج أحمد وهناد وعبد بن حميد والحكيم الترمذى وابن جرير وأبو يعلى وابن المنذر وابن حبان وابن السننى فى عمل اليوم والليلة والحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الإيمان والضياء فى المختارة عن أبى بكر الصديق أنه قال: «يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية ﴿ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به﴾ فكأن سوء جزئنا به؟ فقال النبى ﷺ: غفر الله لك يا أبابكر، ألست تنصب، ألست تمرض، ألست تحزن، ألست تصيبك الأراء؟ قال: بلى. قال: فهو ما تجزون به».

(١١٥) سدروا وقاربوا:

رواه الترمذى فى تفسير القرآن باب ومن سورة النساء (٥٠٢٩) عن أبى هريرة قال: لما نزلت ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾، شق ذلك على المسلمين فشكوا ذلك إلى النبى ﷺ فقال: «قاربوا وسدروا. وفى كل ما يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة يتكبهها» هذا حديث حسن غريب.

(١١٦) ما من مسلم يشاك شوكة:

رواه البخارى فى المرضى باب: ما جاء فى كفارة المرضى (٥٣١٧) ومسلم فى البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (٢٥٧٢) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها). ورواه البخارى فيما تقدم (٥٣١٨) عن أبى سعيد الخدرى، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: (ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها).

(١١٧) فى ظلال القرآن ٧٦٢/٥ والعلماء من يرى ترك الأمر إلى مشيئة الله وحكمته؛ فهو الحكيم فيما يصنع، الحير بما يستحق كل إنسان من الجزاء العادل؛ ولا يظلم ربك أحداً.

(١١٨) روح المعاني ١٥٤/٥.

(١١٩) لو كنت متخذاً خليلاً:

رواه البخارى فى الصلاة (٤٦٦) وفى المناقب (٣٦٥٤، ٣٩٠٤) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨٢) والترمذى فى المناقب (٣٦٦٠) (١٠٧٥٠) من حديث أبى سعيد الخدرى قال: خطب النبى ﷺ فقال: إن خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فيكى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقلت فى نفسى: ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فكان رسول الله ﷺ هو العبد. وكان أبو بكر أعلمنا قال: يا أبابكر لا تبيك إن أمن الناس على صحبتي وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتى لاتخذت أبابكر ولكن أخوة الإسلام ومودة لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر. ورواه البخارى فى الصلاة (٤٦٧) وفى المناقب (٣٦٥٦) وفى الفرائض (٦٣٣٨) والدارمى فى الفرائض (٢٩١٠) وأحمد فى مسنده (٢٤٢٨، ٣٣٧٥) من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ

ﷺ قال: لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي». ورواه البخاري في المناقب (٣٦٥٨) (١٥٦٧٥، ١٥٦٨٠) عبد الله بن أبي مليكة قال: كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجد فقال: أما الذي قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً في هذه الأمة خليلاً لاتخذته» أنزله يعني أبا بكر. ورواه مسلم في المساجد (٥٢٣) من حديث جندب قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاركم عن ذلك». ورواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٣) والترمذي في المناقب (٣٦٥٥) وابن ماجه في المقدمة (٩٣) وأحمد في مسنده (٣٥٧٠، ٣٦٨١، ٤٣٤١، ٤٣٩٩) من حديث عبد الله بن مسعود يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً. ورواه أحمد في مسنده (١٥٤٩٢) والترمذي في المناقب (٣٦٥٩) من حديث ابن أبي العلي عن أبيه أن رسول الله ﷺ خطب يوماً فقال: «إن رجلاً خيره ربه بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش ويأكل في الدنيا ما شاء أن يأكل وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه» قال: فيكي أبو بكر فقال أصحاب النبي ﷺ: «ألا تحبون من هذا الشيخ إذ ذكر رسول الله ﷺ رجلاً صالحاً خيره ربه بين الدنيا وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه قال: فكان أبو بكر أعلمهم بما قال رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: بل نغديك بأبائنا وأموالنا فقال رسول الله ﷺ ما من الناس أحد أمن إلينا في صحبته وذات يده من ابن أبي حنيفة ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي حنيفة خليلاً ولكن ود وإخاء إيمان ود وإخاء إيمان مرتين أو ثلاثاً وإن صاحبكم خليل الله. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. ورواه الترمذي في المناقب (٣٦٦١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن صاحبكم خليل الله». وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(١٢٠) أنا سيد ولد آدم :

رواه مسلم في الفضائل (٢٢٨٧) وأبو داود في السنة (٤٦٧٣) وأحمد (١٠٥٨٩) من حديث أبي هريرة. رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣١٤٨) وفي المناقب (٣٦١٥) وابن ماجه في الزهد (٤٣٠٨) وأحمد (١٠٦٠٤) من حديث أبي سعيد. رواه أحمد (٢٦٨٧، ٢٥٤٢) من حديث ابن عباس ﷺ.

(١٢١) وفعله: نشز يشز: بوزن: يحكر، ويعرف.

(١٢٢) لما كبرت سودة :

رواه البخاري في الهبة (٢٥٩٤) وفي الشهادات (٢٦٨٨) وفي النكاح (٥٢١٢) وأبو داود في النكاح (٢١٢٨) وابن ماجه في النكاح (٢١٣٨) وابن ماجه في النكاح (١٩٧٢) وأحمد في مسنده (٢٤٣٣٨، ٢٣٨٧٤) عائشة رضی الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأبتهن خرج سهمها خرج بها معه وكان يقسم لكل امرأة منهن يوماً وليلتها غير سودة بن زمة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ. ورواه النسائي في النكاح (٣١٩١) ابن عباس قال توفي رسول الله ﷺ وعنده تسع نسوة يصيبهن إلا سودة فإنها وهبت يومها وليلتها لعائشة.

(١٢٣) لما أنزل الله في سودة:

رواه أبو داود في النكاح (٢١٣٥) من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أختي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكته عندنا وكان قل يوم إلا وهو يطوق علينا جميعاً فيدين من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سودة بنت زمة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومي لعائشة فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها قالت: نقول: في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها أراه قال: «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً» لم أره في البخاري بهذا اللفظ، وانظر ما قبله، وما بعده.

(١٢٤) الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكر منها:

رواه البخاري في المظالم (٢٤٥٠) وفي الصلح (٢٦٩٤) وفي تفسير القرآن (٤٦٠١) وفي النكاح (٥٢٠٦) ومسلم في



التفسير (٣٠٢١) من حديث عائشة رضى الله عنها في هذه الآية ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو أعراضاً﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول: أجدك من شأني في حل فنزلت هذه الآية في ذلك.

(١٢٥) تفسير الطبري ٢٦٨/٩.

(١٢٦) أبغض الحلال إلى الله الطلاق :

رواه أبو داود في الطلاق (٢١٧٧، ٢١٧٨) وابن ماجه في الطلاق (٢٠١٨) من حديث ابن عمر رضى الله عنه.

ورواه أبو داود في الطلاق (٢١٧٧) مرسلًا. قال الحافظ في التلخيص: ورجح أبو حاتم والدارقطني في العلل والبيهقي المرسل.

(١٢٧) تفسير ابن كثير ٥٦٣/١.

(١٢٨) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر الحزب العاشر ص ٩٣٠.

(١٢٩) تفسير الطبري ٢٨٣/٩.

(١٣٠) تفسير الطبري ٢٩٢/٩.

(١٣١) تفسير الطبري ٢٩٥/٩.

(١٣٢) تفسير الطبري ٢٩٨/٩.

(١٣٣) تفسير الطبري ٣٠٣/٩.

(١٣٤) فتح القدير تأليف محمد بن علي الشوكاني ٥٢٦/١.

(١٣٥) فتح القدير للشوكاني ٥٢٨/١.

(١٣٦) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد علي الصابوني ٤٥٠/١.

(١٣٧) أنقل الصلاة على المنافقين :

ذكر البخاري تعليقا في مواقيت الصلاة باب نكر العشاء والعمامة، ثم وصله في الأذان (٦٥٧) ومسلم في المساجد (٦٥١) وابن ماجه في المساجد (٧٩٧) (٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢) والدارمي في الصلاة (١٢٧٣) من حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: ليس صلاة أنقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأنوهما ولو حبوا لقد ممت أن أمر المؤذن فيقيم ثم أمر رجلا يوم الناس ثم أخذ شعلا من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد. ورواه أحمد في مسنده (٢٠٧٥٨، ٢٠٧٦٧) وأبو داود في الصلاة (٥٥٤) والنسائي في الإمامة (٨٤٣) والدارمي في الصلاة (١٢٦٩) من حديث أبي بن كعب أنه قال: صلى رسول الله ﷺ الصبح فقال: شاهد فلان فقالوا: لا فقال: شاهد فلان فقالوا: لا فقال شاهد فلان فقالوا: لا فقال إن هاتين الصلاتين من أنقل الصلوات على المنافقين ولو يعلمون ما فيهما لأنوهما ولو حبوا والصف المقدم على مثل صف الملائكة ولو تعلمون فضيلته لا بتدريتموه و صلاة الرجل مع الرجلين أزكى من صلته مع رجل وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تبارك وتعالى.

(١٣٨) أخلص دينك يكفك القليل من العمل :

قال السيوطي في الدر: وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن معاذ بن جبل: أنه قال لرسول الله حين بعثه إلى اليمن: أوصني. قال: «أخلص دينك يكفك القليل من العمل».

قال المناوي في الفيض: قال الحاكم: صحيح ورواه الذهبي وقال العراقي: رواه الديلمي من حديث معاذ وإسناده منقطع.

(١٣٩) اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض:

رواه البخاري في التهجد (١١٢٠) ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها ح ١٢٨٨، والترمذي في الدعوات ح ٣٣٤٠، والنسائي في قيام الليل ح ١٦٠١، وأبو داود في الصلاة ح ٦٥٥، وابن ماجه في إقامة الصلاة ح ١٢٤٥، وأحمد ح ٢٥٧٥، ومالك في النداء للصلاة ح ٤٥١، والدارمي الصلاة ح ١٤٤٨.

## محتويات الكتاب

رقم الآية	أول الآيات	رقم الصفحة
٢٤	﴿والمحصنات من النساء...﴾	٨٣٢
٢٥	﴿ومن لم يستطع منكم طولا...﴾	٨٣٢
٢٦	﴿يريد الله ليبين لكم...﴾	٨٣٦
٢٧	﴿والله يريد أن يتوب عليكم...﴾	٨٣٦
٢٨	﴿يريد الله أن يخفف عنكم...﴾	٨٣٦
٢٩	﴿يأيها الذين ءامنوا لا تأكلوا أموالكم...﴾	٨٣٧
٣٠	﴿ومن يفعل ذلك عدوانا...﴾	٨٣٧
٣١	﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه...﴾	٨٣٨
٣٢	﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به...﴾	٨٤٠
٣٣	﴿ولكل جعلنا موالى مما ترك...﴾	٨٤١
٣٤	﴿الرجال قوامون على النساء...﴾	٨٤٢
٣٥	﴿وإن خفتن شقاق بينهما...﴾	٨٤٢
٣٦	﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا...﴾	٨٤٥
٣٧	﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل...﴾	٨٤٥
٣٨	﴿والذين ينفقون أموالهم رياء الناس...﴾	٨٤٥
٣٩	﴿وماذا عليهم لو ءامنوا...﴾	٨٤٥
٤٠	﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة...﴾	٨٤٨
٤١	﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد...﴾	٨٤٨
٤٢	﴿يومئذ يود الذين كفروا...﴾	٨٤٨
٤٣	﴿يأيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى...﴾	٨٥١
٤٤	﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا...﴾	٨٥٣
٤٥	﴿والله أعلم بأعدائكم...﴾	٨٥٣
٤٦	﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم...﴾	٨٥٣
٤٧	﴿يأيها الذين أوتوا الكتاب...﴾	٨٥٥
٤٨	﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به...﴾	٨٥٧
٤٩	﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم...﴾	٨٥٧
٥٠	﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب...﴾	٨٥٧
٥١	﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب...﴾	٨٥٩
٥٢	﴿أولئك الذين لعنهم الله...﴾	٨٥٩
٥٣	﴿ألم لهم نصيب من الملك...﴾	٨٥٩

رقم الآية	أول الآيات	رقم الصفحة
٥٤	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ...﴾	٨٥٩
٥٥	﴿فَمَنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ...﴾	٨٥٩
٥٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا...﴾	٨٦١
٥٧	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾	٨٦١
٥٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ...﴾	٨٦٣
٥٩	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾	٨٦٤
٦٠	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾	٨٦٦
٦١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا...﴾	٨٦٦
٦٢	﴿فَكَيفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ...﴾	٨٦٦
٦٣	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ...﴾	٨٦٦
٦٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ...﴾	٨٦٨
٦٥	﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يَزُومُنَّ نُونَ...﴾	٨٦٨
٦٦	﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا...﴾	٨٦٩
٦٧	﴿وَإِذَا لَاتَ يَنْبَغُ...﴾	٨٦٩
٦٨	﴿وَلَوْ هَدَيْتُمْ نَجْمًا...﴾	٨٦٩
٦٩	﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾	٨٧٠
٧٠	﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ...﴾	٨٧٠
٧١	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ...﴾	٨٧١
٧٢	﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لِمَنْ لِيَبْطِئَنَّ...﴾	٨٧١
٧٣	﴿وَلِئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ...﴾	٨٧١
٧٤	﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	٨٧٢
٧٥	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	٨٧٢
٧٦	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	٨٧٢
٧٧	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ...﴾	٨٧٦
٧٨	﴿أَيَنْمَاتُ كُنْتُمْ يَدْرِكُكُمْ الْمَوْتَ...﴾	٨٧٦
٧٩	﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ...﴾	٨٧٦
٨٠	﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾	٨٧٦
٨١	﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا...﴾	٨٨٠
٨٢	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ...﴾	٨٨٠
٨٣	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ...﴾	٨٨٣

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٨٨٥	﴿فقاتل فسى سبيل الله...﴾	٨٤
٨٨٦	﴿من يشفع شفاعة حسنة...﴾	٨٥
٨٨٦	﴿وإذا حييتم بتحيةة...﴾	٨٦
٨٨٦	﴿الله لا إله إلا هو...﴾	٨٧
٨٨٩	﴿فمالكم فى المنافقين فئتین...﴾	٨٨
٨٨٩	﴿ودوا الوتكفرون كما كفروا...﴾	٨٩
٨٩٤	﴿إلا الذین يصلون إلى قوم...﴾	٩٠
٨٩٦	﴿ستجدون آخريين يريدون...﴾	٩١
٨٩٦	﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً...﴾	٩٢
٨٩٦	﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً...﴾	٩٣
٩٠٢	﴿يأبها الذین ءامنوا إذا ضربتم...﴾	٩٤
٩٠٤	﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنین...﴾	٩٥
٩٠٤	﴿درجات منه ومغفرة...﴾	٩٦
٩٠٧	﴿إن الذین توفاهم الملائكة...﴾	٩٧
٩٠٧	﴿إلا المستضعفين من الرجال...﴾	٩٨
٩٠٧	﴿فأولئك عسى الله...﴾	٩٩
٩٠٩	﴿ومن يهاجر فى سبيل الله...﴾	١٠٠
٩١١	﴿وإذا ضربتم فى الأرض...﴾	١٠١
٩١٣	﴿وإذا كنت فى هم...﴾	١٠٢
٩١٥	﴿فإذا قضيتم الصلاة...﴾	١٠٣
٩١٥	﴿ولا تهنوا فى ابتغاء القوم...﴾	١٠٤
٩١٦	﴿إننا أنزلنا إليك الكتاب...﴾	١٠٥
٩١٦	﴿وأسئتقفر الله...﴾	١٠٦
٩١٦	﴿ولا تجادل عن الذین يختانون...﴾	١٠٧
٩١٦	﴿يستخفون من الناس...﴾	١٠٨
٩١٦	﴿هأنتم هؤلاء جادلتم...﴾	١٠٩
٩٢٠	﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه...﴾	١١٠
٩٢٠	﴿ومن يكسب إثماً...﴾	١١١
٩٢٠	﴿ومن يكسب خطيئة...﴾	١١٢
٩٢٠	﴿والولا فضل الله عليكم...﴾	١١٣

رقم الآية	أول الآيات	رقم الصفحة
١١٤	﴿ لا خير فى كثير من نجواهم ... ﴾	٩٢٣
١١٥	﴿ ومن يشاقق الرسول ... ﴾	٩٢٣
١١٦	﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ... ﴾	٩٢٦
١١٧	﴿ إن يدعوون من دونه ... ﴾	٩٢٦
١١٨	﴿ لعنه الله وقال لأتخذن ... ﴾	٩٢٦
١١٩	﴿ ولأضلنهم ولأمنينهم ... ﴾	٩٢٦
١٢٠	﴿ يعددهم ويمننيهم ... ﴾	٩٢٦
١٢١	﴿ أولئك مأواهم جهنم ... ﴾	٩٢٦
١٢٢	﴿ والذين ءامنوا وعلموا الصالحات ... ﴾	٩٢١
١٢٣	﴿ ليس بأمانيتكم ولا أمانى ... ﴾	٩٢٢
١٢٤	﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى ... ﴾	٩٢٢
١٢٥	﴿ ومن أحسن دنيا ممن أسلم ... ﴾	٩٢٢
١٢٦	﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ... ﴾	٩٢٢
١٢٧	﴿ ويستفتونك فى النساء ... ﴾	٩٢٦
١٢٨	﴿ وإن امرأة خافت ... ﴾	٩٢٩
١٢٩	﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا ... ﴾	٩٢٩
١٣٠	﴿ وإن يتفرقا يغن الله ... ﴾	٩٢٩
١٣١	﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا ... ﴾	٩٤٤
١٣٢	﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ... ﴾	٩٤٤
١٣٣	﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ... ﴾	٩٤٤
١٣٤	﴿ من كان يريد ثواب الدنيا ... ﴾	٩٤٤
١٣٥	﴿ يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين ... ﴾	٩٤٦
١٣٦	﴿ يا أيها الذين ءامنوا ءامنوا ... ﴾	٩٤٦
١٣٧	﴿ إن الذين ءامنوا ثم كفروا ... ﴾	٩٤٩
١٣٨	﴿ بشر المنافقين ... ﴾	٩٤٩
١٣٩	﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء ... ﴾	٩٤٩
١٤٠	﴿ وقد نزل عليكم فى الكتاب ... ﴾	٩٤٩
١٤١	﴿ الذين يتريصون بكم ... ﴾	٩٥١
١٤٢	﴿ إن المنافقين يخادعون الله ... ﴾	٩٥١
١٤٣	﴿ مذنبين بين بين ذلك ... ﴾	٩٥١

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٩٥٤	﴿يأيتها الذين ءامنوا لا تتخذوا...﴾	١٤٤
٩٥٤	﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل...﴾	١٤٥
٩٥٤	﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا...﴾	١٤٦
٩٥٤	﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم...﴾	١٤٧
٩٥٧	تخريج أحاديث وهوامش	
٩٧٢	فهرس	

تم بحمد الله الجزء الخامس . . ويليه الجزء السادس بإذن الله

# تفسير القرآن الكريم

الجزء السادس من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته

دار غريب  
للطباعة والنشر والتوزيع  
القاهرة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (١٤٨) إِنَّ  
 يُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿ (١٤٩)﴾

### المضردات :

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، أى لا يرضى الله عن إفشاء القبيح من القول فى الناس ؛ بذمهم  
 وذكر معانيهم .

### التفسير :

١٤٨ - لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا. حث الإسلام على  
 الالتزام بأداب النطق والخطاب وحذر من السخرية والاستهزاء والهمز واللمز.

وفى الأثر (إن الله يبغض الفاحش من القول) وفى الآية بيان أن الله سبحانه وتعالى يحب  
 للمؤمنين أن يلتزموا النطق بالكلمة الطيبة والأسلوب الهادئ الجميل، ويكره سبحانه للمؤمنين أن  
 يجهروا بالسوء من القول - كالسب والشتم والتجريح والإهانة - إلا فى حالة وقوع ظلم عليهم، ففى  
 هذه الحالة يجوز لهم أن يجهروا بالسوء من القول حتى يرتدع الظالم عن ظلمه. وهذا الحق الذى  
 أعطى للمظلوم يشمل أن يشكو ظالمه أمام القضاء.

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا... أى أن الله سميع للجر والسر، عليم بكل شىء، وهو تذييل قصد به  
 التحذير من التعدى فى الجهر المأذون فيه، ووعده للمظلوم بأنه تعالى يسمع شكواه ودعائه أى: وَكَانَ  
 اللَّهُ سَمِيعًا لكل ما يسرُّ به المسرون أو يجهر به المجاهرون.

عَلِيمًا... بما يدور فى النفوس من بواعث وهواجس، وسيجازى كل إنسان بأقواله وأعماله.

### قال القرطبي :

والذى يقتضيه ظاهر الآية أن للمظلوم أن ينتصر من ظالمه - ولكن مع اقتصاد - إن كان  
 مؤمنا، فأما أن يقابل القذف بالقذف ونحوه فلا.. وإن كان كافرا فأرسل لسانك وادع بما شئت من  
 الهلكة ويكل دعاء كما فعل النبى ﷺ حيث قال : «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين

كسنى يوسف»<sup>(١)</sup> وروى أبو داود عن عائشة أنها (سُرِقَ لها شيء فجعلت تدعو عليه) أى على السارق فقال ﷺ (لا تَسْبُحِي عنه) <sup>(٢)</sup> أى لا تخفُفِي عنه العقوبة بدعاك عليه <sup>(٣)</sup>.

جاء فى التفسير الوسيط لجمع البحوث الإسلامية:

ومن الجهر بالسوء من القول : إذاعة (التمثيلات والأفلام) المشتعلة على القصص الفاجرة، التى تبرز فيها الرذيلة، وتسلط الأضواء على ممثلات الإغراء الجنسى، وتسمع فيها العبارات المخجلة، والأصوات المنكرة المغرية بالإثم، وترى فيها الصور المفسدة لأخلاق الذكور والإناث، الكبار منهم والصغار، فذلك يبغضه الله ولا يحبه، بل إنه تعالى يعاقب عليه أشد العقاب، لخطورته على الأخلاق. ومن الجهر بالسوء : نشر كتب الجنس وصوره التى تحرض الشباب على الفسق والانحلال الخلقى، وتستأصل المناعة الخلقية - فى شبابنا المسلم - من أصولها <sup>(٤)</sup>.

١٤٩ - إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفَوْهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا. المراد بالخير : ما يعم كل ضروبه من الكلمة الطيبة، والثناء الجميل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدقة ونحو ذلك من خصال الخير الكثيرة.

والمعنى : إن تظهروا فعل الخير بأنواعه المختلفة، أو تستروه وتجعلوه سرا بينكم وبين ربكم، أو تعفوا عن سوء صدر من سواكم نحوكم، من جهر بكلام يؤذيك، أو إسرار به، أو ظلم لحق بكم منهم، فقد تخلقتم بأخلاق الله تعالى، فإن الله كان ولم يزل كثير العفو عن عصاه عظيم القدرة على عقوبته، ولكنه يؤثر العفو مع القدرة على العقاب، فاعفوا واصفحوا عن أساء إليكم وأنتم قادرون على الانتقام منه.

فالأية تدعو الناس إلى فعل الخير سواء أكان سرا أم جهرا كما تدعو إلى العفو عن المسيء.

قال تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ. (الشورى: ٤٠)

قال ابن كثير : وفى الحديث الصحيح (ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً يعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) <sup>(٥)</sup>.

وقال الفخر الرازى : اعلم أن معاهد الخير على كثرتها محصورة فى أمرين: صدق مع الحق، وخلق مع الخلق، والذى يتعلق بالخلق محصور فى قسمين : إيصال نفع إليهم، ودفع ضرر عنهم، فقوله تعالى : إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفَوْهُ.. إشارة إلى إيصال النفع إليهم، وقوله : أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ.. إشارة إلى دفع الضرر عنهم، فدخل فى هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البر <sup>(٦)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

## المضردات :

يكفرون بالله ورسوله ، أى يؤدى مذهبهم إلى الحكم بكفرهم بالله ورسله ، على ما سياتى بيانه . ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، بأن يؤمنوا بالله ويكفروا ببعض الرسل ، فيحصل بذلك التفريق بين الله ورسله فى الإيمان ، وهذا التفريق أدى بهم إلى الكفر بالله؛ لعصيانهم أمره ، وإلى الكفر برسله ، لأنهم يصدق بعضهم بعضا .

## التفسير :

١٥٠ - إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ... الآية

بين سبحانه رذائل أهل الكتاب وأباطيلهم وسوء مصيرهم، بعد حديثه القريب عن المنافقين فقال سبحانه :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ . والمراد بهؤلاء الكافرين: اليهود والنصارى فاليهود كفروا بالله تعالى فجلوه جسمًا ينزل إلى الأرض، ويأكل ويشرب، ويغالب غيره، فيغلب تارة ويغلب أخرى، ويقود جيوشهم فتنصرت تارة وتهزم أخرى، وكفروا بعيسى وبمحمد وأمنوا بغيرهما، وبذلك فرقوا بين الله ورسوليه اللذين لم يؤمنوا بهما، وأقصوهما عن شرف الرسالة، وبذلك آمنوا ببعض الرسل، وكفروا ببعض الآخر، وخالفوا بذلك أمر الله، وكانوا به كافرين بجميع الرسل.

وجاء فى تفسير الآية للدكتور محمد طنطاوى:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ . بأن يجحدوا وحدانية الله وينكروا صدق رسله عليهم الصلاة والسلام . ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، أى يريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله تعالى ، وبين الإيمان برسله ، بأن يعلنوا إيمانهم بوجود الله تعالى وأنه خالق هذا الكون إلا أنهم يكفرون برسله أو ببعضهم <sup>(١)</sup> .

وإرسال الرسل، وإنزال الكتب أمر لا بد من الإيمان به لأن الله تعالى يريد لعباده الهداية والإرشاد إلى طرق الخير، فأرسل الرسل ليكونوا هداة للبشرية ودعاة إلى الخير، وحجة على العصاة يوم القيامة، قال تعالى: **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**. (النساء: ١٦٥)

قال القرطبي: نصَّ سبحانه على أن التفريق بين الإيمان بالله والإيمان برسله كفر، وإنما كان كفراً لأنَّ الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا رسالة الرسل فقد ردوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها. فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر، لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر<sup>(٨)</sup>.

**وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**. فاليهود آمنوا بموسى وكفروا بعبسى وبمحمد والنصارى آمنوا بعبسى وكفروا بمحمد ﷺ فهم آمنوا ببعض الرسل، وكفروا بالبعض الآخر، وكانوا بذلك كافرين بالرسل جميعاً، لأن دين الله واحد، فالكفر برسول من الرسل كفر بما جاء به سائر الرسل، ولأن كل رسول وصى أمته أن يؤمنوا بالرسل الذين يبعثهم الله بعده. فمن كفر بأحدهم فقد كذب الرسل الذين سبقوه وجحد وصيتهم.

**وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**. أى: ويريدون أن يتخذوا طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر مع أنه لا وسط بينهما إذ الحق واحد، لا ينتقص منه، وليس بعد الحق إلا الضلال.

١٥١- **أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**. أى: أولئك الموصوفون بتلك الصفات الشائنة، هم الكافرون المبالغون فى الكفر حقاً، فلا عبرة بما يزعمونه من الإيمان.

**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**. أى: وأعدنا لهؤلاء الكافرين عذاباً يهينهم ويذلهم، جزاء التفريق بين الله ورسله، والإيمان ببعض والكفر بالبعض الآخر.

١٥٢- **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ**. والذين آمنوا بالله حق الإيمان. وبما يجب له من صفات الكمال، وآمنوا بجميع الرسل حق الإيمان ولم يفرقوا فى الإيمان بين رسول ورسول بل آمنوا بهم جميعاً.

أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. أئى: أولئك الذين آمنوا بالله ورسله دون التفريق بينهم فى الإيمان سوف يؤتيهم الله تعالى أجورهم التى وعدهم إياها، لأنهم هم المؤمنون حقاً دون من سبقهم ممن يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض.

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. أئى: كان وما زال كثير المغفرة والرحمة لمن تلك صفاتهم وهذه نعتهم. وبذلك تكون الآيات الكريمة قد قابلت بين مصير الكافرين، ومصير المؤمنين؛ لىتميز الخبيث من الطيب، وليرتدع الناس عن الكفر وليستجيبوا لداعى الإيمان.

★ ★ ★

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَىٰ اللَّهُ جَهْرَةَ فَأَخَذَتْهُمُ الضُّعِفَةُ بَظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعَجَلِ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا عَلِيًّا ﴿١٥٤﴾﴾

المضردات :

جَهْرَةٌ : علانية .

الصاعقة : النازلة المهلكة .

سلطانا مبينا ، تسلطا ظاهرا على قومه .

الطور : الجبل المعروف .

بميثاقهم ، بعهدهم .

ادخلوا الباب : المراد به : باب المدينة التى أمروا بدخولها .

ساجدا ، خاضعين .

لا تعدوا فى السبت ، لا تظلموا فيه أنفسكم ، بصيد الحيتان التى حرم عليكم صيدها فيه .

ميثاقا علييا ، عهدا وثيقا مؤكدا .

## التفسير:

١٥٣ - يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ... الآية.

## سبب النزول :

روى ابن جرير فى تفسيره عن ابن جريج، قال : إن اليهود قالوا لمحمد ﷺ : (لن نباعك على ما تدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند الله تعالى إلى فلان أنك رسول الله وإلى فلان أنك رسول الله...) وعن قتادة : إنهم سألوه أن ينزل على رجال منهم بأعيانهم كُتُبًا تأمر بتصديقه واتباعه<sup>(٩)</sup>. والمراد بأهل الكتاب هنا: اليهود خاصة.

والمراد بنزول الكتاب : أن تنزل عليهم آيات القرآن مكتوبة كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة. أو إنزال كتب على أقوام من كبار اليهود ليصدقوا محمداً.

والمعنى : يسألك اليهود يا محمد على سبيل التعنت والعناد أن تنزل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً جملة : كما جاء موسى لأبائهم بالتوراة مكتوبة فى الألواح جملة.

أو يسألونك أن تنزل على رجال منهم بأعيانهم كتباً من السماء تطلب منهم تصديقك.

وسؤال اليهود هذا : مقصدهم من ورائه التعنت والجود، ولو كانوا يريدون الإيمان حقاً لما وجهوا إليك هذه الأسئلة المتعنتة، لأن الأدلة القاطعة قد قامت على صدقك، وأن ما ينزل عليك من القرآن هو وحى من عند الله، لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله.

فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً. أى: لا تحزن من أسئلة اليهود فإن طبعهم فيه العناد والمكابرة، فقد سأل آبائهم موسى ما هو أكبر من ذلك حيث قالوا له: أَرْنَا اللَّهَ عَيَانًا بِحَاسَةِ الْبَصْرِ. ومعنى جَهْرَةً : من الجهر وهو ضد الإخفاء، يقال: جهر البئر واجتهرها إذا أظهر ماءها.

قال الزمخشري فى تفسير الكشاف :

وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم فى أيام موسى. وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم، وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم فى التعنت.

وقد ورد هذا المعنى فى سورة البقرة فى قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ \* ثُمَّ بَدَأْنَاكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ... (البقرة: ٥٥، ٥٦).

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ. أَيْ: أن الله أهلكتهم بما شاء من ألوان الإهلاك لتجاوزهم حد الأدب والحق. ويبدو أن المراد بالصاعقة هنا: (ذلك الصوت الشديد المجلجل المرززل المصحوب بنار هائلة، والذي كان من آثاره أن صعقوا: أى خروا مغشيا عليهم، أو هلكوا بسبب ظلمهم وعنادهم، وفسوقهم عن أمر الله، قال ابن جرير الطبري: والصاعقة: كل أمر هائل رآه الرائي أو عاينه أو أصابه، حتى يصير من هولته وعظيماً شأنه إلى هلاك وعطب وذهاب عقل، صوتاً كان ذلك أو ناراً أو زلزلة أو رجفة..)

ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا. أَيْ: ثم اتخذ بنو إسرائيل العجل معبوداً لهم، من بعد ما جاءتهم الأدلة الواضحة الشاهدة بوحداية الله، النافية لعبادة آلهة سواه.

فلقد أراهم الله على يد موسى آيات عظيمة، منها: انشقاق البحر يسرون فيه، وقد مهد الله لهم اثني عشر طريقاً في البحر، يتخللها الماء كالطود العظيم.

ومن هذه الآيات أن الله فجر لهم اثنتي عشرة عينا، عندما ضرب موسى الحجر بعصاه، وقد علم كل أناس منهم مشربهم.

ومن هذه الآيات التي وقعت أمامهم أنهم رأوا عصا موسى تبتلع ما جاء به السحرة من السحر العظيم، وهم قد شاهدوا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

إلى غير ذلك من الآيات.

وقد جاءت هذه الآيات كلها بدعوة موسى ربه.

قال تعالى: فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ. (الأعراف: ١٣٢).

وقال سبحانه: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بَسْحَ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّ عَلَى يَدَيْهِ إِسْرَائِيلُ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَحْجُورًا. (الإسراء: ١٠١).

فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا. أَيْ: عفونا عن اتخاذهم العجل لها بعد ما تابوا وأقلعوا عن عبادته لأن التوبة تجب ما قبلها.

وآتينا موسى سلطاناً بيناً واضحاً على قومه، ففوى فيهم أمره وضعت معارضتهم له، وظهر انكسار نفوسهم فقبلوا أمره أن يقتلوا أنفسهم - بالندم والحزن - على ما صنعوا توبة منهم.

وفيما تقدم بشارة للنبي ﷺ بالانتصار على اليهود في المدينة، وقد حقق الله له هذه البشارة،

فقد أجلاهم عن المدينة بعد غزوات بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير جزاء ما فعلوا مع النبي ﷺ من نكث العهود والخيانة فى أوقات الشدة.

١٥٤- وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ مِيثَاقَهُمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِى السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّثَاقًا غَلِيظًا.

تشير الآية إلى جانب من عناد اليهود وقسوة قلوبهم، فقد جاءهم موسى بألواح التوراة، فاستقبلوا العمل بما جاء فيها من التكليف، ولم يأخذوها بعزم وقوة، بل بتناقل وتراخ وعدم اقتناع، لأن قلوبهم لا تزال مشدودة إلى عبادة العجل، فلذا رفع الله فوقهم الجبل تهديداً لهم، ليقبلوا العمل بالتوراة، ويأخذوها بقوة وعزم ويعطوا الميثاق والعهد على ذلك.

قال تعالى: **وَأَدْخَلْنَا الْجِبِلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.** (الأعراف: ١٧١).

وهكذا كان شأن اليهود : عصيان لما يؤمرون به وعقاب أو تهديد بعقاب من الله، حتى يستقيموا على الجادة.

والمعنى : ورفعنا فوقهم الطور بسبب ميثاقهم ليعطوه، ويتعهدوا بالعمل بالتوراة.

قال ابن كثير : (وذلك أنهم حين امتنعوا عن الالتزام بأحكام التوراة وظهر منهم إباء عما جاء به موسى - عليه السلام - رفع الله على رؤوسهم جبلا ثم ألزموا فالتزموا، وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى ما فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم).

**وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا.** أى: وقلنا لهم على لسان أنبيائهم: ادخلوا باب القرية التى أمرناكم بدخولها ساجدين لله، أى: ادخلوها متواضعين خاضعين لله، شاكرين فضله وكرمه، ولكنهم خالفوا ما أمرهم الله به، مخالفة تامة.

واختلف فى هذا الباب الذى أمروا بدخوله سجداً، فقيل: هو باب بيت المقدس. روى ابن المنذر وغيره عن قتادة : كنا نتحدث أنه باب من أبواب بيت المقدس.

وقيل : باب إيلياء.

وقيل : باب أريحاء.

وقد أمروا أن يسألوه تعالى أن يحط عنهم ذنوبهم فيقولوا حطة.



قال تعالى في الآيتين ٥٨ ، ٥٩ من سورة البقرة :

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَمَكَرُوا بِهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ  
حَطَّايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ \* قَبِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ  
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ.

ولكن بنى إسرائيل لما دخلوا منتصرين، تنكروا لما أمرهم الله به من الخضوع والخشوع لله سبحانه.

بل سخروا بالخشوع والاستغفار واستبدلوا بهما عملاً ما جانا، وقولا ما زنا.

روى البخارى فى تفسير سورة البقرة عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

«قيل لبنى إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا: حطة؛ دخلوا يزنحون على أستاذهم، وقالوا:  
حطة؛ حجة فى شجرة»<sup>(١٠٠)</sup>.

وَقُلْنَا لَهُمْ لَاعْتَدُوا فِي السَّبْتِ . أَى: وقلنا لهم كذلك لا تعتدوا فى السبت ولا تتجاوزوا الحدود التى  
أمركم الله بالتزامها فى يوم السبت، والتى منها ألا تصطادوا فى هذا اليوم، ولكنهم خالفوا أمر الله،  
وتحايلوا على استحلال محارمه.

وقد تحدث القرآن عن عدوان اليهود فى السبت فى كثير من آيات القرآن الكريم قال تعالى :

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ \* فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا  
وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ. (البقرة ٦٥، ٦٦).

وقال سبحانه : وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِجَابُهُمْ  
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ لَبُّوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. (الأعراف: ١٦٣).

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا. أَى: وأخذنا منهم عهداً مؤكداً كل التأكيد وموثقا كل التوثيق، بأن  
يعملوا بما أمرهم الله به، ويتركوا ما نهاهم عنه.

ويجوز أن يكون المراد بالميثاق الغليظ هنا، هو ما أخذه الله منهم بعد رفع الجبل فوقهم كأنه  
ظلة. تهديداً لهم؛ فقد أعطوا موسى عليه السلام عهداً بالعمل بالتوراة، ولكنهم نقضوا عهدهم. كما  
جدده فى الآية الآتية.

﴿ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعِيرِحَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيَمَ بِهَتَانَا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾

المضردات :

فيما نقضهم ميثاقهم: أى: فبسبب نقضهم ومخالفتهم للعهد الوثيق المؤكد ومآ فى قوله: فِيمَا نَقَضْتُمْ: لتوكيد هذا النقض ، فإنها كثيرا ما توصل بالكلام لهذا الغرض كقوله تعالى: فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَتَأْتِيَهُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ كَافِرُونَ . أى: فبرحمة مؤكدة من الله كنت لنا معهم .

قلوبنا غلّف: أى: مغلفة ومغطاة بأغشية تمنعها من قبول ما جاء به الرسول. وغلّف: جمع أغلّف . وهو : ما له غلاف .

طبع الله عليها بكفرهم: أى: تخلى عن هدايتها بسبب إصرارهم على الكفر .

بهتاننا عظيمًا: كذبًا فطبعًا: يبهت من يقال فيه ، ويدهشه ، ويحيره .

التفسير:

١٥٥ - فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ... أى: فنقض بنو إسرائيل الميثاق الغليظ الذى أخذناه عليهم، فبسبب هذا النقض لعناهم وعاقبتناهم، كما لعناهم وعاقبتناهم بسبب كفرهم بآيات الله الكونية العجيبة التى أجزاها الله على يد موسى، إذ عبدوا العجل بعدها، وقالوا: أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً.

وكذلك آيات التوراة فقد أخفوا ما جاء فيها من بشارات عن النبى ﷺ، أو أساءوا تأويلها ليبرروا كفرهم.

وكما لعناهم بذلك، لعناهم بقتلهم أنبياءهم بغيا وحسدًا دون شائبة من الحق كما فعلوا بيحى وزكريا وشعيب وغيرهم - ولعناهم وعاقبتناهم بقولهم :

قُلُوبُنَا غُلْفٌ. أى: مغطاة بأغشية غليظة من الصدود والرفض لدعوتك يا محمد، فلن تصل إلينا براهيتك فلا تتعب نفسك معنا.

وقريب من هذا قوله تعالى حكاية عن المشركين :

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ... (نملت: ٥).

وقيل: إن قوله: غُلْفٌ: جمع غلاف - ككُتِبَ وكتاب وعليه يكون المعنى:

وَقَالُوا قَلْبُنَا غُلْفٌ. أى: أوعية للعلم شأنها فى ذلك شأن الكتب فلا حاجة بنا إلى علم جديد.  
والتأويل الأول أقرب إلى سياق الآية فقد ردَّ الله عليهم بقوله: بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا.

والمعنى: ليست قلوبهم مغطاة بأغطية تحجب عنها إدراك الحق كما زعموا، بل الحق: أن الله تعالى ختم عليها، وطمس معالم الحق فيها بسبب كفرهم وأعمالهم القبيحة، وإيثارهم الغى على سبيل الرشاد.

فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا.

أى: فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً، ليس له وزن عند الله لفقدانه العناصر الضرورية لصحته، ومن هذه العناصر: صدق اليقين، ومحبة الله، وإخلاص الوجه له، وقريب من ذلك قوله تعالى:

قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُنَا لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُلُوبُنَا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ... (الحجرات: ١٤).

قال الدكتور محمد سيد طنطاوى:

فقوله: إِلَّا قَلِيلًا: نعت لمصدر محذوف أى: إلا إيماناً قليلاً، كإيمانهم بنبوته موسى عليه السلام، وإنما كان إيمانهم هذا لا قيمة له عند الله، لأن الإيمان ببعض الأنبياء والكفر ببعضهم، يعتبره الإسلام كفراً بالكل كما سبق أن بيننا فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا... (النساء: ١٥٠، ١٥١).

ومنهم من جعل قوله: إِلَّا قَلِيلًا. صفة لزمان محذوف أى: فلا يؤمنون إلا زماناً قليلاً.

ومنهم من جعل الاستثناء فى قوله: إِلَّا قَلِيلًا. من جماعة اليهود المدلول عليهم بالواو فى قوله فَلَا يُؤْمِنُونَ. أى: فلا يؤمنون إلا عدداً قليلاً منهم: كعبد الله بن سلام وأشباهه. والجملة الكريمة وهى قوله: طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ. معترضة بين الجمل المتعاطفة، وقد جىء بها للمسارعة إلى ردِّ مزاعمهم الفاسدة وأقاييلهم الباطلة<sup>(١١)</sup>.

١٥٦- وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا.

المراد بالكفر هنا : كفرهم بعبسى عليه السلام.

والبهتان : هو الكذب الشديد الذى لا تقبله العقول، بل يحيرها ويدهشها لغرابته ويعدده عن الحقيقة.

والمعنى : إن من أسباب لعن اليهود وضرب الذلة والمسكنة عليهم، كفرهم بعبسى عليه السلام، وهو الرسول المبعوث إليهم ليهديهم إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

وافترأؤهم الكذب على مريم أم عيسى، فقد اتهموها فى عرضها لأنها حملت بعبسى وهى غير متزوجة، وقد برأها الله من السفاح على لسان وليدها الذى أنطقه الله عقب الوضع، فبرأ والدته وأخبر المشاهدين بأنه عبد الله، وأنه أتاه الكتاب وجعله نبيا... إلخ.

وقد وردت هذه المعانى فى الصفحة الأولى والثانية من سورة مريم، وتكررت فى عدد من السور مثل سورة آل عمران، والأنبياء والتحرير.

قال تعالى : وَالَّتِى أَحْضَنْتَ فَرْجَهَا فَفَعْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ « إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ. (الأنبياء ٩١، ٩٢).

★ ★ ★

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾

المضردات :

شبه لهم : أى: ألقى شبهه على غيره لينجو من القتل فاشتبه عليهم .

لضى شك منه : أى: لفى حيرة وتردد ، وليس إلى الجزم - بأنه عيسى - من سبيل .

التفسير :

١٥٧ - وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...

أى: ولعن الله اليهود بسبب قولهم على سبيل التَّبَجُّح والتفاخر: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم فنسبوه إلى أمه تهكماً به، وغمزاً له ولأمه، بما هو معروف من رأيهم فيها إلى يومنا هذا.

وكلمة رسول الله إن كانت من قول اليهود فهي من باب التهكم بدعواه أنه رسول الله. كما قال المشركون في حق رسولنا ﷺ: يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. (الحجر: ٦).

فكأنهم يقولون: إنا قتلنا المسيح الذي يزعم أنه رسول الله، ولو كان كذلك، لما استطعنا قتله. وأما إن كانت من قول الله تعالى وليست من قولهم فهي استئناف من الله تعالى أريد به مدح عيسى عليه السلام ورفعه منزلته.

قال الدكتور محمد سيد طنطاوى :

(ولا شك أن ما صدر من اليهود في حق عيسى عليه السلام من محاولة قتله، واتخاذ كل وسيلة لتنفيذ غايتهم ثم تفاخرهم بأنهم قتلوه وصلبوه لا شك أن كل ذلك يعتبر من أكبر الجرائم لأنه من المقرر في الشرائع والقوانين أن من شرع في ارتكاب جريمة من الجرائم واتخذ كل الوسائل لتنفيذها، ولكنها لم تتم لأمر خارج عن إرادته فإنه يعد من المجرمين الذين يستحقون العقاب الشديد)<sup>(١١)</sup>.

واليهود قد اتخذوا كافة الطرق لقتل عيسى ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون لأسباب خارجة عن إرادتهم، ومعنى هذا أنه لو بقيت لهم أية وسيلة لإتمام جريمتهم لأسرعوا في تنفيذها فهم يستحقون عقوبة المجرم في نيته وفي تفكيره وفي شروعه لارتكاب ما نهى الله عنه.

وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنَّ شِبْهَ لَهُمْ .

وذلك أنهم تأمروا على قتله مع الحاكم الروماني الذي كان يحكم بيت المقدس، بعد أن أفهموه أن دعوته خطر على الحكم الروماني وعلى الشعب، فظاهروهم الحاكم الروماني على قتله، واتخذوا من أحد أتباعه جاسوساً عليه يرصد حركاته وتنقلاته، وكان اسمه يهوذا الإسخريوطي، وقد جعلوا له في مقابل ذلك ثلاثين درهماً.

ثم جاءت قوة من الرومان يتقدمهم يهوذا، ودخلوا على المسيح، فألقى الله شبه المسيح على يهوذا، ورفع عيسى إليه، فقبض الرومان على يهوذا ليصلبوه ويقتلوه، فقال لهم: أنا يهوذا، فقالوا: بل أنت عيسى، فإن كنت يهوذا كما تدعى فأين عيسى؟ فقال يهوذا لهم: فإن كنت عيسى - كما قلت - فأين يهوذا؟

فلم يأبهوا لقوله، وأخذوه وصلبوه، هذه هي إحدى الروايات التي ذكرت في الرجل الذي ألقى الله شبه عيسى عليه قتلوه مكانه<sup>(١٢)</sup>.

وفي تفسير ابن كثير ما يُفيد أن الله تعالى ألقى شبه المسيح على أحد تلاميذه المخلصين حينما جمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنه سيرفعه إليه: فقال لأصحابه:

أيكم يرضى أن يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب وهو رفيقي في الجنة، فقال رجل منهم: أنا، فألقى الله عليه صورة عيسى عليه السلام، فقتل ذلك الرجل وصلب<sup>(١٤)</sup>.

والذي يجب اعتقاده بنص القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب، وإنما رفعه الله إليه، ونجاه من مكر أعدائه، أما الذي قتل وصلب فهو شخص سواه.

وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا أتباع الظن.. أي: وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب لفي شك دائم من حقيقة أمره، أي: في حيرة وتردد ليس عندهم علم ثابت قطعي في شأنه أو في شأن قتله، ولكنهم لا يتبعون فيما يقولونه عنه إلا الظن الذي لا تثبت به حجة ولا يقوم عليه برهان.

ولقد اختلف أهل الكتاب في شأن عيسى اختلافاً كبيراً؛ فمنهم من زعم أنه ابن الله، وادعى أن في عيسى عنصراً لهايا مع العنصر الإنساني، وأن الذي ولدته مريم هو العنصر الإنساني، ثم أفاض الله عليه بعد ذلك العنصر الإلهي، ومنهم من قال: إن مريم ولدت العنصرين معاً.

ولقد اختلفوا في أمر قتله، فقال بعض اليهود: إنه كان كاذباً فقتلناه قتلاً حقيقياً، وتردد آخرون فقالوا: إن كان المقتول عيسى فأين صاحبنا وإن كان المقتول صاحبنا فأين عيسى. وقال غيرهم: لا نظن أنهم قتلوه، فالوجه وجه عيسى والجسد لغيره.

وبالجملة فإن أمارات القطع - بأنه هو أو غيره - لم تكن متوافرة لديهم فلذلك شكوا، واختلفت أقوالهم في شأنه.

وجاء في التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر:

(ومن عجب أن تنص أناجيل المسيحيين، على أن المسيح أخبر حواربيه أنهم جميعاً سيصبحون فيه ليلة الصلب<sup>(١٥)</sup> فكيف ساغ لهم القطع بقتله وصلبه، حتى ألزموا أنفسهم تأويلات سخيفة، ناشئة عن اعتقادهم ألوهيته وصلبه، إذ زعموا أنه صلب ليقتدي أهل الخطايا جميعاً !!

وهذا زعم لا يقبله عاقل، فإن كان إلهاً أو ابن إله كما زعموا: يستطيع أن يغفر لمن شاء، وألا يحكم في جسده أسلحة أعدائه، كما أنه - باستسلامه لهم - تسبب في زيادة خطاياهم بقتله، وهذا عكس المطلوب.

ما لهم به من علم إلا أتباع الظن. بعد أن أثبت الله شك المختلفين في أمره، وأنهم لا ينزعون - فيما قالوه في شأنه - عن يقين، بل عن حيرة وتردد في أمره، أكد ذلك بقوله: ما لهم به من علم. أي: ليس

لهم بما قالوه فى قتل عيسى علم نأشء عن أدلة يقينية إلا أتباع الظن، أى: لكن يتبعون - فيما قالوه- الظن والتخمين.

وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. أى: وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين.

ويجوز أن تكون يقيناً حالاً مؤكدة لنفى القتل أى: انتفى قتلهم إياه انتفاء يقيناً. فاليقين منصب على النفى، أى: أن نفى كونه قد قتل أمر متيقن مؤكد مجزوم به - كقولك ما قتلوه حقاً أى حق انتفاء قتله حقاً.

١٥٨- بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. أى: بل رفعه الله إلى موضع، تولى الله فيه حفظه وحمايته، حتى لا يجرى فيه حكم أعدائه.

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. أى: وكان الله ولم يزل عزيزاً. أى: منيع الجناح، لا يلجأ إليه أحد إلا أعزه وحماه، حكيماً. فى جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور.

وجمهور العلماء على أن الله تعالى رفع عيسى إليه بجسده وروحه لا بروحه فقط.

قال الشيخ حسين مخلوف فى تفسيره (صفوة البيان) :

والجمهور على أن عيسى رفع حياً من غير موت ولا غفوة، بجسده وروحه إلى السماء، والخصوصية له - عليه السلام - هى فى رفعه ويقائه فيها إلى الأمر المقدر له.

وفسر بعضهم الرفع فى قوله تعالى: بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ. بأنه رفع بالروح فقط.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن عيسى رفع بجسده وروحه. ومنها ما رواه الشيخان (والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية) الحديث، وانظر كتاب التصريح بما تواتر فى نزول المسيح للكشميرى تحقيق الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة<sup>(١١)</sup>.

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٥٩)

### التفسير:

١٥٩ - وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ... الآية

للمفسرين فى تفسير هذه الآية اتجاهان: الأول أن الضمير فى قوله: قَبْلَ مَوْتِهِ. يعود إلى عيسى عليه السلام - وعليه أن يكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى - عند نزوله فى آخر الزمان - قَبْلَ مَوْتِهِ. أى: قبل موت عيسى.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا. أى: وفى يوم القيامة يشهد عيسى على أهل الكتاب بأنه قد أمرهم بعبادة الله وحده، وأنه قد نهاهم عن الإشراك معه آلهة أخرى.

وقد انتصر لهذا الاتجاه كثير من المفسرين وعلى رأسهم شيخهم ابن جرير فقد قال: وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال فى تأويل ذلك:

(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى).

وقد علق ابن كثير على ما رجحه ابن جرير بقوله:

ولا شك أن الذى قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأن المقصود من سياق الآيات بطلان ما زعمته اليهود من قتل عيسى وصلبه. أما الاتجاه الثانى فىرى أصحابه أن ضمير قَبْلَ مَوْتِهِ. يعود إلى الكتابى المدلول عليه بقوله: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وحاصل المعنى على هذا: أن كل يهودى ونصرانى - وهو يحتضر - يؤمن بعيسى قبل أن تزهب روحه فيعتقد أنه - أى عيسى - عبد الله ورسوله، لأن حقائق الحق تنكشف للمحتضر، ولكن هذا الإيمان لا ينفعه، لأنه حدث فى وقت انقطع فيه عنه التكليف، لأن وقت الغرغرة من عالم الآخرة. ويؤيد هذا الرأى قراءة أبى: لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ. بضم النون وصيغة الجمع.

وقد جنح إلى هذا الرأى ابن عباس، كما نقله عنه ابن المنذر وغيره، واختاره أبو السعود والكشاف، وتفسير الجلالين.

والإخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة إلى الإيمان بعيسى عليه السلام - قبل أن يضطروا إليه عند الموت - مع عدم فائدته.



﴿ فَيُظَلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ ﴿١٦١﴾ ﴾

المفردات :

الذين هادوا، هم اليهود، هادوا : أى: تابوا من عبادة العجل .  
أعدنا، أعدنا لهم قبل قدمهم .

التفسير :

١٦٠ - فَيُظَلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ... الآية

الحديث لا يزال موصولاً فى شأن أهل الكتاب.

والمعنى : فبسبب ظلم عظيم من الذين هادوا - أى: تابوا من عبادة العجل - حرمانا ما كان حلالاً لهم من الطيبات، ولو أنهم لم يقعوا فى هذا الظلم الشديد لما حرم الله عليهم هذه الطيبات التى هم فى حاجة إليها.

وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا. أى: ويمنعهم كثيراً من الناس عن الدخول فى دين الله.

قال مجاهد : صدوا أنفسهم وغيرهم عن الحق.

١٦١ - وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ. أى: وحرمانا عليهم الطيبات - أيضاً - بسبب أخذهم الربا

فى أموالهم التى يقرضونها غيرهم.

وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ. أى: بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة.

وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. أى: وأعدنا فى الآخرة للكافرين منهم خاصة عذاباً شديداً بالإبلام.

وقد استفيد مما تقدم : أن العقوبات الدنيوية يقع أثرها على الكافر والمؤمن والعاصى والطائع، وهى للعصاة عقاب، وللمطيعين ابتلاء، وفى ذلك يقول الله تعالى :

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً. (الأنفال : ٢٥).

أما العقوبات في الآخرة فإنها ستختص بالعصاة والكفار، ولذا قال تعالى في عقوبة الآخرة: وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

فخص الكافرين بالعذاب، وقال في عقوبة الدنيا: فَيُظْلَمُ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ. فعم جميع اليهود بتحريم الوان من الطيبات.

★ ★ ★

﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٦٢)

التفسير:

١٦٢ - لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ<sup>(١٧)</sup> فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ...

بعد أن حكى القرآن مخازي اليهود في آيات سابقة وسجل عليهم أسئلتهم المتعنتة وسوء أدبهم مع الله وعبادتهم العجل، وعصيانهم لأوامر الله ونواهيه ونقضهم للعهود والمواثيق وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم: قلوبنا غلف، وبهتهم لمریم القانتة العابدة الطاهرة، وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مریم رسول الله...

تأتى هذه الآية رقم ١٦٢ من سورة النساء؛ لتحقق الحق وتمدح الراسخين في العلم منهم مدحا عظيما، وتبشّرهم بالأجر الجزيل.

سبب النزول :

أخرج البيهقي في الدلائل عن عبد الله بن عباس أن هذه الآية نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب إيمانا صادقا : كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد، وثعلبة بن سَعْتَه، وأسد بن سعیه وغيرهم.

ومعنى الآية :

لقد كفر عامة اليهود بما أنزل عليهم لجهلهم وعنادهم وكبرهم، لكن الثابتون في العلم منهم، والصادقون في الإيمان بكتابتهم، كعبد الله بن سلام وغيره من علمائهم، يؤمنون بما أنزل إليك من

القرآن، وبما أنزل من قبلك من الكتب التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، وليسوا متعصبين لدينهم بالباطل كسائر بنى قومهم.

وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ <sup>(١٦٨)</sup> وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. هذه بقية أوصاف المؤمنين من علماء أهل الكتاب فقد وصفوا بالصفات الآتية :

- ١ - الرسوخ في العلم.
- ٢ - الإيمان الكامل بما أوحاه الله إلى أنبيائه من كتب وهدايات.
- ٣ - إقامة الصلاة.
- ٤ - إيتاء الزكاة.
- ٥ - الإيمان بالله وباليوم الآخر وبما فيه من حساب وجزاء.

أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا. أي: أولئك العلماء الراسخون في العلم من أهل الكتاب، الذين حفزهم رسوخهم في العلم على الإيمان بما أنزل إليك، وما أنزل إلى سائر المرسلين، وحفزهم أيضا على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالله واليوم الآخر - هؤلاء العلماء سنؤتيهم في الآخرة أجراً عظيماً، بخلاف من عداهم ممن أصروا على الكفر، واستحقوا أن يعد الله لهم عذاباً عظيماً.

★ ★ ★

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدِينَادَاوُدَ زُورًا <sup>(١٦٦)</sup> وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا <sup>(١٦٧)</sup> رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيُثْلِقَوْكَ عَلَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا <sup>(١٦٨)</sup> لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا <sup>(١٦٩)</sup> ﴾

المفردات :

والأسباط: جمع سبط وهو الحفيد والمراد بهم : حفدة يعقوب - عليه السلام - أو أبنائه الاثنا عشر وذراريهم . فإنهم حفدة إبراهيم وإسحاق .

وقيل : الأسباط - في ولد إسحاق - كالقبايل في العرب : ولد إسماعيل . وقد بعث منهم عدة رسل . فالمراد: أوحينا إلى الأنبياء منهم ، إذ ليسوا جميعا أنبياء .

زبوراً، أى: مكتوباً وهو الكتاب المنزل على داود عليه السلام . ويسمى : المزامير في العهد القديم .  
حجّة، معذرة يعتذر بها .

## التفسير :

١٦٢ - إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ... الآية .

## تمهيد :

حكى الله تعالى في الآيات السابقة جرائم اليهود ومنها: كفرهم ببعيسى ومحمد وزعمهم أنهم صلبوا المسيح .

ثم ذكر هنا أن الإيمان بجميع الرسل شرط لصحة الإيمان، وأنه سبحانه أرسل سائر الرسل مبشرين ومنذرين، ثم دعا النصارى إلى عدم الغلو في شأن المسيح باعتقادهم فيه أنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، فليس هو ابن الله كما يزعم النصارى، وليس ابن زنى كما يزعم اليهود، فكلما الفريقين واقع بين الإفراط والتفريط .

وتفيد هذه الآية أن الله أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وليس محمد ﷺ بدعا من الرسل، فقد أوحى الله إليه كما أوحى إلى الرسل جميعاً من عهد نوح إلى عهد محمد، وكلهم رسل أرسلوا للتبشير والإنذار، للإعذار للناس قبل الحساب .

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ...

إننا أوحينا إليك يا محمد بكلامنا وأوامرنا ونواهيها، كما أوحينا إلى نوح وإلى سائر الأنبياء الذين جاءوا من بعده . قال الجمل : (وإنما بدأ الله تعالى - بذكر نوح - لأنه أول نبي بعث بشريعة، وأول نذير على الشرك، وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته... وكان أطول الأنبياء عمراً..).

والكاف في قوله: كَمَا نَعْت لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ وَ(مَا) مَصْدَرِيَّةٌ أَيْ: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِحْيَاءً مَثَلُ إِحْيَانِنَا إِلَى نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ .

أى: أوحينا إليك يا محمد كما أوحينا إلى نوح والأنبياء من بعده .

وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وقد خص الله هؤلاء الأنبياء بالذكر تشريفاً وتعظيماً لهم .

وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زُجُورًا. وخص داود بالذكر ونص على إعطائه الزبور للإشعار بعظمته وعظمة ما فيه ولأن كل ما فيه تسبيح وتقديس وحكم ومواظ.

١٦٤- وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَا لَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ. أَيْ: وأرسلنا رسلاً منهم من ذكرنا أخبارهم لك يا محمد في غير هذه السورة. مثل: صالح وهود ولوط وغيرهم من المرسلين. وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ. أَيْ: وأرسلنا كذلك رسلاً كثيرين لم نذكر لك قصصهم في القرآن الكريم ولم نوح إليك بهم في غير القرآن.

وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. أَيْ: وكلم الله موسى - بدون وساطة جبريل - تكريماً له عليه السلام - وقوله: تَكْلِيمًا. مصدر مؤكّد لقوله تعالى: وَكَلَّمْ. لرفع احتمال المجاز.

قال ابن كثير :

وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن وهم :

(آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ).

وقال ثعلب :

في تفسير قوله تعالى: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. لولا التأكيد لجار أن تقول: قد كلمت فلانا بمعنى كتبت إليه رقعة أو بعثت إليه رسولا فلما قال تَكْلِيمًا لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله تعالى<sup>(١٤)</sup>.

١٦٥- رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.

المقصود من هذه الآية بيان مهمة الرسل، فهم يبشرون بالجنة من أطاع، وينذرون بالنار من عصى. وقد خلق الله هذا الكون وأبدع نظامه حتى صار شاهداً للعاقل على وجود الله وتقديره وقدرته. ومع ذلك فقد اقتضت رحمته بعباده أن يرسل الرسل ضماناً لهدياية الله الناس؛ لأن العقل قد يعجز عن إدراك حقائق الأمور ونتائجها.

والرسل عليهم الصلاة والسلام: إنما جاءوا لينبهوا إلى النظر في عجائب الكون وما فيه من دلائل ويبينوها، وهم الذين يبلغون رسالات ربهم إلى الناس، ويبينون لهم أحكامه وشرائعه.

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. أَيْ: وكان الله ولم يزل عزيزاً. وهو القادر الغالب على كل شيء، حَكِيمًا. أَيْ: بالغ الحكمة في كل ما يدبر من شئون الكون.

ومن ذلك تدبير أمر النبوة، وتخصيص كل نبي بنوع من الوحي والإعجاز، على النحو الذي اقتضت حكمته، مراعاة للزمان والمكان الذي بعث فيه كل رسول.

### تذييل :

جاء في رسالة التوحيد - للشيخ محمد عبده - كلام نفيس عن حاجة البشر إلى إرسال الرسل وعن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام. حيث قال :

الرسل يرشدون العقل إلى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته، ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان، على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه، ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة.

الرسل يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم، وتنازعت مصالحتهم ولذاتهم، فيفصلون في تلك المخاصمات بأمر الله الصادع. ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة، ولا يفوت به المصالح الخاصة.

الرسل يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة، يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم، كاحترام الدماء البشرية إلا بحق. مع بيان الحق الذي تُهدر له، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق، مع بيان الحق الذي يبيح تناوله، واحترام الأعراس، مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبخاع.

يحملونهم على تحويل أموالهم عن اللذائذ الغانية إلى طلب الرغائب السامية آخذين في ذلك كله بطرق من الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير حسبما أمرهم الله - جل شأنه - .

يفصلون في جميع ذلك ما يؤهلهم لرضا الله عنهم وما يعرضهم لسخطه عليهم، ثم يحيطون ببيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبي، لمن وقف عند حدوده وأخذ بأوامره...

وبهذا تطمئن النفوس، وتتلاج الصدور، ويعتصم المرزوء بالصبر، انتظاراً لجزيل الأجر أو إرضاء لمن بيده الأمر، وبهذا ينحل أعظم مشكل في الاجتماع الإنساني، لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حله إلى اليوم<sup>(٢١)</sup>.

١٦٦- لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. ترد هذه الآية رداً على جحود اليهود لنبوة محمد ﷺ، فقد أنكروا رسالته وجحدوا نبوته.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : دخل على رسول الله ﷺ جماعة من اليهود فقال لهم : إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله قوله : لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ. (٢١)

أى: إذا تعنت اليهود ولم يشهدوا لك بالرسالة فإن الله عز وجل يشهد بأن القرآن الكريم الذى أنزله إليك بواسطة جبريل الأمين، قد أنزله بعلمه ومعرفته محتويا على علم الله وتشريعاته من الحلال والحرام والآداب والأحكام، والملائكة تشهد بصدق محمد وبأن ما أنزل عليه حق، وبأنه من عند الله وكفى بالله شهيدا على صدقك حيث أيدك بالمعجزات الباهرة، والبراهين الساطعة، المغنية عن شهادة هؤلاء المعاندين، وقد عرفت شهادة الملائكة بشهادة الله: فإن من شهد الله له، شهد له ملائكته.

### من تفسير ابن كثير :

جاء فى تفسير ابن كثير لقوله تعالى : لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ . أى: فيه علمه الذى أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضى والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التى لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يعلمه الله به. كما قال تعالى وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ. (البقرة: ٢٥٥)، وقال: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا. (طه: ١١٠).

وقال ابن أبى حاتم عن عطاء بن السائب قال : أقرأنى أبو عبد الرحمن السلمى القرآن، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال : قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم يقرأ قوله: أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

★ ★ ★

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾

### المضردات :

صَدُّوا، صد عن الأمر: أعرض عنه. وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: صرفه عنه ومنعه منه.  
سَبِيلِ اللَّهِ: السبيل: الطريق، يذكر ويؤنث قال تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي. (يوسف: ١٠٨)

### التفسير :

١٦٧ - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ الَّذِي

جاءهم به محمد ﷺ وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. وأعرضوا عن طريق الإسلام ولم يكتفوا بذلك بل منعوا غيرهم أيضا من سلوكه فَذُضِلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا. أى: قد ضلوا ضلالاً بلغ الغاية فى الشدة والشناعة. والمراد بالذين كفروا: اليهود أو ما هو أعم.

١٦٨- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا. أى: لم يكن من تدبير الله الحكيم العليم، أن يغفر الذنوب لمن اختاروا الضلالة على الهدى، وماتوا وهم كافرون إذ لا غفران للكافرين. ولم يكن أيضا من الحكمة فى التدبير: أن يهدى الله تعالى إلى الصراط المستقيم قوما أصروا على الكفر، وابتعدوا عن الحق عنادًا، فلا يستمعون نداء الخير والفلاح إذ أصموا دونه أذانهم، وأغلقوا قلوبهم فهم لا يفقهون.

١٦٩- إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا.

قال صاحب الظلال:

وما فى هذا ظلم، فلقد اختاروا الضلالة على الهدى، وكل موجبات الإيمان حاضرة، ولقد سلكوا طريق جهنم فأغلق الله عليهم كل طريق سواه، جزاءً وفاقاً على ضلال الاختيار<sup>(٣١)</sup>. والأبد: مدة الزمان الذى لا يتجزأ ولا غاية له، وتأكيد الخلود بالأبدية يدل على دوام العذاب بلا نهاية.

والمعنى: أن أجسامهم تبقى فى جهنم، لا تبلى ولا تذهب حساسيتها؛ ليذوقوا العذاب دواما وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا. أى: وكان إيصال العذاب إليهم شيئاً فنشئنا، ودوام تعذيبهم فى جهنم، أمراً يسيراً على الله.

★ ★ ★

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾

التفسير:

١٧٠- يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ... الآية. أى: يأتيها المكلفون من الناس جميعاً، قد جاءكم الرسول المشهود له بالصدق فى رسالته، بالهدى ودين الحق من ربكم فآمنوا به وصدقوه وأطيعوه؛ يكن إيمانكم خيراً لكم فى الدنيا والآخرة.



فالمخاطب في هذه الآية الكريمة للإنسان أياً كان، سواء أكان عربياً أم غير عربي، أبيض أم أسود بعيداً أم قريباً؛ لأن رسالته ﷺ - عامة شاملة للناس جميعاً.

وهذه الآية الكريمة تحت الناس جميعاً على الإيمان بالرسول ﷺ لأنه لم يجتهد بشيء باطل، وإنما جاءهم بالحق الثابت الموافق لظفرة البشر أجمعين، ولأنه لم يجتهد بما جاءهم به من عند نفسه، وإنما جاءهم به من عند الله تعالى، ولأنه لم يجتهد بما يقضى بهم إلى الشرور والآثام، وإنما جاءهم بما يوصلهم إلى السعادة في الدنيا وإلى الفوز برضا الله في الآخرة.

تلك هي عاقبة المؤمنين، أما عاقبة الكافرين فقد حذر سبحانه منها بقوله :

وَأَن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. أئ: وإن تكفروا - أيها الناس - فلن يضرب الله كفركم، فإنه - سبحانه - له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً، وكان الله تعالى عليماً علماً تاماً بأحوال خلقه، حكيماً في جميع أفعاله وتدبيراته.

★ ★ ★

﴿ يَتَّاهَلُ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١٧١)

المضردات :

لَا تَغْلُوا: الغلوا؛ مجاوزة الحد. غلوا النصراني في دينهم؛ إفراطهم في تعظيم عيسى، حتى جعلوه إلهاً أو ابناً لله، وغلوا اليهود؛ مبالغتهم في الطعن في عيسى حتى انتهوه وأمه بما لا يليق.

المسيح: أصل المسيح؛ الممسوح، وسمى به عيسى.

كَلِمَتُهُ: المراد بها: عيسى - عليه السلام - وأطلقت الكلمة عليه؛ لأنه جاء بكلمة: كُنْ... بدون أب.

روح منه: رحمة منه؛ لأنه رحمة من الله لمن آمن به.

تمهيد:

أنصف القرآن عيسى. فقد اتهم اليهود أمة بالزنى، كما أنصفه من ادعاء النصارى بأنه إله أو نصف إله. والمسيحية ديانة من ديانات التوحيد.

قال صاحب الظلال :

(والثابت من البحث العلمى فى تطور العقائد المسيحية أن عقيدة التثليث لم تصاحب المسيحية الأولى، إنما دخلت إليها بعد فترة، ودخلت إليها فى خطوات متدرجة ودخلت إليها مع الوثنيين الذين دخلوا فى المسيحية ولم يبرأوا بعد من التصورات الوثنية والآلهة المتعددة، وقد ظل الموحدون المسيحيون يقاومون إلى ما بعد القرن الخامس الميلادى على الرغم من كل ما لقوه من اضطهاد.

وما تزال فكرة التثليث تصدم عقول المثقفين من المسيحيين، فيحاول رجال الكنيسة أن يجعلوها مقبولة لهم بشتى الطرق وبالإحالة إلى مجهودات لا ينكشف سرها للبشر إلا يوم يكشف الحجاب عن كل ما فى السماوات وما فى الأرض<sup>(٣٣)</sup>.

١٧١- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ. وأهل الكتاب لفظه تعم اليهود والنصارى، ولكن سياق النص هنا، يخصها بالنصارى.

وغلوا النصارى فى دينهم : أنهم أفرطوا فى تقديس عيسى عليه السلام - حتى أخرجوه من مرتبة البشرية واتخذوه إلهاً من دون الله وجعلوه ابناً له.

من تفسير ابن كثير :

قوله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا... ينهى - سبحانه - أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير فى النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد فى عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التى أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله، يعبدونه كما يعبدون الله.

وفى الصحيح عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»<sup>(٣٤)</sup>.

وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ. أى: ولا تفقدوا على الله كذباً لا أساس له، ولا دليل يعتمد عليه، وهو قول النصارى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. (التوبة: ٣٠).

وهذا القول يناقض الدليل الواضح والقول الثابت إذ الإله لا يلد، ولا يولد، فإن ذلك أمانة الحدوث، وعلامة الاحتياج.

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ. أى: إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، أرسله سبحانه لهداية الناس إلى الحق، وليس لها من دون الله، ولا ابنا لله كما تدعون. وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ رُوحٌ مِنْهُ. أى: وعيسى كلمة الله، أى: أنه تكوّن فى بطن أمه، وجد بسبب كلمة الله وأمره: (كن) كما قال تعالى: إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. (آل عمران: ٥٩).

رُوحٌ مِنْهُ. أى: ونفخة منه لأن عيسى حدث بسبب نفخة جبريل فى درع مريم، فكان عيسى بإذن الله فنسب إلى أنه روح من الله: لأنه بأمره كان، وسمى النفخ روحاً: لأنه ربح تخرج من الروح.

قال تعالى: وَالَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ. (الأنبياء: ٩١).

وقيل: المراد بقوله: رُوحٌ مِنْهُ. أى: وذو روح من أمر الله: لأنه سبحانه خلقه كما يخلق سائر الأرواح.

وقيل: الروح هنا بمعنى: الرحمة، كما فى قوله تعالى: وَأَيُّدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ. أى: برحمة منه ونعمة.

أى: أن عيسى - عليه السلام - لما كان رحمة من الله لقومه ونعمة عظيمة منه عليهم، من حيث إنه كان يرشدهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة، سمي روحاً منه - سبحانه وتعالى - وكانت منه تشريفاً وتعظيماً له عليه السلام.

والمعنى: أن عيسى روح عظيمة، وهبة، جليلة، مبتدأة من الله.

تفسير للشيخ محمد أبو زهرة :

قال الشيخ أبو زهرة رحمة الله عليه: وقوله: وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ. أى: خلقه بكلمة منه وهى كُن كما خلق آدم، وكان عيسى بهذا كلمة الله: لأنه خلقه بها، فقد خلق من غير بذر يبذر فى رحم أمه، فما كان تكوينه نماء لبذر وجد، وللأسباب التى تجرى بين الناس، بل كان السبب هو إرادة الله وحده وكلمته كُن وبذلك سمي كلمة الله.

وتعلّق النصارى بأن كون عيسى كلمة الله دليل على ألوهيته - تعلق باطل - فما كانت الكلمة من الله إليها يعبد، وإنما سمي بذلك: لأنه أنشأه بروح مرسل منه وهو جبريل الأمين، وقد يقال: إنه نشأ بروح منه سبحانه أى: أنه أفاض بروحه فى جسمه كما أفاض بها على كل إنسان كما قال

تعالى: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (السجدة: ٧ - ٩).

والرأى الأول أولى، وعلى ذلك يكون معنى قوله: وَرُوحٌ مِّنْهُ. أى: أنه نشأ بنفخ الله الروح فيه من غير توسط سلالة بشرية ونطفة تتشكل إنساناً وذلك بالملك الذى أرسله وهو جبريل.

وسمى الله تعالى - عيسى - روحاً باعتباره نشأ من الروح مباشرة؛ ولأنه غلبت عليه الروحانية.

ويهدأ يزول الوهم الذى سيطر على عقول من غالوا فى شأن عيسى فتحلوه ما ليس له، وما ليس من شأنه، إذ جعلوه إلهاً، أو ابن إله (٣٧).

ويقول الأستاذ سيد قطب :

إن كل مخلوق يوجد بكلمة من الله، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. (يس: ٨٢). فالكلمة هى توجه الإرادة، وليس عيسى بدعاً فى ذلك فهو كلمة الله، وَرُوحٌ مِّنْهُ. هو هذا الروح الذى كان به آدم إنساناً، وجسده لا يزيد عنصراً واحداً على عناصر التراب، ولا يتميز إلا بهذا الروح الذى تلقاه من الله، هذا الروح كذلك تلقته مريم - على نحو لا ندركه نحن، ولم تدركه هى، بل عجبت أن يكون لها ولد ولم يمسهما بشر - فكان منه عيسى كما كان منه آدم، كلاهما تلقاه أول مرة فإذا هو إنسان حى لا عن ولادة معهودة، ولكن عن طريق مباشر، وكلاهما فيه سواء مع بعض الاختلاف (٣٨).

فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. أى: إذا كان ذلك هو الحق فى شأن عيسى، فآمنوا بالله إيماناً حقا بأن تفردوه بالألوهية والعبادة، وآمنوا برسله جميعاً بدون تفريق بينهم، ولا تغالوا فى أحد منهم بأن تخرجه عن طبيعته وعن وظيفته.

وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً. ولم يقل: ولا تؤمنوا بثلاثة للإشارة إلى أن أمر الثلاثة قول يقولونه، فإن سألتم عن معناه تارة يقولون: الأب والابن والروح القدس، أى: إنهم ثلاثة متفرقون، وتارة يقولون: الأقانيم (الصفات) ثلاثة والذات واحدة.

جاء فى تفسير الكشاف للزمخشري :

والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، وأن المسيح ولد الله من مريم، ألا ترى إلى قوله تعالى: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ. (المائدة: ١١٦)

وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم<sup>(٣٣)</sup>.

وقد أفاض بعض العلماء في الرد على مزاعم أهل الكتاب في عقائدهم<sup>(٣٤)</sup>.

انتهوا خيراً لكم. أى: انتهوا عن الشرك والتثليث يكن الانتهاء عن ذلك خيراً لكم؛ لأنكم به تخرجون من العقيدة الناشئة عن الضلال والأوهام إلى العقيدة المبنية على الحجة والبرهان.

إنما الله إله واحد. أى: إنما الله واحد بالذات منزه عن التعدد بأى وجه من الوجوه، متغفري في ألوهيته، هو سبحانه الخالق لهذا الكون والمدبر لأمره.

سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ. تنزهه الله تنزيهاً عظيماً، لا حدود له، عن أن يكون له ولد؛ لأن اتخاذ الولد دليل الضعف وأمارة الحدوث، وصفة العاجز المحتاج إلى من يعينه في حياته، ويخلفه بعد مماته.

قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (الشورى: ١١)

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. أى: كل ما فى السماوات وما فى الأرض ملك إرادته فما هو محتاج، ونسبة كل شىء إليه سبحانه هى نسبة الخلق إلى الخالق والمملوك إلى المالك، يستوى فى ذلك كل ما فى الكون وكل من فى الكون.

والمأمل يرى أنه سبحانه - فى كل موضع نزه نفسه عن الولد نكر كونه ملكاً ومالكا لما فى السماوات والأرض؛ ليكون دليلاً عليه، إذ المعنى: تنزهه الله عن أن يكون له ولد؛ لأن له ما فى السماوات وما فى الأرض.

وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. أى: إن الله سبحانه، كاف وحده فى تدبير المخلوقات وفى حفظ هذا الكون فلا يحتاج إلى ولد يعينه ولا إلى إله آخر يدبر أمر الكون معه.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ  
 يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْضُرُهُمْ إِلَهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ  
 اسْتَنْكَفُوا وَأَسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا  
 وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾

المضردات :

لَنْ يَسْتَنْكِفَ : لن يستنكف ، لن يأنف ولن يستكبر ، وأصله من النكف . وهو تحنية الدمع عن الخد بالإصبع .  
 الْمُقَرَّبُونَ : الذين قريهم الله تعالى ورفع منازلهم على غيرهم .  
 يَسْتَكْبِرُ : أصل الاستكبار: طلب الكبر والترفع عن الناس من غير استحقاق .

التفسير :

١٧٢ - لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ . المسيح عيسى ابن مريم لن يأنف ولن يمتنع عن  
 أن يكون واحداً من عباد الله؛ لأنه عليه السلام - وهو نبي الله ورسوله - يوقن أنه من خلق الله . ويعلم  
 أن الكل عبيد الله ، وأن العبودية لله لا تنقص من قدره ، ولا من قدر رسل الله وملائكته . فالعبودية لله  
 مرتبة لا ياباها إلا كافر بنعمة الخلق والإنشاء .

وقد تحدثت آيات القرآن عن هذا المعنى في أكثر من موضع وأجابت عنه إجابة مقنعة ، داحضة للافتراء .

قال تعالى : وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا \* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا \* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ  
 الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا \* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا \* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا \* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا \* وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا . (مريم: ٨٨ - ٩٥)

وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ . أى: وكذلك الملائكة المقربون لن يأنفوا ولن يمتنعوا عن أن يكونوا عبيداً  
 لله؛ لأنهم مطفرون على الطاعة .

لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . (التحریم : ٦)

والمقصود بهذا الاستطراد : تقوية الرُّد على النصارى وتأكيديه حيث زعموا أن عيسى إله مع الله فلن يكون عبداً له، ولما كان منشأ ذلك عندهم، أن عيسى خلق من غير أب، بين الله لهم أن الملائكة خلقوا من غير أب ولا أم، ولهم عند الله تلك المكانة العالية، وأنهم أكمل حالاً فى العلم بالمغيبات، وفى القدرة على حمل ما لا يستطيعه البشر، وهم - مع ذلك - لا يأنفون من وصفهم بالعبودية، بل يعتزُّون بأنهم عباد الله... فكيف يأنف عيسى من ذلك؟ والعبودية لله أعلى مراتب الشرف، وأعظم درجات الكمال، كما قال الشاعر :

ومما زادنى عجباً وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثرىاً  
دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

وَمَنْ يَسْتَكْفِ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا. أى: ومن يأنف من عبادة الله ويمتنع عنها، ويأبى الخضوع لطاعة الله، ويستكبر عن كل ذلك، فسيجد يوم القيامة ما يستحقه من عقاب بسبب استنكافه واستكباره، فإن مرد العباد جميعاً إليه - سبحانه - وسيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

١٧٣- فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ. أى : فأما الذين حققوا فى نفوسهم هذين الوصفين العظيمين : الإيمان والعمل الصالح فيجزئهم الله على ذلك جزءاً وافياً ثابتاً لا شك فيه، ويزيدهم الله فى الثواب والجزاء بمنه وفضله فلهم سعادة الدارين، ولهم الحسنى وزيادة.

جاء فى تفسير (فى ظلال القرآن) للأستاذ سيد قطب :

إن الذين أقروا بعبوديتهم لله هم الذين آمنوا فعرفوا حقيقة الصلة بين الخالق والمخلوق، وعملوا الصالحات: لأن عمل الصالحات هو الثمرة الطبيعية لتلك المعرفة، وما يريد الله من عباده أن يعبدوه؛ لأنه بحاجة إلى عبادتهم، ولا لأنها تزيد فى ملكه تعالى أو تنقص منه شيئاً.

ولكن يريد أن يعبدوه وحده؛ ليستعملوا على كل من سواه، وليرفعوا جباههم أمام المتجبرين والطغاة، معتزّين بالله، وليعملوا الخير يبعثون بالخير قربه ورضاه، وليتجرّدوا من شهواتهم وعصببيّاتهم وملابساتهم الأرضية متطلعين إلى وجهه فى علاه، وليرتفعوا عن ثقله الأرضى وضرورتها، وهم يطلعون إلى ذلك الأفق الوضىء الكريم : لهذا يوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله؛ لأنهم عرفوا، ولأنهم عملوا، ولأنهم أصلحوا فى الأرض، ولأنهم زادوا فى محصول الحياة.

وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. أَى: وأما الذين أنفوا وتعظموا عن عباداته وطاعته فسيعذبهم عذابا موجعا شديداً.

وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. أَى: ليس لهم من يتولاهم أو ينصرهم من عذاب الله.

★ ★ ★

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ  
عَاصَوْا بِاللَّهِ وَعَاصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ  
مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

المفردات:

برهان: البرهان: الحجة والمراد به هنا: محمد ﷺ؛ لأن مهمته إقامة البرهان على إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وقيل: المراد به: المعجزات، أو القرآن.

نور: المراد به: القرآن الكريم؛ لأنه ينير الطريق للسالكين.

واعصموا به، وعصموا بالإيمان به أنفسهم من المعاصى وحفظوها.

فى رحمة منه، المراد بالرحمة هنا: الجنة.

التفسير:

١٧٤ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ... الآية

تأتى الآيتان ١٧٤، ١٧٥ من سورة النساء دعوة إلى الناس كافة بالتأمل فى صدق الدعوة المحمدية، وهى آخر رسالات السماء إلى الأرض وقد اشتملت هذه الرسالة على أسباب السعادة الدنيوية والأخروية.

قال صاحب الظلال:

إن الرسالة الأخيرة تحمل برهانها من الله، وهى نور كاشف للظلمات والشبهات، فمن اهتدى بها، واعتمص بالله من الشبهات المهلكة، فسيجد رحمة الله توفيه، وسيجد فضل الله يشملها، وسيجد فى ذلك النور هدى إلى الصراط المستقيم<sup>(٣٩)</sup>.

وقال الفخر الرازى: اعلم أنه تعالى - لما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى، وأجاب عن جميع شبهاتهم، عمم الخطاب، ودعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد ﷺ، فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ.



والبرهان هو - محمد ﷺ - وإنما سماه برهاناً لأن حرفته إقامة البرهان على تحقيق الحق وإبطال الباطل والنور المبين هو القرآن الكريم وسماه نوراً، لأنه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب<sup>(٣١)</sup>.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا. وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ، أعظم الكتب التي أنزلناها لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وسمّاه: نوراً مبيناً، إذ هو كالنور، يضيء الطريق، ويظهر الحق، ويهدي إلى سبيل الخير والرشاد.

وقد تحدثت الآية عن نعمتين عظيمتين:

النعمة الأولى: إرسال محمد ﷺ أعظم نعم الله على الناس.

النعمة الثانية: إنزال القرآن هدىً للمتقين.

والناس - بالنسبة لهاتين - النعمتين الجليلتين - فريقان: فريق المؤمنون وقد بين الله حالهم العظيم في الآية التالية. وفريق الكافرين، ولم تذكر الآيات هنا عقاب الكافرين إهمالاً لهم، أو لأن عقابهم السيئة معروفة لكل عاقل بسبب كفرهم فسوقهم عن أمر الله.

١٧٥ - فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُيِّدْ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنَّهُ وَفَضْلِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.

جاء في تفسير ابن كثير:

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ. أى: جمعوا بين مقامى العبادة والتوكل على الله فى جميع أمورهم.

وقال ابن جريج: آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن.

فَسُيِّدْ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنَّهُ وَفَضْلِ. أى: يرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثواباً ومضاعفة ورفعاً فى درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم. وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. أى: طريقاً واضحاً قسداً قواماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهذه صفة المؤمنون فى الدنيا والآخرة، فهم فى الدنيا على منهاج الاستقامة، وطريق السلامة فى جميع الاعتقادات والعمليات، وفى الآخرة على صراط الله المستقيم المفضى إلى رياضات الجنات.

وفى حديث الحارث الأورع عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «القرآن

صراط الله المستقيم، وحبل الله المتين»<sup>(٣٢)</sup>.

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وُلْدٌ فَإِنْ كَانَتَا اتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ بِمَآ تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

### المضردات:

يستفتونك، الاستفتاء، طلب الفتيا، والفتيا والفتوى: اسم من أفتى العالم؛ إذا بين الحكم الكلالية، الذي لا ولد له ولا والد. وقيل الكلالية: مصدر من تكلمه النسب أى: تطرفه. كأنه أخذ طرفيه من جهة الوالد والولد: فليس له منهما أحد، فسمى بالمصدر. ومن هنا أطلقت على الميت الذي لم يترك والدا ولا ولدا «من كل»، إذا ضعف. وهذا قول على وابن مسعود. وقال سعيد بن جبير: هي الوارث الذي ليس ولداً ولا والداً: لأن هؤلاء الوارثين يتكلمون الميت من جوانبه، وليس فى عمود نسبه. كالأكليل يحيط بالرأس، ووسط الرأس خال منه.

### التفسير:

١٧٦ - يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ...

روى الشيخان عن البراء أن هذه الآية هي آخر آية نزلت من الفرائض.

وروى الترمذى عن جابر بن عبد الله، يقول: «مرضت فأتانى رسول الله ﷺ يعودنى».

فقلت: يا رسول الله، كيف أقتضى فى مالى؟ أو كيف أصنع فى مالى؟ فلم يجبنى شيئا - وكان

له تسع أخوات - حتى نزلت آية المواريث يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ. قال جابر: «فى نزلت».

يَسْتَفْتُونَكَ. أى: طلب الصحابة منك أن تبين لهم الحكم فى ميراث الذى لم يترك ولدا ولا والدا.

قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ. أى: قل لهم يا محمد: الله يبين لكم حكم ميراث الكلالية.

إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ. من مات وليس له والد أو ولد وهى الكلالية.

وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ. أى: وله أخت شقيقة أو أخت لأب فلها نصف ما ترك أخوها.

أما الإخوة لأُم، فقد سبق بيان ميراثهم في قوله تعالى: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ (النساء: ١٢).

وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ. أَيْ: وأخوها الشقيق أو لأب يرث جميع ما تركت إن لم يكن لها ولد.

فَإِنْ كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ. أَيْ: إن كانت الأختان اثنتين فأكثر فلهما الثلثان مما ترك أخوهما المتوفى.

بدليل القصة التي نزلت فيها الآية، فقد كانت لجابر بن عبد الله رضى الله عنه تسع أخوات في رواية الترمذى، وقياساً على ميراث البنات.

وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى.

أَيْ: وإن كان الورثة مختلطين إخوة وأخوات فللذكر منهم مثل نصيب الأختين.

بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا.

أَيْ: يوضح الله لكم شرائع دينكم ويفصلها: كراهة أن تضلوا عن الطريق السوى فتمنعوا مستحقاً، وتعطوا غير مستحق.

وَالْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي أَنْ مِنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فِي أَحْكَامِ الْمِيرَاثِ؛ فَقَدْ ضَلَّ طَرِيقَ الْحَقِّ، وَأَخْطَأَ سَبِيلَ الرِّشَادِ.

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. أَيْ: والله الذى يبين تلك الفرائض لعباده وشرعها لهم، قد أحاط بكل شيء علماً، فعلمه تام بما يصلح المجتمع الإسلامى من الشرائع والأحكام.

من الفوائد في سورة النساء:


لفظة (من) تكون للتبعية وقد تأتي لابتداء الغاية كما في قوله تعالى: وَرُوحٌ مِّنْهُ.

يحكى أن طبيباً نصرانياً للرشد ناظر الإمام الواقدى ذات يوم فقال له: إن فى كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله، وتلا هذه الآية: وَرُوحٌ مِّنْهُ. فقال الواقدى: قال تعالى: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ. (الجنابية: ١٣)، فيجب إذا كان عيسى جزءاً من الله أن يكون ما فى السموات وما فى الأرض جزءاً منه، فانقطع النصرانى وأسلم. وفرح الرشيد بذلك فرحاً شديداً ووصل الواقدى بصلة عظيمة<sup>(٣٧)</sup>.

## فى ختام السورة

تلك سورة النساء:

- \* بينت أحكام النساء ونظمت المجتمع الإسلامى تنظيماً دقيقاً حكيماً.
  - \* نظمته فيما يتعلق بأوضاعه الداخلية، ونظمته فيما يتعلق بأوضاعه الخارجية. أما فيما يتعلق بأوضاعه الداخلية، فقد ساقَت السورة الآداب، والأحكام، والتوجيهات التى تكون مجتمعاً فاضلاً.
  - \* مجتمعاً تقوم الأسرة فيه على دعائم ثابتة من الأمان والاطمئنان والمحبة والمودة والوئام.
  - \* مجتمعاً رجاله يكرمون نساءه ويعاشروهن بالمعروف، ونساؤه يحترمن رجاله ويؤدين ما عليهم نحوهم من حقوق بأدب وعفة وإخلاص.
  - \* مجتمعاً حكامه يحكمون بالعدل ويراقبون الله فى أقوالهم وأعمالهم، والمحكومون فيه يطيعون حكامهم فيما يأمرونهم به من حق وخير.
  - \* مجتمعاً يرى أفرادُه أن خيراته وأمواله.. هى أمانة فى أعناقهم جميعاً.
  - \* وأن ثمارها ومنافعها ستعود عليهم جميعاً؛ لذلك فهم يحرسون على استغلال ما يملكونه منها فيما يرضى الله، وفيما يعود عليهم وعلى أمتهم بالخير والصلاح والصلاح.
  - \* وأما فيما يتعلق بأوضاعه الخارجية، فإن سورة النساء قد كشفت عن رذائل المنافقين، وعن العقائد الفاسدة التى يتشبث بها أهل الكتاب.
  - \* ولقد ساقَت السورة الكريمة جانباً من الآيات المرغبة فى الجهاد والشهادة وطلب الثواب من الله.
  - \* إنها سورة النساء الكبرى، تحدثت عن النساء وأحكامهن وميراثهن.
  - \* ويلحق بهذه الأحكام سورة النساء الصغرى وهى سورة الطلاق.
  - \* ولم يكن للنساء فى الجاهلية كبير شأن، حتى نزل القرآن الكريم. فأمر بإكرامهن، وإحسان معاملتهن، والوفاء بحقوقهن؛ حتى ينشأ المجتمع كريماً فى رجاله ونسائه.
- والله ولى التوفيق، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



تفسير سورة المائدة

## أولاً: مدخل إلى سورة المائدة

### ١ - تاريخ النزول:

نزلت سورة المائدة بعد سورة الفتح، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، فيكون نزول سورة المائدة فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك.

ونلاحظ أن سورة المائدة من أواخر ما نزل من السور بالمدينة، فقد روى عن السيدة عائشة رضی الله عنها أنها قالت: إن المائدة من آخر ما أنزل الله فما وجدتم فيها من حلال: فأحلوه وما وجدتم فيها من حرام: فحرموه.

والمآمل يرى أن السورة قد امتد نزول آياتها خلال السنوات الأربع الأخيرة من حياة الرسول ﷺ بالمدينة؛ فقد ابتدأ نزولها في السنة السابعة للهجرة، وفيها آية نزلت في حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة قبل وفاة النبي بثمانين يوماً وهي قوله تعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**. (المائدة: ٣).

وفى كتب التفسير: أن سورة المائدة نهارية كلها أى: نزلت جميع آياتها نهاراً<sup>(٣)</sup>. مدينة كلها إلا قوله تعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**. فإنها نزلت بعرفة، وعدد آيات سورة المائدة ١٢٠ آية، وعدد كلماتها ٢٨٠٤ كلمة.

### ٢ - قصة التسمية:

سميت سورة المائدة بهذا الاسم؛ لأنها السورة الوحيدة التي تحدثت عن مائدة طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن يسألها ربه. وذلك فى قوله تعالى:

**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ « قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ »**. (المائدة: ١١٢، ١١٣)

والحواريون هم خلصاء عيسى عليه السلام الذين صفت قلوبهم من الكفر والنفاق وبادروا إلى الإيمان بعيسى وتلقوا عنه التعاليم ثم انتشروا فى القرى؛ لبثها بين الناس.

## المائدة

تكلم العلماء عن المائدة التي سألتها الحواريون عيسى، هل نزلت أم لا؟ وجمهور المفسرين على أنها نزلت بالفعل. وقد تعددت الروايات بعد ذلك عن أوصافها وما احتوت عليه من ألوان الطعام والشراب، وحسب أن ترجع إلى أى تفسير من كتب التفاسير المتداولة: لتقرأ فى أوصافها وأوصاف ما وضع عليه الشيء الكثير، مما يجعلك ترجح أن كثيرا مما ورد فى أوصاف هذه المائدة من افتراء المقترين أو أساطير الإسرائيليين.

وألفاظ القرآن الصريحة تغيد: أن عيسى طلب من ربه أن ينزل مائدة من السماء تكون كافية لقومه جميعا وتكون عيدا وسعادة لأول قومه وآخرهم، والمائدة: طعام ورزق، وكل طعام ورزق إنما هو من عند الله، وقد وعد الله أن ينزلها عليهم. ولم يذكر القرآن إن كانت بمفهومها الضيق كما طلبها الحواريون، أو بمفهومها المطلق كما قد يريده الله ويفهمه عيسى ويلهمه الحواريون فيكون حينئذ وعدا بنعمة من الله عليهم طعاما ورزقا يشمل أولهم وآخرهم وترجمة للمفهوم الضيق الذى أرادوه للمائدة بمفهوم أوسع قد يشمل الطعام وسواه من الرزق: ليكون ذلك ابتلاء وقتنة لأتباع المسيح بوجه عام.

والله أعلم بما كان مما سكت عنه القرآن. وليس لنا من مصدر آخر نستفتيه واثقين فى مثل هذه الشئون إنما هو رأى نبيه بجوار آراء السلف عليهم رضوان الله.

## ٣ - ظواهر تنفرد بها سورة المائدة:

تنفرد سورة المائدة بجملة من الظواهر لا تكاد نجد شيئا منها فى غيرها من السور، حتى فى أطول سور القرآن وهى البقرة، ذلك أنها لم تتحدث عن الشرك ولا عن المشركين على النحو الذى ألف فى القرآن من محاجتهم وتسفيه أحلامهم وتحقير شركائهم، وأنها لم تعرض فى قليل ولا فى كثير إلى ما عهد فى أكثر السور المدنية التى نزلت قبلها من الحث على القتال والتحريض عليه ورسم خطط النصر والظفر بأعداء الله المشركين كما نراه فى سورة البقرة وآل عمران والنساء والأفعال والتوبة؛ لأن المسلمين فى ذلك الوقت لم يكونوا بحاجة إلى شىء من هذا الحديث، لقد اندحر الشرك وصار المشركون فى قهر وذلة ويأس.

ولكن إذا كان المشركون قد انقضى عهدهم والمسلمون قد علا شأنهم فإن المسلمين فى حاجة إلى إكمال التشريع المنظم لشئونهم على وجه يضمن لهم دوام السعادة ويحفظ لهم السيادة، ولهم بعد ذلك صلوات خاصة بطوائف من أهل الكتاب يعيشون فى ذمتهم وعهدهم ويخالطونهم فى حياتهم ومعاملاتهم، ومن هنا تدين أن المسلمين فى ذلك الوقت كانوا فى حاجة إلى ما يعينهم فى الجانبين: جانب أنفسهم وجانب علاقتهم بأهل الكتاب، وبذلك دار كل ما تضمنته سورة المائدة على

أمرين بارزين: تشريع المسلمين فى خاصة أنفسهم وفى معاملة من يخالطون، وإرشادات لطرق المحاجة والمناقشة وبيان الحق فى المزماع التى كان يثيرها أهل الكتاب مما يتصل بالعقائد والأحكام، وفى سياق هذه المحاجة تعرض السورة لكثير من مواقف الماضيين من أسلاف أهل الكتاب مع أنبيائهم تسليمة للنبي ﷺ من جهة وتنديدا بهم عن طريق أسلافهم من جهة أخرى.

#### ٤ - تشريع القرآن؛

نزل القرآن على رسول الله ﷺ: لينشئ به أمة وليقيم به دولة، ولينظم به مجتمعاً، وليرى به ضمانات وأخلاقاً وعقولا؛ وليربط ذلك كله برباط قوى يجمع متفرقه ويؤلف أجزاءه ويشدها كلها إلى منزل هذا القرآن، وإلى خالق الناس الذى أنزل لهم هذا القرآن.

ومن ثم نجد فى كثير من سور القرآن تشريعا إلى جانب موعظة، وقصة إلى جانب فريضة، ونجد التشريع الذى ينظم العلاقات الاجتماعية والدولية، إلى جانب التشريع الذى يحل ويحرم ألوانا من الطعام أو ألوانا من السلوك والأعمال.

وهذه السورة - سورة المائدة - مثل لتلك السور التى تلتقى فيها التربية الوجدانية بالتربية الاجتماعية بتشريع الحلال والحرام فى الطعام والزواج، بتشريع المعاملات الدولية فيما بين المسلمين وغير المسلمين، بتعليم بعض الشرائع التعبدية، ببيان الحدود والعقوبات فى بعض الجرائم الاجتماعية، بالمثل والموعظة والقصة، بتصحيح العقيدة وتنقيتها من الأسطورة والخرافة فى تناسق واتساق.

#### ٥ - الوفاء بالعقود؛

تبدأ سورة المائدة ابتداء إلهيا للمؤمنين أن يوفوا بالعقود فتقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ...

والعقود: جمع عقد وهو ما يلتزمه المرء لنفسه أو لغيره، وأساسه قد يكون شيئا فطريا تدعو إليه الطبيعة، وقد يكون شيئا تكليفيا تدعو إليه العقيدة، وقد يكون شيئا عرفيا يدعو إليه الالتزام والتعاهد والعقد العرفي، أى: المتعارف عليه من عامة الناس، يكون بين الفرد والفرد كما فى البيع والزواج والشركة والوكالة والكفالة إلى آخر ما تعارفه الناس ويتعارفونه من وجوه الاتفاقات، والكلمة عامة فى الآية فإنها تأمر بالوفاء بالعقود، فتشمل العقود كلها على اختلاف أنواعها



وأشكالها، وتدخّل في العقود: المعاملات والمعاهدات بظاهر اللفظ، كما تدخّل إقامة الحدود وتحريم المحرمات بوصفها. داخلة في عقد الإسلام بين الله ورسوله والذين آمنوا بالله ورسوله.

وعلى وجه العموم فإننا نجد سياق السورة كله يدور حول العقود والمواثيق في شتى صورها حتى حوار الله والمسيح يوم القيامة الوارد في نهاية السورة نجده سؤالاً عما عهد به إليه وعما إذا كان قد خالف عنه كما زعم الزاعمون بعده.

#### ٦ - الظروف التي نزلت فيها السورة<sup>(٣١)</sup>

نزلت سورة المائدة بعد أن قلمت أظفار المشركين وانزوى الشرك في مخابئه المظلمة وصار المسلمون في قوة ومنعة كانوا بها أصحاب السلطان والصولة في مكة وفي بيت الله الحرام، يحجون آمنين مطمئنين، وقد نكست أعلام الشرك وانطوت صفحة الإلحاد والضلال، وقد أتم الله نعمته على المسلمين بفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا.

وسورة المائدة وإن ابتدأ نزولها في السنة السابعة إلا أن نزولها قد استمر إلى السنة العاشرة بدليل أن فيها آية من آخر ما نزل من القرآن وهي قوله تعالى:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...

روى أن رجلا من اليهود جاء إلى عمر رضی الله عنه فقال: إن في كتابكم آية تقرؤونها لو علينا أنزلت - معشر اليهود - لاتخذنا اليوم الذي أنزلت فيه عيدا، قال عمر: وآية آية؟ قال:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا. (المائدة: ٣)

فقال عمر: إني والله لأعلم اليوم الذي أنزلت فيه والساعة التي نزلت فيها، نزلت على رسول الله عشية عرفة في يوم جمعة والحمد لله الذي جعله لنا عيدا.

وقد روى أن النبي ﷺ قرأ سورة المائدة في حجة الوداع وقال:

«يأيها الناس، إن سورة المائدة آخر ما نزل؛ فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها».

#### ٧ - أفكار السورة وأحكامها:

انفردت سورة المائدة بعدة مسائل في أصول الدين وفروعه، وبتفصيل عدة أحكام أجملت في غيرها إجمالا. ومن هذه الأحكام ما يأتي:

١ - بيان إكمال الله تعالى للمؤمنين دينهم الذي ارتضى لهم بالقرآن وإتمام نعمته عليهم بالإسلام.

- ٢ - النهى عن سؤال النبي ﷺ عن أشياء من شأنها أن تسوء المؤمنين إذا أبديت لهم لما فيها من زيادة التكاليف.
- ٣ - بيان أن هذا الدين الكامل مبنى على العلم اليقيني فى الاعتقاد والهداية فى الأخلاق والأعمال، وأن التقليد باطل لا يقبله الله تعالى.
- ٤ - بيان أن أصول الدين الإلهى على ألسنة الرسل كلهم هى الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، فمن أقامها كما أمرت الرسل من أية ملة - من ملل الرسل كاليهود والنصارى والصابئين - فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم فى الآخرة ولا هم يحزنون.
- ٥ - وحدة الدين واختلاف شرائع الأنبياء ومناهجهم فيه.
- ٦ - هيمنة القرآن على الكتب الإلهية.
- ٧ - بيان عموم بعثة النبي ﷺ وأمره بالتبليغ العام وكونه لا يكلف من حيث كونه رسولا إلا التبليغ، وأن من حجج رسالته أنه بين لأهل الكتاب كثيرا مما كانوا يخفون من كتبهم، وهو قسمان: قسم ضاع منهم قبل بعثة النبي ﷺ، وقسم كانوا يكتُمونه اتباعا لأهوائهم مع وجوده فى الكتاب كحكم رجم الزانى، ولولا أن محمدا الأمين مرسل من عند الله لما علم شيئا من هذا ولا ذاك.
- ٨ - عصمة الرسول ﷺ من أذى الناس، وهذا من دلائل نبوته ﷺ، فكم حاولوا قتله فأعياهم وأعجزهم.
- ٩ - بيان أن الله أوجب على المؤمنين إصلاح أنفسهم أفرادا وجماعات، وأنه لا يضرهم من ضل من الناس إذا هم استقاموا على صراط الهداية.
- ١٠ - تأكيد وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بما بينه الله تعالى من لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم. وتعليقه ذلك بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه.
- ١١ - نفي الحرج من دين الإسلام.
- ١٢ - تحريم الغلو فى الدين والتشدد فيه ولو بتحريم الطيبات وترك التمتع بها.
- ١٣ - قاعدة إباحة المحرم للمضطر ومنه أخذ الفقهاء قولهم: الضرورات تبيح المحظورات.
- ١٤ - قاعدة التفاوت بين الخبيث والطيب وكونهما لا يستويان فى الحكم، كما أنهما لا يستويان فى أنفسهما وفيما يترتب عليهما.
- ١٥ - تحريم الاعتداء على قوم بسبب بغضهم وعداوتهم؛ لأنه يجب على المؤمنين أن يلتزموا الحق والعدل.
- ١٦ - وجوب الشهادة بالقسط والحكم بالعدل والمساواة فيهما بين غير المسلمين كالمسلمين ولو للأعداء على الأصدقاء وتأكيد وجوب العدل فى سائر الأحكام والأعمال.

- ١٧ - الحياة شركة ذات أطراف لا يجوز أن يجور فيها طرف على طرف.
- ١٨ - التعاون على البر والتقوى له وسائله وسبله حسب الزمان والمكان، ومنه تأليف الجمعيات الخيرية والعلمية وتحريم التعاون على الإثم والعدوان.
- ١٩ - بيان أن الله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس، أي: يقوم عندها أمر دينهم ودنياهم فعندها يتم الحج والعمرة وعندها يتم الإحرام والأمان والسلام ولها يتوجه المسلمون في الصلاة، فهي رمز للوحدة والأخوة والإيمان.
- ٢٠ - النهي عن موالاتة المؤمنين للكافرين.
- ٢١ - تفصيل أحكام الوضوء والغسل والتيمم مع بيان أن الله تعالى يريد أن يطهر الناس ويزكّيهم بما شرع لهم من أحكام الطهارة وغيرها.
- ٢٢ - تفصيل أحكام الطعام، وبيان حرامه وحلاله.
- ٢٣ - تحريم الخمر وهو كل مسكر وتحريم الميسر وهو القمار.
- ٢٤ - بيان محظورات الإحرام في الحج.
- ٢٥ - تفصيل أحكام الصيد للمحرمين وغيرهم في أوائل السورة وأواخرها.
- ٢٦ - حدود المحاربين الذين يفسدون في الأرض ويخرجون على أئمة العدل، وحد السرقة وما يتعلق بالحد كسقوطه بالتوبة الصادقة.
- ٢٧ - أحكام الأيمان وكفارتها.
- ٢٨ - تأكيد أمر الوصية قبل الموت وأحكام الشهادة على الوصية.
- ٢٩ - الأمر بالتقوى في عدة آيات من السورة.
- ٣٠ - بيان تفويض أمر الجزاء في الآخرة إلى الله تعالى وحده.

#### ٨ - النداءات الإلهية للمؤمنين؛

اشتملت سورة المائدة على ستة عشر نداء وجهت للمؤمنين خاصة، يعتبر كل نداء منها قانونا ينظم ناحية الحياة عند المسلمين فيما يختص بأنفسهم وفيما يختص بعلاقتهم بأهل الكتاب.

فالنداء الأول: يطلب الوفاء بالعقود:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ. (المائدة: ١)

والنداء الثاني: يطلب المحافظة على شعائر الله وعدم إحلالها:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ. (المائدة: ٢)

والنداء الثالث: يطلب الطهارة حين إرادة الصلاة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا. (المائدة: ٦)

والنداء الرابع: يطلب القوامية لله والشهادة بالعدل ويحذر من الظلم.

والنداء الخامس: يطلب تذكر نعمة الله على المؤمنين بكف أيدي الأعداء عنهم.

والنداء السادس: يدعو إلى تقوى الله وابتغاء الوسيلة إليه والجهاد فى سبيله.

والنداء السابع: يحذر من اتخاذ الأعداء أولياء من دون المؤمنين.

والنداء الثامن: يلغى نظر المؤمنين إلى أن المسارعة فى موالات الأعداء ردة عن الدين.

والنداء التاسع: يدعو إلى شدة الحذر من موالات الأعداء.

والنداء العاشر: يذكر تحريم الطيبات التى أحلها الله.

والنداء الحادى عشر: تحريم الخمر والميسر.

والنداء الثانى عشر، والثالث عشر: يتعلقان بتحريم قتل الصيد فى حالة الإحرام.

والنداء الرابع عشر: يتعلق بالتهى عن سؤال ما ترك الله بيان حكمه توسعة على عباده:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلْكُمْ تَسْوُكُمْ. (المائدة: ١٠١)

والنداء الخامس عشر: يتعلق بتحديد المسئولية التى يحملها المؤمنون فى الدعوة إلى الخير

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والنداء السادس عشر: يتعلق بكيفية الشهادة على الوصية فى حالة السفر.

وجملة هذه النداءات تربية عملية للمؤمنين وبيان الطريق السوى التى يجب اتباعها فى الشعائر

والعبادات والمعاملات والمعاهدات. والنداء للمؤمنين بصفة الإيمان؛ تذكيرا لهم بأن عليهم أن يعملوا

بمقتضى هذا الإيمان وقوامه التصديق الباطنى بوجود الله والتزام أوامره واجتناب نواهيه.

## الأمر بالتقوى

حث القرآن على تقوى الله وطاعته وذيل كثيرا من أحكامه ببيان شأن التقوى، وأهميتها، وفي النداء السادس من سورة المائدة حث على تقوى الله والتماس الأسباب المساعدة على هذه التقوى فيقول سبحانه:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. (المائدة: ٣٥)

وتقوى الله هي تقدير العظمة الإلهية وامتلاء النفس بها امتلاء يدفع المؤمن إلى المسارعة وشدة الحرص على تحقيق أوامر الله وتشريعاته، والتقوى تدفع المؤمن إلى إنعام النظر وقوة التفكير في ملكوت السماوات والأرض؛ لمعرفة أسرار الله في كونه، وسنته في خلقه، ثم الاتجاه إلى هذه الأسرار والعمل على إظهار رحمة الله فيها بعباده والوقوف على السنن التي ربط بها بين الأسباب والمسببات، بين السعادة وأسبابها، والشقاء وأسبابه، بين العلم وأسبابه والغنى وأسبابه، والعزة وأسبابها ... وهكذا.

ويذكر ترى أن التقوى هي ذلك المعنى القلبي الذي تغنى به الإرادات الإنسانية في ملكوت العظمة الإلهية، وهي الباعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهي المحققة للإحسان في طاعة الله ورسوله، فهي المبدأ، وهي المنتهى، وهي الأولى، وهي الآخرة.

## ٩ - أهل الكتاب:

أرسل الله محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل بعد أن درست معالم الحق والفضيلة، وبعد أن ضيع أهل الكتاب بعض تعاليمه وأخفوا بعضه ونقضوا ميثاقهم مع ربهم.

وقد واجهتهم سورة المائدة بأخطائهم فوصفتهم بالتعصب المقيت والغلو في الدين واتباعهم أهواء من ضل قبلهم من الوثنيين وغيرهم، وادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه. وقد بين الله لهم حقيقة الأمر وهي أنهم بشر ممن خلق الله لا مزية لهم على سائر البشر في أنفسهم وذواتهم، إنما يمتاز بعضهم عن بعض بالعلوم الصحيحة والأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة لا بالنسب والانتماء إلى الأنبياء والصالحين وصدق القائل:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا      يغنيك محموده عن النسب  
إن الفتى من يقول: هأنذا      ليس الفتى من يقول: كان أبي

وقد وجه الله الخطاب لأهل الكتاب عامة بأن الرسول ﷺ قد جاء ليكشف لهم عن كثير مما كانوا يخفونه من كتاب الله الذي استحفظوا عليه فنقضوا عهدهم مع الله فيه، ويعفو عن كثير مما

أنقلهم به الله من تكاليف وحرمة عليهم من طيبات عقابا لهم على مخالفتهم وانحرافاتهم فالفرصة إذن سائحة ليتدركوا ما فات ولينجوا مما كتب عليهم في الدنيا: عقابا لهم على الخلاف والإخلاف:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. (المائدة: ١٥، ١٦).

وتوالى نداء القرآن لأهل الكتاب؛ ليقطع حجتهن ومعدرتهم أن يقولوا: إن فترة كبيرة مرت عليهم لم يأتهم فيها بشير يقربهم إلى الله أو نذير يخوفهم الانحراف فيها هو ذا بشير ونذير:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (المائدة: ١٩)

وقد وصفت سورة المائدة التوراة والإنجيل أحسن وصف وذكرت من أخبار التوراة قصة ابني آدم بالحق ومن أحكامها عقوبات القتل وإتلاف الأعضاء والجروح، ومن أخبار الإنجيل والمسيح ما هو حجة على الفريقيين وبين أن الكتابين أنزلا نورا وهدى للناس وأنهم لو كانوا ألقاموهما؛ لكانوا في أحسن حال ولسارعوا إلى الإيمان بما أنزله الله على خاتم رسله مصدقا لأصلهما، ولكنهم اتخذوا الإسلام هزواً ولعبا في جملته وفي عبادته ووالوا عليه المناصبين له من أعدائه فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم.

#### ١٠ - اليهود:

ناقشت سورة المائدة اليهود خاصة فذكرتهم بنعم الله عليهم وبميثاق الله مع نقيب بني إسرائيل النابئين عنهم، فما الذي كان من بني إسرائيل؟

لقد نقضوا ميثاقهم مع الله .. قتلوا أنبياءهم بغير حق، وبيتوا الصلب والقتل لعيسى ابن مريم، وحرفوا كلمات التوراة عن معانيها وعن مواضع الاستشهاد بها، واشتروا بهذا التحريف ثمنا قليلا من عرض هذه الحياة الدنيا، ونسوا بعض شرائع التوراة وأهملوها، وخانوا محمداً - رسول الله - أحد الرسل الذين أخذ عليهم الميثاق أن ينصرهم فبأعوا بالطرد من رحمة الله وقست قلوبهم؛ ببعدهم عن هذه الرحمة.

وإن من صفات اليهود الغالبة عليهم الخيانة والمكر، وقول الإثم والمبالغة في سماع الكذب وأكل السحت، والسعي بالفساد في الأرض، وفي إيقاد نار الفتنة والحرب، وقد قتلوا رسل الله إليهم وتمردوا على

موسى إذ أمرهم بدخول الأرض المقدسة وقتال الجبارين فعاقبهم الله بالتيه فى الأرض، وأنهم كانوا أشد الناس عداوة للمؤمنين فعاقبهم الله على ذلك كله باللعن على ألسنة الرسل، وبالغضب والسخط، وهذه الصفات التى غلبت عليهم فى زمن البعثة وقبل زمن البعثة تثبتتها تواريخهم وتواريخ غيرهم، ومن المعلوم أنها لم تكن عامة فيهم ولا شاملة لجميع أفرادهم ولذلك قال سبحانه :

مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ . (المائدة: ٦٦)

### ١١ - النصرارى :

مما جاء فى النصرارى خاصة أنهم نسوا - كاليهود - حظا مما ذكروا به، وأنهم قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم وقالوا إن الله ثالث ثلاثة وقد رد الله عليهم هذه العقيدة بالأدلة العقلية وبراءة المسيح منها ومن منحلّيها يوم القيامة، وبين لهم حقيقة المسيح وأنه عبد الله ورسوله وروح منه. ولقد أخذ الله الميثاق عليهم أن يلتزموا بتعاليم رسولهم، ولكنهم نسوا جانباً من تعاليمه وأهملوا جانب التوحيد وهو أساس العقيدة وعند هذا الانحراف كان الخلاف بين طوائف النصرارى التى لا تكاد تعد. إذ أن هناك فرقا كثيرة صغيرة داخل كل فرقة من الفرق المعلومه الكبيرة: الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت والمارون؛ اليوم ومن قبل اليعقوبيون والملكانيون والنساطرة.

وقد اشتدت العداوة بين هذه الفرق. وشهدت المسيحية آثارها منذ القرن الأول للميلاد، وكانت على أشدها بين الملكانية واليعاقبة والنساطرة، وهى اليوم على أشدها بين الفرق القائمة. فلا يكاد الإنسان يتصور العداة الذى بين الكاثوليك والبروتستانت أو بينهم وبين الأرثوذكس أو بين الموارنة والبروتستانت أو سواهم قال تعالى:

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . (المائدة: ١٤)

وقد بينت سورة المائدة أن اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين؛ وأن النصرارى أقرب الناس مودة إليهم:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَّيْسِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . (المائدة: ٨٢)

### القرآن من عند الله

جملة الآيات الواردة فى أهل الكتاب تشهد لنفسها أنها من عند الله تعالى لا من عند محمد بن عبد الله العربى الأُمى الذى لم يقرأ شيئا من الكتب، على أن تلك الآيات ليست موافقة لها ولهم موافقة الناقل للمنقول عنه، وإنما هى فوق ذلك تحكم لهم وعليهم وفيهم وفى كتبهم حكم المهيمن السميع العليم.

## ١٢ - عدالة أحكام السورة الخاصة بأهل الكتاب:

لو كان هذا القرآن من وضع البشر لشرع معاملة أهل الكتاب الموصوفين بما ذكر - ولا سيما الذين ناصبوا الإسلام العدا عند ظهوره - بأشد الأحكام وأقساها.

ولكنه تنزيل من حكيم حميد أمر في هذه السورة بمعاملتهم بالعدل والحكم بينهم بالقسط وحكم بحل مؤاكلتهم وتزوج نسايتهم وقبول شهادتهم والعفو والصفح عنهم. وهذه الأحكام التي شرعت هذه المعاملة الفضلى لهم؛ نزلت بعد إظهار اليهود للمسلمين منتهى العداوة والغدر. ولكن السورة تضمنت تأليف قلوبهم واكتساب مودتهم.

وقد ختم الله سورة المائدة بذكر الجزاء في الآخرة وسؤال الرسل عن جواب أممهم لهم. ثم براءة المسيح ممن جعله إليها وتفويضه الأمر كله لله الحق فهو سبحانه المتفرد بالعلم والقدرة والألوهية.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (المائدة: ١٢٠)

★ ★ ★



## ثانياً : تفسير سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتِغَىٰ عَلَيْكُمْ  
غَيْرِ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾

## المضردات:

أوفوا بالعقود ، الوفاء: الإيتاء بالشئء وافياً. والعقود: جمع عَقْد . والمراد هنا : العهد الموثق.  
بهيمة الأنعام ، البهيمة: هي ما لا عقل له من الحيوان . وخصصت - فى العرف - بذوات الأربع.  
والأنعام: هى الإبل والبقر والغنم .. وأُنْحِقَ بها ما يماثلها .. كالظباء ويقر الوحش  
وحمره . والإضافة هنا: بيانية أى بهيمة هى الأنعام .

حرم ، أى: محرمون بالحج أو العمرة .

## التفسير:

١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ .... ينادى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، أمراً بإيهم  
بالوفاء بجميع العقود .

وهذا أمر عام يشمل جميع ما ألزم الله به عباده، وعقده عليهم من التكليف والأحكام الدينية.

وما يعقده العباد - فيما بينهم - من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به .

جاء فى ظلال القرآن:

إنه لا بد من ضوابط للحياة، حياة الفرد مع نفسه، وحياته مع غيره، هذه الضوابط لا بد لها من  
احترام يضمن ألا تنتهك وألا يستهتر بها، وألا يكون الأمر فيها للأهواء والشهوات .

والعقود: هى هذه الضوابط التى تنظم العلاقات؛ لأنها تقيم حدود الحرية فلا تدعها فوضى،  
وتجعل الحياة شركة ذات أطراف، لا يجور فيها طرف على طرف .

والعقود فى معناها الواسع تشمل الديانات والشعائر والعبادات والمعاملات، والمعاهدات؛ لأن  
هذه كلها عقود ترتبط بها نفس الفرد وضميره، ويتحدد بها عمله وسلوكه .. فالأمر بالوفاء بالعقود

أمر بإقامة ضوابط للحياة، ما استكنَّ منها وما ظهر على السواء . ما تعلق منها بالضمير وما تعلق منها بالسلوك، ما كان بين المرء وربه، وما كان بينه وبين غيره .

والإسلام يربط هذه العقود كلها بالله، ويجعل الوفاء بها فريضة، ويوجه الأمر للذين آمنوا فكتبوا بقلوبهم عقد الإيمان، أن يفوا بسائر العقود التي ارتبطوا بها مع عقد الإيمان .<sup>(٣٤)</sup>

أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ . أى: أكلت لكم - أيها المؤمنون - أكل بهيمة الأنعام : من الإبل والبقر والغنم، وما شابهها من الظباء ويقر الوحش، والحرر الوحشية .

إِلَّا مَا يَتَنَبَّأُ عَلَيْكُمْ . استثنى من هذه الأطعمة ما سيتلى فى الآية الثالثة من هذه السورة (وأخر هذا البيان مؤقتاً ووقف عند هذا الإجمال: ليتناول فى الآية الأولى كليات مجملة بالتحريم فيكون التحليل عاماً والتحريم عاماً قبل التفصيل<sup>(٣٥)</sup> .

غَيْرِ مُجْلَى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ . أى: أكلت لكم هذه الأشياء من غير أن تستحلوا الصيد وأنتم محرمون . فلا يجوز لكم الاصطياد - أو الانتفاع بالمصيد - ما دمتم محرمين، فإذا تحللت من إحرامكم، فلا جناح عليكم أن تصيدوا، أو تنتفعوا بالمصيد، ولكن فى غير الحرم .

أما الحرم، فلا يحل الاصطياد فيه، ولا الانتفاع فيه، سواء فى ذلك المحرم وغير المحرم . وهكذا يقيم الإسلام منطقة أمان فى بيت الله الحرام وما حوله، كما يقيم فترة أمان فى الأشهر الحرم: حتى يتمرن الإنسان على السلام والأمن والأمان .

قال تعالى: أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . (القصص: ٥٧)

إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ . أى: أن الله سبحانه يقضى فى خلقه بما يشاء، ومن ذلك تحليل ما أراد تحليله، وتحريم ما أراد تحريمه حسبما يعلمه سبحانه من المصالح لعباده، لا حسب شهواتهم وأهوائهم - فعلى العباد أن يمتثلوا أمره تعالى، ويجتنبوا نهيهِ، وفاء بعهده، سواء أدركوا حكمة التشريع، أم لم يدركوها .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْعُونَ فَمُضِلًّا مَنْ رَزِمَهُمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

## المفردات:

شعائر الله : جمع شعيرة، وهى: العلامة، والمراد: ما جعل شعارا وعلامة للنسك. من مواقف الحج.  
الشهر الحرام : الأشهر الأربعة التى حرمها الله وهى: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ، ورجب .  
الهدى : ما يهدى إلى الحرم الشريف من الأنعام .  
القلائد : جمع قلادة، وهى: ما يُعلق فى عنق الأنعام. علامة على أنها هدى .  
والمراد: ذوات القلائد .  
أمنين : قاصدين .  
لا يجرمَنَّكم : لا يحملنكم .  
شنان : بغض .  
صدوكم : منعوكم .  
الـــبير : كلمة تجمع وجوه الخير .  
الإثم والعدوان : الإثم : الذنب مطلقا . والعدوان : خاص بما يقع على الغير .

## التفسير:

٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ... أى: لا تستبيحوا وتنتهكوا أية شعيرة من شعائر الدين: فى الحج أو غيره؛ لأنه يؤدى إلى الاستخفاف بالشرع، وذلك كفر بالله تعالى؛ لأنه هو المشرع. جاء فى صفوة التفاسير للصابونى :

أى: لا تستحلوا حرمان الله، ولا تتعدوا حدوده، قال الحسن: يعنى شرائعه التى حددها لعباده، وقال ابن عباس : ما حرم عليكم فى حال الإحرام .

وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ . أى: ولا تستبيحوا القتال فى الأشهر الحرم، وذلك لحرمة القتال فيها، والأشهر الحرم هى: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .

وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْقَلْبَ . كذلك نهاهم الله عن أن يعتدوا على الهدى الذى يهدى إلى الحرم، من الأنعام، لينتفع به عباد الله، أو أن يعتدوا على ما قلد من هدى الأنعام، فجعلت فى عنقه قلادة من لحي شجر الحرم للدلالة على أنه مهدى إلى بيت الله الحرام .

وخصَّ القلائد بالنهى عن الاعتداء عليها - مع أنها داخلة فى الهدى - تشريعاً لها واعتناءً بها .  
والمراد من إحلال الهدى والقلائد المنهى عنه - غضبها أو منعها من بلوغ محلها أو إصابتها بسوء .

وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً . أى: ولا نستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام لحد أو عمرة، نهى تعالى عن الإغارة عليهم، أو صدهم عن البيت كما كان أهل الجاهلية يفعلون .

وتكرر لآ . أربع مرات فى وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَلَا الْهُدَىٰ ، وَلَا الْقَلْبَ ، وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ .  
للدلالة على أن قوة التحريم فى كل واحدة .

ونذكر كل واحدة من هذه المنهيات الخمس منفردة، مع أنها مجملة فى شعائر الله ! لأهميتها .

يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً . أى: ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام - الذى من دخله كان آمناً - وكذا من قصده طالبا فضل الله وراغباً فى رضوانه فلا تصدوه ولا تمنعوه، ولا تهيجوه، قال مجاهد وعطاء فى قوله: يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً . يعنى بذلك التجارة .

وقال ابن عباس: وَرِضْوَاناً : أى: يترضون الله بحجهم .

وقد ذكر عكرمة والسدى وابن جرير أن هذه الآية نزلت فى (الحطيم بن هند البكرى) كان قد أغار على سرح المدينة، فلما كان من العام المقبل اعتمر إلى البيت فأراد بعض الصحابة أن يعترضوا فى طريقه إلى البيت .

فأنزل الله عز وجل : وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً <sup>(١٣٧)</sup> .

وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا . أى: إذا فرغتم من إحرامكم، وأحللتم منه فقد أبحنا لكم ما كان محرماً عليكم فى حال الإحرام من الصيد، وهذا أمر بعد الحظر .

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا . أى: ولا يحملنكم بغض قوم كانوا صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام، وذلك عام الحديبية على أن تعتدوا حكم الله فيهم فتقتصوا منهم ظلماً وعدواناً، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل فى حق كل أحد، وهذا المعنى نجده أيضاً فى قوله سبحانه: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْبُدُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ .

وقال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك، يمثل أن تطيع الله فيه، والعدل به قامت السماوات والأرض، وقال ابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه، حين صددهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرك يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فأنزل الله هذه الآية، والشتان هو البغض، وهو مصدر من شناه أشنؤه شناناً .

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . أَيْ: تعاونوا على فعل الخيرات وترك المنكرات، وعلى كل ما يقرب إلى الله .

قال ابن كثير:

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات - وهو البر - وترك المنكرات - وهو التقوى - وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم .

روى البخارى وأحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، قيل: يا رسول الله، هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: «تجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره» .<sup>(٢٤٨)</sup>

وفى الصحيح «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(٢٤٩)</sup> .

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . أَيْ: خافوا عقابه؛ فإنه تعالى شديد العقاب لمن عصاه .

قال صاحب الظلال:

«وهو تعقيب لتهديد من لا يتقى، ومن لا يفى بالعقد الأول، ومن تجرفه دفعة الشتان إلى شاطئ العدوان . إنها قمة فى ضبط النفس، وفى سماحة القلب، وفى انتهاز العدل، يحدو إليها هذا القرآن ويأخذ بيد البشر فى طريق الإيمان، دون ما عنت ودون ما حرج، فهو يعترف للنفس البشرية بأن من حقها أن تغضب، ومن حقها أن تكره، ولكن ليس من حقها أن تعتدى على الناس مطاوعة لما فيها من شتان، ثم يحدو لها بعد ذلك بنشيد البر ونشيد التقوى، لتتخلص من عقابيل الشتان، فيكون فى هذا تربية للنفس، بعد أن يكون فيها ضمان للعدل، فى غير ما كبت للفترة ولا إعنات»<sup>(٢٥٠)</sup> .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ  
وَالْمَتْرَدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا  
بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ بِئْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ  
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي  
مَخْبَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

## المضردات:

أهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ : الإهلال: رفع الصوت. والمراد مما أهل لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ: ما ذكر غير اسم الله عليه عند الذبح.

الْمُنْخَنِقَةُ : ما ماتت خنقًا .

الْمَوْقُوذَةُ : هي التي ضربت حتى ماتت .

الْمَتْرَدِيَّةُ : ما سقطت من علو فماتت .

وَالنَّطِيحَةُ : ما نطحها غيرها حتى ماتت .

السَّبْعُ : كلُّ حيوان مفترس .

ذَكَرْتُمْ : ذبحتم ذبحًا شرعيًا .

النُّصُبُ : جمع نصاب . وقيل: واحد الأنصاب ، وهي أحجارٌ نصبوها حول الكعبة. وكانوا  
يذبحون عليها ويعظمونها .

تَسْتَقْسِمُوا : تطلبوا معرفة ما قسم وقُدِّر لكم .

بِالْأَزْلَامِ : جمع زلم، وتسمى القداح ، وهي سهام كانت عندهم في الجاهلية يطلبون بها  
معرفة ما قسم لهم بتناولها ، من نحو كيس وضعت فيه .

فَسُقُ : خروج عن طاعة الله .

يَسُقُ : اليأس: انقطاع الرجاء .

مَخْبَصَةٌ : شدة الجوع .

مُتَجَانِفٌ لِإِثْمِهِ : مائل إلى الإثم ، من الجنف ، وهو : الميل .

## التفسير:

٣- حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ... الآية

بعد أن ذكر الله - سبحانه - أنه أحل بهيمة الأنعام، شرع في بيان المحرمات منها التي استثناها بقوله: إِلَّا مَا بَيَّأْتُ عَلَيْكُمْ، وهي عشرة أنواع:

١ - الْمَيْتَةُ. وهي التي ماتت بدون تذكية مشروعة: لأن الغالب فيها: أنها ماتت من مرض، فلا يحل أكلها؛ لما فيها من الضرر؛ ولأنها تعافها الأنفس.

٢ - وَالْدَّمُ. والمراد به: الدم السائل. وحكمة تحريمه: أن فيه من الجراثيم والفضلات ما يؤدي من يتناوله. بخلاف المتجمد منه، وهو الكبد والطحال وما يتخلل اللحم، فإن هذه ليست من الدم المسفوح، وليست محرمة.

٣ - وَلَحْمُ الْخَيْزِرِ. والمراد: لحمه ودهنه، وكل شيء فيه. وذلك: لخبثه وللأضرار التي تنشأ عن أكله.

٤ - وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ. أصل معنى الإهلال: رفع الصوت، وكان أهل الجاهلية يذبحون باسم أصنامهم؛ رافعين أصواتهم بذلك.

والمراد منه: ما ذبح على غير اسم الله؛ لأن الذبح لغير الله فيه تعظيم لذلك الغير. والآكل من هذا المذبح مشارك في التعظيم لغير الله.

٥ - وَالْمُنْحِقَةُ. وهي التي ماتت خنقا ولم تذبح، وذلك: لاحتباس الدم فيها سواء أكان الخنق بفعلها أم بفعل غيرها، فإنها لا تحل.

٦ - وَالْمُرْوَدَّةُ. وهي التي قذفت بمنقل كالحجارة ونحوها، حتى ماتت. من الوقد. أي: من الضرب، ولم تذبح ذبحا شرعيا.

٧ - وَالْمُرْدِيَةُ. وهي التي سقطت من مكان عال، أو هوت في بئر فماتت من التردى.

٨ - وَالنَّطِيحَةُ. وهي التي نطحتها غيرها فأماتتها.

٩ - وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ: أي: ما افترسها السبع وأكل منها، فلا يؤكل ما بقى، وكذا الحكم لو افترسها فماتت ولم يأكل منها. وهذه الأنواع من المنخنة - وما عطف عليها - إن أدركت وبها حياة فذكيت ذكاة شرعية؛ حل أكلها.

واشترط الأحناف فى الحياة. أن تكون فوق حياة المذبح .

وقال غيرهم: يكتفى فيه أن تدرك وبها حياة فى الجملة كأن تطرف عينها . أو تضرب برجلها أو غير ذلك . فمتى أدركها الإنسان وبها مثل هذا النوع من الحياة فذكأها - أى: ذبحها - حل أكلها.

١٠ - وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ: والنصب حجارة نصيبها أهل الجاهلية حول الكعبة . وكانوا يذبحون عليها، تقرباً للأصنام . وهو حرام ؛ لأن فى هذا الذبح تعظيماً للأصنام، وهو إشراك بالله سبحانه وتعالى. وهذه المحرمات التى ذكرها الله تعالى، إنما حرمت لأن فيها إضراراً بالصحة والعقيدة .

وَأَنْ نَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ: كانوا يستقسمون بالأزلام، أى: يطلبون معرفة ما لهم وما قدر عليهم، عن طريق الأزلام .

والأزلام: قطع من الخشب على هيئة السهام، وتسمى القداح . وهى ثلاثة: مكتوب على أحدها: أمرنى ربى؛ وعلى الآخر: نهانى ربى . والثالث: غفل من الكتابة . وكانوا فى الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً، أو غزواً، أو زواجاً أو بيعاً أو نحو ذلك . أتى إلى بيت الأصنام أربابهم: ليطلب معرفة ما قسم له من هذا الذى أراد: أيقدم عليه؟ أم يحجم عنه؟ فيحرك هذه الأزلام، فإن خرج الذى عليه، أمرنى ربى؛ أقدم على الفعل. وإن خرج على الذى عليه، نهانى ربى؛ أمسك. وإن خرج الثالث وهو الغفل؛ أعاد ثانياً حتى يخرج الأمر أو الناهى .

وهذا من الخرافات والأوهام، التى لا يقدم عليها إلا من سيطر على عقله الجهل . وجعل نفسه ألعوبة فى أيدي الكهان، ومن يدعون معرفة الغيب .

والإسلام برىء من كل ذلك؛ فطلب معرفة الحُظِّ - عن طريق التنجيم وضرب الرمل والودع، وفنجان القهوة وما شابه ذلك - من الأمور التى لم يشرعها الله .

وإنما حرم الاستقسام، ومعرفة النصيب على هذا الوجه وما شابهه ؛ لأن خروج ورقة أو نحوها: عليها أمرنى ربى أو: نهانى ربى - رجم بالغيب، وتقولُ على الله تعالى؛ لأنه لا يمكن تعرف أمر الله أو نهيهِ بمثل هذا الطريق ؛ لأن الله لم يعط هذه الكائنات - أو غيرها - معرفة قدره الذى استأثر بعلمه . قال تعالى: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (لقمان:٣٤)؛ فكيف نطلب العلم عن طريقها وفاقد الشيء لا يعطيه ؟

وإن أولئك الذى يلجأون إلى العرافين والمنجمين ونحوهم، إنما يتركون جانب الله العليم القديم، ويركضون إلى أدعياء يجهلون كل شىء عن مراد الله تعالى، ويعرضون أنفسهم لسخط الله، إلى جانب إهدار عقولهم وبذل أموالهم فيما يضرهم ولا ينفعهم .



ولقد علمنا رسول الله ﷺ - الاستخارة في الأمور كلها. وهي من الالتجاء إلى الله تعالى: أن يقدر الخير لفاعلها ويرضيه به .

روى البخارى من حديث جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدر بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم . فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمى حاجته - خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال: عاجل أمرى وأجله - فاقدره لى، ويسره لى، ثم بارك لى فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمى حاجته - شر لى فى دينى ومعاشى، وعاقبة أمرى - أو قال: فى عاجل أمرى وأجله - فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى - أو أرضنى - به »<sup>(١)</sup> .

هذه هى الاستخارة المشروعة لمن أراد أن يوفقه الله لعمل الخير، وخير العمل .

ذَلِكُمْ فَسُقُوا الْمَشَارَإِإِ، هُوَ: كل ما ذكر من المحرمات السابقة: لأن ارتكاب شىء منها خروج عن طاعة الله تعالى، وعن دينه وشرعه . ولذلك كانت فسقا .

الْيَوْمَ يَنسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ . المراد باليوم: يوم نزول هذه الآية، وهو عشية عرفة: عام حجة الوداع كما رواه الشيخان عن عمر رضى الله عنه .

وقد أخبر سبحانه وتعالى، عباده المؤمنين، بأن الكفار قد انقطع رجاؤهم من زوال دين الإسلام، أو النيل منه ومن أتباعه . فقد بدل الله المؤمنين من ضعفهم قوة، ومن خوفهم أمناً، ومن فقرهم غنى . فوجب عليهم ألا يخشوا إلا الله، وألا يرهبوا أحداً سواه .

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . وقد أكمل الله الدين لعباده، فبين حلاله وحرامه . فليسوا فى حاجة إلى تحليل أو تحريم بعد ذلك . وما كان من حكم غير منصوص، جاء عن طريق الإجماع، أو القياس - فهو مستمد من الكتاب أو السنة .

وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي . وأتم الله عليهم نعمة النصر على الأعداء، والغلبة عليهم . فأصبحت لهم اليد العليا، ودخلوا مكة ظافرين منتصرين، وأدوا المناسك آمنين مطمئنين، وهدمت معالم الجاهلية، وأبطلت مناسكها، وانتشر الإسلام فى أرجاء الجزيرة العربية .

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا . واختار الله لهم الإسلام دينا .. فمن طلب الهدى فى غيره، فقد ضل سواء السبيل، وخسر خسارنا مبينا: وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. (ال عمران: ٨٥).

وينزل قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا. عرف رسول الله ﷺ، أن رسالته تمت، وأن أجله اقترب، وأنه عما قريب - لاحق بالرفيق الأعلى .

فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . هذا الجزء من الآية يتصل بقوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ . إلى قوله: وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ . وقد توسط قوله تعالى: ذَلِكَ فِسْقٌ . إلى هنا؛ لتأكيد التحريم لما تقدم ذكره؛ لأن تحريم هذه الخبائث، من جملة الدين الكامل. أى: ما ذكر من المحرمات السابقة - محظور تناول أى شىء منه فى حالة الاختيار، ولكن قد يقع الإنسان فى الأضرار بأن تصيبه مخمصة - أى مجاعة - فتضطره إلى تناول شىء من هذه المحرمات؛ إنقاذًا لحياته؛ لأنه لا يجد غيرها أمامه. فكان من رحمة الله بعباده: أَنْ رَفَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْمَضْطَرِ، إِذَا تَنَاوَلَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ غَيْرًا مُتَجَانِفًا لِإِثْمِهِ . أى: غير مائل إلى الإثم . وذلك بتجاوزه حد الضرورة. ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى: فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . أى: لا يواخذ الله من يضطر إلى ذلك. وهذا من مظاهر رحمته سبحانه .

وقد قررت الآية مبدأين من مبادئ التشريع، بنى عليهما كثير من فروع الشريعة :

أولهما: أن الضرورات تبيح المحظورات .

ثانيهما: أن الضرورة تقدر بقدرها .. وهذا من يسر الإسلام وسماحته قال تعالى: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ

فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . (الحج: ٧٨)

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِهِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

المفردات:

الطيِّبات، ما طاب من الأطعمة وحل.

الجوارح، واحدها: جارحة. وهى الصائدة من الكلاب والفهود والطيور.

مكَلِّبِينَ، مبالغين فى تدريبها على الصيد. فالمكَلِّبُ: مؤدِّب الجوارح ومدربها على الصيد.

المُحْصَنَات، العفيفات.

مسافحين، مجاهرين بالزنى.

أخْــدَان، جمع خدن. وهو: الصديق فى السر. يطلق على الذكر والأنثى. والمراد من قوله:

وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ: وَلَا مُسْرِينَ بِالزَّنَى مع الصديقات.

حَبِطَ عَمَلُهُ، بطل عمله.

التفسير:

٤- يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ .... لما ذكر سبحانه وتعالى فى الآية السابقة آية التحريم تحرَّج المسلمون أن يتناولوا شيئاً قبل أن يستيقنوا من حله.

لذلك سألوا رسول الله ﷺ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ؟

جاء فى تفسير ابن كثير وغيره:

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن جبير، أن عدى بن حاتم، وزيد بن المهلهل الطائيين - وكانا أهل

صيد - قالوا: يا سول الله، إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة.

وإن الكلاب تأخذ البقر والحمر والظباء، فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته، وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا؟ فنزلت الآية: **يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ...**

أى: يسألك المؤمنون: ماذا أحل لهم من الطعام؟ فقل لهم يا محمد: أحل لكم ما تستطيعون أكله وتشتهونه مما حل لكم.

قال صاحب الظلال:

وهو جواب يستحق الانتباه، إذ يلقي فى حسهم أنهم لم يحرموا طيباً ولم يمنعوا عن طيب، وأن كل الطيبات ما تزال لهم حلالاً. فلم يحرم إلا الخبيث، والواقع أن كل ما حرم تستقره الفطرة السليمة بطبعها من الناحية الحسية كالميتة والدم ولحم الخنزير، أو ينفر منه الضمير السليم كالذى أهل به لغير الله، وما ذبح على النصب أو الاستقسام بالأزلام.

وهو يضيف إلى الطيبات ما أمسكته الجوارح كالصقر والبهازى - ومثلها كلاب الصيد - المعلمة على الصيد، التى كلبها أصحابها، أى: علموها كيف تكلب الفريسة وتكبلها وتصطادها، وتحفظ بها لا تأكلها، واشترط لحل ما تكلبه الجوارح وتمسكه أن تكون قد أمسكته لحساب أصحابها لا لحسابها هى، وآية ذلك ألا تأكل منه عند صيده؛ ولا تقربه إلا إذا غاب عنها صاحبها فجاجت فإنها إن تكن أمسكت الفريسة لنفسها ولتطعم منها: حرمت الفريسة على الناس، وتركت للذى صاهاها لنفسه من الجوارح.. **فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ**. فلا بد من ذكر اسم الله عند إطلاق الجارح أو كلب الصيد؛ ليكون الصيد حلالاً.

من كتب التفسير:

جاء فى تفسير ابن كثير، وصفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى والتفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ما نوجزه فيما يأتى:

**وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ** .. أى: اذكروا اسم الله على هذه الجوارح التى علمتموها عند إرسالها.

روى البخارى وأصحاب السنن من حديث عدى بن حاتم: أن النبى ﷺ قال: «إذا أرسلت كلابك المعلمة، وذكرت اسم الله عليه؛ فكل مما أمسكن عليك، إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل، فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه»<sup>(١١)</sup>.

وعلامه المعلم أن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر وأن يمسك الصيد فلا يأكل منه، وأن يذكر الله عند إرساله، فهذه أربع شروط لصحة الأكل من صيد الكلب المعلم ..

وقد قال بعض الفقهاء : بحرمة أكل الصيد الذي أكل منه الجارح ولم يدركه الصائد حيا؛ لأنه أمسكه على نفسه، وقال مالك والليث: يؤكل وإن أكل منه الكلب .

وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا أكل الكلب من الصيد فلا يؤكل منه، ويؤكل صيد البازي وإن أكل منه؛ لأن تأديب سباع الطير إلى حد ألا تأكل منه متعذر، بخلاف الكلاب، فإنه غير متعذر، وإذا أدرك الصائد ما أكل منه السبع حيا حياة مستقرة، فذكاه - أي: ذبحه - حل أكله اتفاقا؛ لقوله تعالى: وَمَا أَكَلَ السَّعِىُّ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ. وإن كانت حياته غير مستقرة ونكاه، فالحكم كذلك عند الجمهور لعموم الآية. قال أبو طلحة الأسدی: «سألت ابن عباس عن نذب عدا على شاة فشق بطنها، ثم انتثر قصبها - أي أمعاؤها - فأدرکت ذکاتها، فذکيتها، فقال: كل، وما انتثر من قصبها فلا تأكل» .

قال إسحاق بن راهويه: السنّة في الشاة، على ما وصف ابن عباس، فإنها - وإن خرجت أمعاؤها - فهي حية بعد، وموضع الذكاة منها سالم، وإنما ينظر - عند الذبح - أحية هي أم ميتة؟ ولا ينظر إلى ما أصابها: هي تعيش معه أم لا؟ قال ابن إسحاق: ومن خالف هذا؛ فقد خالف جمهور الصحابة وعامة العلماء .

وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ . هذا أمر بتسمية الله تعالى عند إرسال الكلب والطير على الصيد، فالحكم في التسمية عنده كالحكم فيها عند الذبح .

وقيل: هو أمر بالتسمية على الصيد عند الأكل منه .

قال الالوسي: وهو بعيد، وإن استظهره أبو حيان. (١٢)

واستدل العلماء بهذه الآية على جواز تعليم الحيوان وضره للمصلحة؛ لأن التعليم يحتاج إلى ذلك، وعلى إباحة اتخاذ الكلب للصيد، ومثله للحراسة، والانتفاع به فيما يحقق المصالح العامة، مثل تعقب اللصوص، وإنقاذ الغرقى، وقيادة العميان .

٥ - الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ ..

الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ . أي: أبيع لكم المستلذات من الذبائح وغيرها، وفي هذا دليل على سماحة الإسلام ويسره ورغبة الله الكريم في أن يتمتع عباده بالطيبات من الحلال في الطعام . والثياب والزواج والمسكن والدابة وشئون الحياة في غير ما إسراف ولا خيلاء. وفي الحديث النبوي الشريف: «كل ما شئت والبس ما شئت ما تجنّبك اثنتان الإسراف والمخيلة» (١٣)

وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَالٌ لَكُمْ: أى ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم .  
وَطَعَامُكُمْ حَلَالٌ لَهُمْ: أى ذبائحكم حلال لهم فلا حرج أن تطعموهم وتبيعوه لهم .  
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ: أى: وأبيع لكم - أيها المؤمنون - زواج الحرائر العفيفات من المؤمنات.  
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ: أى: وزواج الحرائر من الكتابيات - يهوديات أو نصرانيات - وهذا رأى الجمهور، وقال عطاء: قد أكثر الله المسلمات وإنما رخص لهم يومئذ .  
إِذَا عَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ: أى: أعطيتموهن مهورهن، وقيد حل المحصنات من المؤمنات، ومن أهل الكتاب بإتيانهن لتأكيد وجوبها، لا لتوقف الحل على إتيانها، فإن الزواج يحل بالصداق المؤجل، كما يحل إذا تم بدون مهر - وللزوجة مهر المثل .  
وسمى الله المهور أجورا؛ لأنها عوض عن الاستمتاع بهن كما قال ابن عباس وغيره .  
وتسمى صداقا؛ لأنها مشعرة بصدق رغبة باذليها فى الزواج، وقد فرضت لذلك؛ إعزازا للمرأة وتكريما لها .  
وقد أوجب الله أن يكون الغرض من الزواج، الإحصان والعفة، فقال تعالى: مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ ..  
يشترط القرآن أن يكون المهر سبيلا إلى الإحصان والزواج الحلال، ولا يجوز أن يكون المال وسيلة للسفاح والزنى فاتخاذ العشيقة والزنى بها محرم على الرجل والمرأة على السواء، والأخدان: جمع خدن وهو الصديق ذكرا كان أم أنثى، هنا فى صفة التفاسير للصابونى .  
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ: أى: حال كونكم أعماء بالنكاح غير مجاهرين بالزنى .  
وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ: أى: وغير متخذين عشيقات وصديقات تزنون بهن سرا، قال الطبرى: المعنى: ولا منفردا ببغية قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها .  
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ: أى: ومن ينكر شرائع الإيمان وفروعه، وقوانينه وأحكامه، التى من جعلتها: ما بين من الأحكام المتعلقة بالحل والحرمه .

فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ . فقد بطل عمله، فلا يعتد به، وضل سعيه، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ . ويكون في الآخرة من الهالكين .

وتعبير ومن يكفر بالإيمان فيه جدة وطرافة فالكفر في هذه المرة ليس بالله ولا باليوم الآخر، ولا بالدين ولا بشيء منه إنما هو الكفر بالإيمان ذاته. والتنكر لوجدان الإيمان ذاته، ومن فارقه: فقد حبط عمله؛ لأنه انبت وابتعد عن الهدى والاعتقاد أصلاً، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

في أعقاب الآية :

«نطلع في هذه الآية على صفحة جديدة من صفحات السماحة الإسلامية؛ فالإسلام لا يكتفى بأن يترك أهل الكتاب لما يعتقدون» .

لا يكتفى بأن يترك لهم هذه الحرية، إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية، والمودة والمجاملة والخلطة فيجعل طعامهم حلالاً للمسلمين، وطعام المسلمين حلالاً لهم، وكذلك يجعل العقيقات من نسانهم طيبات للمسلمين، يقرن ذكرهن بالعقيقات من المسلمات وهي سماحة لا يفيض بها إلا الإسلام من بين سائر الأديان .

فإن الكاثوليكي المسيحي ليتخرج من نكاح الأرثوذكسية أو البروتستانتية أو المارونية المسيحية، ولا يقدم على ذلك إلا المتحللون عندهم من العقيدة .

وهكذا يبدو أن الإسلام هو العقيدة الوحيدة التي تسمح بقيام مجتمع عالمي لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية الأخرى، ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة التي تظلمها راية المجتمع الإسلامي. <sup>(١٥)</sup> .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

## المضردات،

قمتم إلى الصلاة، أردتم القيام إليها وأنتم محدثون.

المرافق؛ جمع مرفق؛ وهو ما يصل الذراع في العضد.

الـكـعـبـيـن، العظمين الناتئين من الجانبين. عند مفصل الساق والقدم.

الـغـائـط، المنخفض الواسع من الأرض. وهو هنا؛ كناية عن قضاء الحاجة.

لامستم النساء، كناية عن الاتصال الجنسي، أو مطلق المباشرة.

صـعـيـدا، الصعيد؛ وجه الأرض البارز.

طـيـيـبا، طاهرا.

مـيـثـاقـه، عهده.

واثقكم به، عاهدكم به.

## التفسير،

٦- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ... الآية

تأتى هذه الآية فى سلسلة الحديث عن الطيبات، فقد أحل الطيبات من الزوجات ومن الطعام. وهنا حديث عن طيبات الروح وهى: الوضوء والتيمم؛ فالوضوء نظافة للجسد، وطهارة للروح، وروى مالك وأحمد ومسلم وابن جرير عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، فإذا غسل يديه،



خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء، فإذا غسل رجليه، خرجت كل خطيئة مشتتها رجلاه مع الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب. <sup>(١٧)</sup>

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا أَرَدْتُمْ الْقِيَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنْتُمْ مُحَدَّثُونَ فَتَوَضَّأُوا بِغَسَلِ وُجُوهِكُمْ، والوجه معروف، وحده طولاً من منبت الشعر المعتاد إلى أسفل الذقن، وحده عرضاً ما بين شحمتي الأذنين، ولا عبرة بالصلع أو غيره .

وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ . أَي: اغسلوا الوجوه والأيدي مع المرافق .

وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ . وَأَرْجُلِكُمْ . بالنصب عطفاً على وُجُوهِكُمْ ، داخلاً معها في حكم الغسل فواجب الرجلين هو الغسل عند الأكثرين .

والمعنى : امسحوا برؤوسكم واطشوا أرجلكم إلى الكعبين معهما .

قال الزمخشري : وفائدة المجيء بالغاية إِلَى الْكَعْبَيْنِ . لدفع ظن من يحسبها ممسوحة؛ لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة، وفي الحديث «ويل للأعقاب من النار» <sup>(١٨)</sup> وفي قراءة وَأَرْجُلِكُمْ بِالْجِرِّ، عطفاً على رُءُوسِكُمْ . ولا يفيد ذلك أن الواجب في الرجلين هو المسح، بل للإيذان بأنه لا ينبغي الإسراف في غسلهما، والمسح هنا محمول على الغسل كما صرح به كثير من أهل اللغة .

يقال للرجل إذا توضع: تمسح، ويقال: مسحَ المطر الأرض: إذا غسلها .

ويرى الشيعة الإمامية : أن الواجب في الرجلين هو المسح، أخذاً من قراءة الجِرِّ .

وأوجب داود الظاهري: الجمع بين المسح والغسل فيهما؛ مراعاة للقراءتين .

والأرجح هو رأى جمهور الفقهاء .

والمذكور في الآيات من فرائض الوضوء: غسل الوجه، وغسل اليدين مع المرفقين، ومسح الرأس، وغسل الرجلين مع الكعبين .

على خلاف بين الفقهاء في المقدار الممسوح من الرأس، فيرى المالكية والحنابلة أن المراد: مسح جميع الرأس، ويرى الحنفية أن المراد: ربع الرأس من أي جانب، ويرى الشافعية أن المراد بمسح الرأس: البعض ولو شعرة .

وَأَنْ تَكُونُوا جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا . أَي: إن كنتم في حالة جنابة بمخالطة أو احتلام أو غيره، فلا بد من أن تطهروا بالغسل، وهو تعميم الجسد كله بالماء، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ . أَي: وإن كنتم مرضى

ويضركم الماء أو كنتم مسافرين ولم تجدوا الماء، ومن العلماء من أباح التيمم للمريض والمسافر مطلقاً، ورأى أن التيمم رخصة من الله للمريض، ورخصة للمسافر سواء قدر على استخدام الماء أم لا، وقد بسط هذا القول الشيخ محمد عبده، والسيد رشيد رضا فى تفسير المنار .

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ . أَى: أتى من مكان البراز. أَوْ لَأَسْتُمُّ النَّسَاءَ . أَى: جامعتموهن .

فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا . أَى: ولم تجدوا الماء مع طلبه فاقصدوا التراب الطاهر للتيمم به .

فَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ . هو أن يمسح وجهه بيديه: بضريرتين يضر بهما على الصعيد، إحداهما للوجه، والثانية لليدين.

ويكفيه هذا التيمم عن كل من الطهارتين، أو مجموعهما حتى يجد الماء أو يقدر على استعماله بزوال عذره .

وهو تيمم لكل فريضة مع نوافلها، أو يصلى به ما شاء من فرائض ونوافل ؟ خلاف بين الفقهاء .

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ . أَى: ما يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم تضييقاً عليكم أو تكليفكم بما يشق عليكم .

وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ . ولكن يريد بما شرعه لكم منها أن يطهركم من الأذناس والأقذار، والذنوب والأوزار: لأن الوضوء والغسل فيهما نظافة للجسم، وطهارة من الذنوب والخطايا .

وَلِيَعِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ . ببيان شرائع الإسلام، فى الوضوء والغسل والتيمم .

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . ولكى تشكروه دانما على نعمه، بطاعتكم إياه فيما أمركم به .

٧ - وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ ... الآية

أَى: تذكروا نعم الله عليكم إذ هداكم للإيمان وأرسل إليكم محمداً ﷺ .

وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا . أَى: واذكروا ميثاقه وعهده الذى أخذه عليكم بالسمع والطاعة، والمراد بالميثاق هنا: هو الميثاق الذى أخذه عليهم، حين بايعهم الرسول ﷺ فى العقبة الثانية، سنة ثلاث عشرة من النبوة على السمع والطاعة فى حال اليسر والعسر، والمنشط والمكره، كما أخرج البخارى ومسلم من حديث عبادة بن الصامت .

وإضافة الميثاق إليه - تعالى - مع صدوره عن النبى ﷺ؛ لكون المرجع إليه سبحانه وتعالى .

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أى: راقبوا الله فإنه عليم بخفايا نفوسكم فيجازيكم عليها.

وذات الصدور: تعبير مصور عن النيات التي اشتملت عليها الصدور.

أى: راقبوا الله فى سركم وعلانيتكم، وفى كل ما تأتون وما تدرؤن؛ فهو سبحانه مطلع على السرائر، عليم بخفايا الصدور لا تخفى عليه خافية.

★ ★ ★

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

المضردات:

قَوَّامِينَ : أى: قائمين حق القيام .

بِالْقِسْطِ : بالعدل .

لَا يَجْرِمَنَّكُمْ : لا يحملنكم .

شَنَاٰنُ : بغيض وعداوة .

خَبِيرٌ : عالم بكل الأمور على وجه الدقة .

التفسير:

٨ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ... الآية

أى: كونوا مبالغين فى الاستقامة بشهادتكم لله وصيغة قوام للمبالغة.

والآية توجيه من الله لعباده المؤمنين أن يكون دأبهم دائما القيام لله بحقوقه، فى أنفسهم بالعمل الصالح، وفى غيرهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ. أن يؤدوا الشهادة بالعدل على وجهها الصحيح، من غير مراعاة لقرابة أو صداقة، ومن غير محاباة أو مجاملة.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا. أى: ولا يحملنكم بغض قوم أو عداوتهم - على أن تجوروا فى حكمكم، أو تغيروا فى شهادتكم.

اعْدُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. أى: أن العدل هو أقرب الطرق الموصلة إلى تقوى الله وخشيته، وأنسب الطاعات لها .

وَاتَّقُوا اللَّهَ . راقبوه فى أعمالكم؛ فالتقوى ملاك كل أمر .

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . إن الله سبحانه وتعالى - عليم بدقائق أموركم وسيجازيكم عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر .

★ ★ ★

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾

التفسير:

٩ - وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . تكفل الله بجزء المؤمنين الذين قاموا بواجب الإيمان وقدموا الأعمال الصالحة بأن يغفر ذنوبهم ويجزل ثوابهم بالأجر العظيم . وهو وعد من الله العادل الذى لا يخلف وعده سبحانه المتفضل بالجزاء والثواب .

١٠ - وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... الآية. أى: كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله، وآياته التى أقامها فى الأنفس والأفاق؛ للدلالة على وحدانيته، وكمال قدرته وسائر صفاته .

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ . هؤلاء يستحقون عذاباً شديداً فى نار تتأجج يلازمونها ملازمة صاحب الدار لداره .

★ ★ ★

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا  
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

المضردات:

يبسطوا إليكم أيديهم ، يبطشوا بكم .  
فكف أيديهم عنكم ، فمنعهم عن إيذائكم .

## التفسير :

١١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... الآية

ورد في سبب نزول هذه الآية، ما رواه مسلم وغيره من حديث جابر - أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم بعسفان، قد قاموا إلى صلاة الظهر معاً، فلما صلوا، ندموا لأن كانوا أكبوا عليهم، وهموا أن يوقعوا بهم، إذا قاموا إلى صلاة العصر بعدها؛ فرد الله - تعالى - كيدهم، بأن أنزل صلاة الخوف وقد يكون هذا عندما هم المشركون بقتال المسلمين في عام الحديبية<sup>(١٨)</sup>.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ. أى: اذكروا فضل الله عليكم بحفظه إياكم من أعدائكم.

إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَنْ يَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ. أى: يبسطوا بكم بالقتل والهلاك.

فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ. أى: عصمكم من شرهم، ورد أذاهم عنكم.

وَاتَّقُوا اللَّهَ. بامتثال أمره واجتناب نهيهِ. وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون. أى: فليثق المؤمنون بالله فإنه كافيههم وناصرهم.

\*\*\*

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

المفردات:

مِثَاقٌ ، الميثاق: العهد المؤكد - بين طرفين - فى شأن هام .

نَتَقِيبًا ، النقيب: هو كبير القوم ، المعنى يشأنهم .

إِنِّي مَعَكُمْ ، ناصركم ومعينكم .

عَزَزْتَهُمْ ، أزرتموهم ونصرتموهم .

أَفْرَضْتُمُ اللَّهَ ، أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَفَقَةً طَيِّبَةً .

لَعْنَاهُمْ ، اللعن: الطرد من الرحمة .

قَاسِيَةً ، شديدة غليظة ، لا تقبل خيرا .

خَائِنَةٌ مِنْهُمْ ، خيانةٍ وغدرٍ منهم .

### التفسير:

١٢- وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... الآية.

بعد أن أمر الله - سبحانه وتعالى - بالوفاء بالعهد، وذكر المؤمنين بميثاقه الذي واثقهم به على السمع والطاعة - ذكر بعض ما صدر من بني إسرائيل من نقض العهد، وما كان من عقاب الله لهم عليها؛ ليتعظ المؤمنون، ويعملوا على حفظ نعم الله - تعالى - بمراعاة حق الميثاق، وتحذيرهم من نقضه، فقال:

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . أى: لقد أخذ الله العهد على بني إسرائيل: أن يعملوا بما فى التوراة، ويقبلوها بجدٍ ونشاط.

وقد أخذ الله عليهم موثيق فرعية تتصل بما كلفهم الله به، ومنها ما سيأتى فى الآية التى معنا. وقد سبق بيان بعض الموثيق التى أخذت عليهم؛ فى سورتى البقرة، وآل عمران. فارجع إليها وإلى شرحها إن شئت .

وَعَبَّأْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا . وأمر الله موسى عليه السلام: أن يختار منهم اثنى عشر رئيسا دينيا يتولون أمور الأسباط، ويقومون على رعايتهم، ففعل، ويعثم يتحسسون العدو ليقاتلوه .

وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ . بالنصر والتأييد على أعدائكم. أو المراد منه: أنه معهم بعلمه: يسمع كلامهم ويعلم ضمائرهم، وأنه مجازيهم على ما يحدث منهم .

لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ . أى: أديتموها حق أدائها .

وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ . أى: وأعطيتموها مستحقيها . من مال طيب . وكسب حلال .

وَأَمْتُمْ بِرُسُلِي . كلهم .

وَعَزَّزْتُمُوهُمْ . نصرتموهم وجاهدتم الأعداء معهم .

وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا . أى : أنفقتم فى سبيل الله ؛ عن طيب نفس دون منْ أَوْ حُبٍّ للفخر والرياء .

لَأُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ : لأمحون ذنوبكم .

ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار . أى : ولأدخلنكم - فى الآخرة - جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار . تتنعمون فيها بما أعد لكم من النعيم .

وقد أكد الله - تعالى - وعيده بالقسم وغيره من التوكيدات؛ ليحملهم على تنفيذ ما عاهدوا الله عليه .

فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ . أى : فمن كفر منكم - بعد ذلك الوعد بالنصر، وتكفير السيئات وإدخال الجنات، بأن نقض العهد والميثاق - فقد حاد عن الصراط السوى؛ الذى رسمه الله لهم؛ كى يسيروا عليه .

ولكن بنى إسرائيل لم يوفوا بعهدهم، ونقضوا الميثاق، الذى أخذه الله عليهم؛ فعاقبهم الله تعالى، وفى ذلك يقول سبحانه :

١٣ - فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ... الآية

تعرض الآية النتائج المترتبة على موقفهم من الميثاق . فتقول:

فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ . أى : فبحسب نقضهم عهدهم المؤكد

لِعَنَانِهِمْ . أى : طردناهم من رحمتنا عقوبة لهم ؛ لأنهم قد فسدت فطرتهم .

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً . أى : أورثنا قلوبهم الغلظة والقسوة . فهى لا تلين، ولا تنفذ إليها الحجة، ولا تؤثر فيها الموعظة .

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . أى : يغيرون كلام الله فى التوراة، بالمحو والإثبات والزيادة والنقصان، وسوء التأويل .

وَسَبَّوْا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ . أى : وأعرضوا عن بعض ما أمروا به فى التوراة، من اتباع الرسول ﷺ والإيمان به، وغير ذلك . وإنما قال: يُحَرِّفُونَ، ولم يقل: حَرَّفُوا؛ للدلالة على أن هذا الخلق طبع فيهم ؛ تتجدد آثاره أنا فأنا .

ولذا قال الله - تعالى - لنبية عقب ذلك .

وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ . أَيْ: إن الغدر والخيانة عادة مستمرة لليهود . منتقلة فيهم، من الأصول إلى الفروع . فلا تزال - أيها الرسول - تطلع من هؤلاء اليهود المعاصرين . على خيانةٍ إثر خيانة . فهم قومٌ لا عهد لهم، ولا وفاء عندهم .

لقد دمغتهم الكتب السماوية بالغدر والخيانة والقسوة، فرماهم نبياً أرمياً بالكذب والسرقة والزنى والشرك . وأنهم حولوا بيت الله إلى مغارة لصوص<sup>(٤٩)</sup> .

ورماهم السيد المسيح - عليه السلام - بأنهم مثل القبور المبيضة من الخارج، المليئة بالجيء من الداخل، ووصفهم بأنهم الحيات، أولاد الأفاعى . وأنهم قتلوا الأنبياء والحكماء، وجعلوا بيت الله مغارة لصوص<sup>(٥٠)</sup> .

والآيات القرآنية العديدة تؤيد هذه الصفات .

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ . وهم من آمنوا بك، واتبعوك كعبد الله بن سلام وأمثاله من الذين آمنوا بالله ورسوله، فلا تظن بهم سوءاً، ولا تخف منهم خيانة؛ لأن الله طهرهم بالإسلام .

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ . فاعفُ عما فرط من هؤلاء اليهود، واصفح عن أسوأ منهم وعاملهم بالإحسان؛ تأليفاً لهم، فلعل الله أن يهديهم .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وأنت أحق الناس بالاتصاف بالإحسان واتباع ما يحبه الله .

★ ★ ★

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوهُمُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

المفردات:

نصـــــارى : جمع نصران، كندمان وندامى ، ولم يُستعمل إلا بياء النسب، وقد صارت كلمة «نصرانى» لقباً لكل من اعتنق المسيحية . قيل: لقبوا أنفسهم بذلك، على معنى أنهم أنصار الله . وقيل: نسبة إلى الناصرة بلدة بالشام، واستقر بها المسيح بعد رجوع أمه به من مصر إلى الشام .



حفظاً ، نصيباً أو مقداراً .

فأغرينا بينهم العداوة ، أئى: فألقينا بينهم العداوة .

التفسير:

١٤- ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم... الآية

أئى: ومن الذين ادعوا أنهم أنصار الله، وسموا أنفسهم بذلك . أخذنا منهم أيضا الميثاق على توحيد الله والإيمان بمحمد رسول الله .

فَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ .. أئى: فتركوا ما أمروا به فى الإنجيل من الإيمان بالأنبياء وتقضوا الميثاق.

فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . أئى: ألزمتنا وألصقنا بين فرق النصارى العداوة والبغضاء إلى قيام الساعة .

قال ابن كثير : ولا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضا، ويلغى بعضهم بعضا، وكل فرقة تمنع الأخرى دخول معبدها .

وقال صاحب الظلال: لقد نسى النصارى جانباً من تعاليم السماء، نسوا الجانب الأساسى فيها، وهو التوحيد الذى تقوم عليه، وعند هذا الانحراف كان الخلاف بين طوائف النصارى التى لا تكاد تعد، إذ إن هنالك فرقا كثيرة صغيرة داخل كل فرقة من الفرق المعلومة الكبيرة:

الأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت، والمارون؛ اليوم، ومن قبل كان اليعقوبيون، والملكانيون والنساطرة .

وهذه العداوة التى يشير إليها النص إنما جاءت من انقسام النصارى من قديم إلى فرق، نشأت من الانحراف عن التوحيد، وتفرقت بها السُّبُلُ، وهى عداوة حقيقية شهدتها المسيحية منذ القرن الأول للميلاد، وكانت على أشدها بين الملكانية واليعاقبة والنساطرة، وهى اليوم على أشدها بين الفرق القائمة فلا يكاد الإنسان يتصور العداة الذى بين الكاثوليك والبروتستانت، أو بينهم وبين الأرثوذكس، أو بين الموارنة والبروتستانت أو سواهم<sup>(٥٦)</sup> .

وَسَوْفَ يَنْبَهُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وسيجازيهم الله - يوم القيامة - بما صنعوا فى الدنيا من نكث العهد، ونقض الميثاق، وتحريفهم الكتاب الذى أنزل عليهم .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾

## المضردات:

نور: المراد به: محمد ﷺ .  
 كتاب مبين: هو القرآن .  
 سبل السلام: طرق النجاة والسلامة .

## التفسير:

١٥- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ .. الآية.

## سبب النزول:

أخرج ابن جرير، عن عكرمة أنه قال: إن نبي الله تعالى أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، فقال عليه الصلاة والسلام: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام، والذي رفع الطور، وبالمواثيق التي أخذت عليهم، حتى أخذه أكل: (رعدة) فقال: إنه لما كثر فينا؛ جلدنا مائة وحلقنا الرأس فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله تعالى الآية .

وتفيد كتب أسباب النزول أن التوراة كانت فيها عقوبة الرجم وأن الزنى لما كثر في أشراف اليهود أمسكوا عن تطبيق هذه العقوبة، ثم زنى رجل وامرأة من اليهود ولجأ اليهود إلى رسول الله ﷺ لينفذ حكم الله فيهما .

فطلب التوراة فأحضرها فوضعها الرسول ﷺ على وسادة وقال: أمنت بك وبمن أنزلك . وأثبت لهم الرسول ﷺ أن حكم الزاني المحصن هو الرجم، وأن هذا الحكم سبق أن جاءت به التوراة .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ...

الخطاب لليهود والنصارى:

أى: يا معشر أهل الكتاب، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ بالدين الحق يبين لكم الكثير مما كنتم تكتمونه فى كتابكم، من الإيمان به، ومن آية الرجم، ومن قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قرده، وغير ذلك مما كنتم تخفونه. وَيَقُولُ عَنْ كَثِيرٍ . أى: يتركه ولا يبينه، وإنما يبين لكم ما فيه حجة على نبوته وشهادة على صدقه، ولو ذكر كل شيء لفضحكم .

قال فى التسهيل: وفى الآية دليل على صحة نبوته: لأنه بين ما أخفوه وهو أسمى لم يقرأ كتبهم<sup>(١٦)</sup>

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ . وهو محمد ﷺ؛ لأنه أنار الطريق، ووضع السبيل إلى الحق، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيَ إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا . (الأحزاب: ٤٥، ٤٦)

وَكِتَابٌ مُبِينٌ . أى: كتاب واضح ظاهر الإعجاز وهو القرآن الكريم .

١٦- يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ . يهدى الله - بهذا القرآن - من يطلب رضوانه ويبحث عنه، ويقفوا أثره، ويهديه إلى سبل السلام الروحي بالاطمئنان إلى عقيدة واضحة سليمة .  
والى سبل السلام الدينى فلا يكون سببا فى تفرق الناس شيئا، وإلى سبل السلام الاجتماعى والإنسانى .  
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ . أى: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بتوفيقه وإرادته .  
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صراط الله الواحد المستقيم، الذى لا يتشعب ولا يتعرج ولا تضل فيه الخطوات .

★ ★ ★

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

التفسير:

١٧- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ... الآية

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسكنه الجنة وخلق حواء من آدم: لتكون له مسكناً وأمناً.  
فآدم مخلوق بدون أب أو أم، وحواء من أب دون أمّ وعيسى من أم دون أب . قال تعالى: **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** . (ال عمران: ٥٩)  
فقدرة الله على الخلق والإيجاد معروفة ملموسة، قال تعالى: **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** . (يس: ٨٢)

وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، ومن قدرة الله أن أتم خلق عيسى بواسطة نفخ جبريل في جيب درع مريم .

ولما كان خلق عيسى بدون أب، غلا فيه النصارى فزعموا أنه إله أو ابن الله، ولهذا القول الشنيع حكم القرآن عليهم بالكفر وردّ عليهم بما يبطل عقيدتهم حيث قال:

**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ...**

أى: قل لأولئك الكفار - يا محمد - من يقدر أن يمنع الله من شيء أراده .. ومن ذلك أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً؟ .. لا أحد يستطيع ذلك ... وهم يقرّون به .

وإذا كان المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولا عن أمه - شيئاً؟ فكيف يكون إلهاً وهو لا يستطيع دفع الهلاك عن نفسه ؟

يقول صاحب الظلال: العقيدة المسيحية انتهت إلى: أن تجعل المسيح هو الله - وإن كانت تقول: بالتثليث كذلك - باعتبار قولهم: الله الأب والله الابن، والله روح القدس، وتفسيرهم لهذا التعقيد بأن الله واحد ولكن الأقانيم ثلاثة موحدة في الله الواحد .. والإسلام يقول: **فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**. فيفرّق تفرقة مطلقة بين ذات الله، وذات عيسى رسول الله، ويقيم التوحيد كاملاً دقيقاً واضحاً لا يحتاج إلى تأويلات غامضة يعز على العقل قبولها: لأنه يعز عليه تصورهما من وراء تلك المعميات<sup>(٤٦)</sup>

**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**. فهو سبحانه وحده له ملك جميع الموجودات، وله وحده التصرف المطلق فيها، إحياء وإماتة وإيجاداً وإعداماً فلا شريك له في ذلك .

**يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** . أى: يبدع ما يشاء من المخلوقات - على أى صورة- وفقاً لحكمته جلا وعلا.

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وهو القادر على كل شيء من الخلق وغيره، ومن ذلك: أنه خلق عيسى من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم .

★ ★ ★

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ فَلَمَّ لِيَعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

سبب النزول،

روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن محمد بن إسحاق عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن أصاب، وبحري بن عمرو، وشاس بن عدى، فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الله وحده وحذرهم نعمته، فقالوا: ما نخوفنا يا محمد؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله فيهم:

١٨- وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ<sup>(١٨)</sup> ... الآية

أى: نحن من الله بمنزلة الأبناء من الآباء، ونحن أحباؤه؛ لأننا على دينه .

قال ابن كثير: أى: نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية وهو يحبنا .

قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ . أى: قل لهم - يا محمد - إن كنتم كما زعمتم: أبناء الله وأحباؤه، فلاى شيء يعذبكم بذنوبكم، وأنتم مقرون بأنكم ستعذبون على ما ارتكبتم من خطايا كما حكى القرآن عنكم:

وَقَالُوا لَن نَّمَسْنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً . (البقرة: ٨٠) وهذا يتنافى مع دعوكم القرب من الله ومحبه لكم؟! وإن فلا مزية ولا فضل لكم على سائر البشر ولستم بأبناء الله ولا بأحباؤه .

قال صاحب الظلال: واليهود والنصارى يقولون: إنهم أبناء الله وأحباؤه، فيزعمون لله تعالى بنوة - على تصور من التصورات إلا تكن بنوة الجسد فهى بنوة الروح، وهى أيا كانت تلقى ظلالا على عقيدة التوحيد - ويزعمون أن لله تعالى صلة بالخلق، لا تتبع من قيامهم بالحق، ولكن تتبع من عواطف خاصة من الله لذوات اليهود والنصارى<sup>(١٩)</sup> .

بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ . أى: ما أنتم إلا بشر كسائر البشر من خلق الله، من غير مزية لكم عليهم .

يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ. أَي: يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ. بما عمله من الطاعات، وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ. بما يقدمه من المعاصي، فالأمر كله موكل إلى سنته التي تسرى على الجميع سواء، ولا تعترضها عواطف خاصة، ولا صلوات شخصية، وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا. فهو مالك الجميع وخالق الجميع والمتصرف في الجميع، وهذه هي الصلة العامة التي تربط كل المخلوقات به، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. ومصير البشر جميعا ومرجعهم إليه تعالى وحده فيجازى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

وليس له - سبحانه وتعالى - من خلقه بنون ولا بنات، وليس لأحد عنده من فضل أو مزية على غيره إلا بالإيمان والعمل الصالح.

وفى الأثر: الخلق كلهم عيال الله، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح. قال تعالى: فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. (الزلزلة: ٧،٨)

★ ★ ★

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ وَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

المضردات:

فترة من الرسل، أي: بعد مدة خلت من الرسل.

التفسير:

١٩- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ...

أرسل الله محمدا ﷺ بعد فترة من انقطاع الرسل: ليصحح لأهل الكتاب دينهم ويرشدهم إلى الجادة والصواب.

وقد ولد ﷺ سنة ٥٧٠ ميلادية.

ثم أنزل الله عليه الوحي والرسالة سنة ٦١٠ ميلادية.

ثم هاجر من مكة إلى المدينة سنة ٦٢٣ ميلادية.

ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى سنة ٦٣٣ ميلادية.

وكان عمره الشريف ٦٣ سنة.

أى: أن الفترة بين ميلاد المسيح وميلاد الرسول ﷺ ستة قرون إلا قليلا .

قال ابن كثير: والمقصود أن الله بعث محمدا ﷺ على فترة من الرسل، وطموس السبل، وتغيير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان قد ظهر فى سائر العباد<sup>(٤٦)</sup> .

يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ. يوضح لكم ما اندرس من أحكام، ويبلغكم ما احتاج إليه العصر من شرع جديد، ويصحح ما حدث فى كتبكم من تحريف .

روى البخارى عن أبى هريرة أنه ﷺ قال:

«أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه ليس بينى وبينه نبي»<sup>(٤٧)</sup>

أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ. أى: لئلا تحتجوا وتقولوا: ما جاءنا من بشير يبشر بالخير وينذر من الشر، فقد جاءكم البشير والنذير محمد ﷺ .

قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . (الأحزاب: ٤٥)

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

قال ابن جرير: أى: قادر على عقاب من عصاه وثواب من أطاعه .

★ ★ ★

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَالَهُمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُورِ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَالِي الْأَرْضِ فَنَنْقَلِبُ إِلَى الَّذِينَ أَنْهَى اللَّهُ عَنِهَا ﴾

المضردات:

ملوكا: أحرارا، عندكم ما تملكون به من أموركم، بعد أن كنتم مملوكين للفراعة .

المقدسة: المعظمة، حيث جعلت مسكن الأنبياء .

ترتدوا على أديباركم: ترجعوا على أعقابكم: بعدم امتثال ما أمرتم به .

## التفسير:

٢٠- وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ... الآية

من شأن القرآن أن يلون في الموعظة، وأن ينتقل القارئ من الخطاب إلى الغائب: ترويحاً للنفس وتنشيطاً للذهن .

والمعنى: واذكر لهم - أيها الرسول - ما حدث من أسلافهم وقت أن قال موسى - عليه السلام - لقومه ناصحاً لهم:

يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . تذكروا إنعام الله عليكم، وموسى يذكرهم بألوان النعم التي تفضل الله بها عليهم. ومنها على سبيل المثال:

- ١- فجر الله لهم من الصخر ينابيع في جوف الصحراء .
  - ٢- أنزل الله عليهم المن والسلوى طعاماً سائغاً من أيسر سبيل .
  - ٣- أرسل إليهم الرسل والأنبياء .
  - ٤- فضّلهم على عالمي زمانهم حين اتبعوا أمر التوراة والتزموا بتعاليم السماء .
  - ٥- نجاهم من فرعون وأغرق فرعون وقومه .
  - ٦- ملكهم شئون أنفسهم بعد أن كانوا عبيداً لفرعون يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم فنجاهم منه وجعل أمر أنفسهم بأيديهم .
  - ٧- أنزل التوراة على موسى وفيها الهداية والرحمة لهم .
- إلى غير ذلك من النعم؛ ومنها أيضاً قصة البقرة التي أمروا بذبحها وضرب قتيل بذنبها فيقوم ويقول: قتلنى فلان .

إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلْكُمْ مُلُوكًا . أى: لأنه جعل فيكم أنبياء كثيرين، ولم يبعث فى أمة من الأمم من الأنبياء مثل ما بعث فى بنى إسرائيل .

وَجَعَلْكُمْ مُلُوكًا . أى: جعلكم أحراراً تملكون أمر أنفسكم وأموالكم، بعد أن كنتم عبيداً مستذلين لفرعون وجنده .

وقال عبد الرزاق عن ابن عباس فى قوله: وَجَعَلْكُمْ مُلُوكًا .

قال: الخادم والمرأة والبيت .



وعنه قال: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار؛ سمي ملكا .

وقال الحسن البصرى: هل الملك إلا مركب وخادم ودار، رواه ابن جرير .

وقال السدى فى قوله: وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا، قال: يملك الرجل منكم نفسه وماله وأهله. وقد ورد فى الحديث: «من أصبح منكم أمنا فى سربه، معافى فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» .<sup>(١٥٨)</sup>

وروى ابن جرير الطبرى، أن رجلا قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: ألسنا من فقراء المهاجرين؟

فقال عبد الله له: ألك امرأة تأوى إليها؟ قال نعم .

قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم .

قال: فأنت من الأغنياء .

فقال الرجل: إن لى خادما، قال: فأنت من الملوك .

وَأَتَاكُمْ مَالٌ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ . وَأَعْطَاكُمْ مِّنَ النِّعَمِ مَا لَمْ يَعْطِ غَيْرَكُمْ مِّنَ الْعَالَمِينَ، إذ نجاكم من عدوكم، وشق البحر لكم، وأغرق فرعون وجنوده، وأظلمك بالغمام، وأنزل عليكم المن والسلوى وغير ذلك .

٢١- يَأْتِيهِمْ إِذْ دَخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ... أَى: ادخلوا بيت المقدس وماحوله، ويقال

لها: إيليا وتفسيرها: بيت الله.

الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ . أَى: قدر لكم دخولها؛ لتنشروا التوحيد بين أهلها . وموسى بهذا يستحثهم

على الجهاد والشجاعة والكرامة؛ ليستردوا بيت المقدس من يد العماليق .

وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ .

وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ . أَى: ولا تنكصوا عن الجهاد، وقد حذر القرآن من التخلّى عن الجهاد

والفرار من الميدان، وعبر عن الفرار بصورة زرية، صورة إنسان يفرّ من الميدان ويعطى العدو دبره.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ \* وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ

إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَعَدَّ بَاءٌ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ . (الأنفال: ١٥، ١٦)

فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . فترجعوا خاسرين فى دنياكم وأخراكم .

قال في التسهيل: روى أنه لما أمرهم موسى بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها، وهموا أن يرجعوا إلى مصر<sup>(٢٢)</sup>.

★ ★ ★

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَغَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فِتْنَتُكُمْ وَإِن كُنْتُمْ مَوَٰمِنِينَ ﴿٢٣﴾

المضردات:

جَبَّارِينَ: جمع جبار، وهو العاتى الذى يقهر الناس ويجبرهم على ما يريد منه .

التفسير:

٢٢- قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ . أى: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: إن الأرض التى وعدتنا بدخولها فيها قوم متغلبون على كل من يقاوتهم، ولا قدرة لنا على لقائهم - وهم الكنعانيون ومن جاورهم - وإننا لن ندخل هذه الأرض المقدسة مادام هؤلاء الجبارون فيها .

فإن يخرجوا منها لأى سبب من الأسباب التى لا شأن لنا بها: فإننا ندخلها دون حرب وقتال.

وهذا مطلب عجيب، إذ كيف يخرج أهل البلد الأقوياء الجبارون من بلدهم طواعية، ليدخلها هؤلاء الجبناء فاتحين<sup>(٢٣)</sup>.

٢٣- قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ... الآية

أى قال رجلان من الذين يخافون الله، قد أنعم الله عليهما بنعمة التوفيق والسداد، والمراد بالرجلين: يوشع بن نون، وكالب بن يوقنا، وكانا من الاثنى عشر نقيباً .

ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ . أى: قال الرجلان اللذان يخافان الله لقومهما: ادخلوا على أعدائكم باب مدينتهم وفاقبهم بسيفوكم، وياغتوهم بقتالكم إياهم، ولا تدعوا لهم فرصة للتفكير والاستعداد لكم.

فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ غَالِبُونَ . فإذا فعلتم ذلك: أحرزتم النصر عليهم، وأدرتكم الفوز، فإنه «ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا» .

قال الزمخشري: فإن قلت من أين علما أنهم غالبون؟ قلت: من جهة إخبار موسى بذلك، ومن جهة قوله تعالى: كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ. وقيل: من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصر رسله، وما عهد من صنع الله لموسى في قهر أعدائه، وما عرفنا من حال الجبابرة<sup>(٣١)</sup>.

وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. أى: اعتمدوا على الله في قتال أعدائكم بعد أخذ العدة وتوفير الأسباب فالتوكل أخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله تعالى، وبدون الأخذ بالأسباب يعتبر ذلك توكلا، والتوكل مدعاة للهزيمة.

إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. أى: إن كنتم مؤمنين بالله حق الإيمان مصدقين بوعدته واثقين بنصره.

★ ★ ★

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِجُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

المضردات:

فافرِقْ، فافصل.

الفاَسِقِينَ، الخارجين عن الطاعة.

يتيهُون في الأرض، يتحIRON ولا يهتدون.

فلا تأس، فلا تحزن.

التفسير:

٢٤ - قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ... الآية

أى: قالوا غير عابئين بالنصيحة، بل معلنين العصيان والمخالفة: يا موسى، إننا لن ندخل هذه الأرض التي أمرتنا بدخولها في أى وقت من الأوقات ما دام هؤلاء الجبارون يقيمون فيها: لأننا لا قدرة لنا على مواجهتهم: فاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ.

أى: فإن كنت مصمما على دخول الأرض المقدسة، فانهب أنت وربك لقتال سكانها الجبابرة وإخراجهم منها - وكأنهم يصورون الله بأنه إله موسى وحده، وليس إله للجميع - أما نحن فإننا هاهنا قاعدون منتظرون وهو تأكيد منهم لعدم دخول تلك الأرض .

أى: إنا هاهنا قاعدون فى مكاننا لن نبرحه، ولن نتقدم خطوة إلى الأمام؛ لأن كل مجد وخير يأتيانا عن طريق قتال الجبارين، فنحن فى غنى عنه ولا رغبة لنا فيه .

٢٥- قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . أى: قال موسى بأنا شكوا وحرزنا إلى الله، ومعتذراً إليه من فسوق قومه وسفاهتهم وجبنهم:

رب، إنك تعلم أنى لا أملك لنصرة دينك أمر أحد إلزمه بطاعتك سوى أمر نفسى، وأمر أخى هارون، ولا أحد من هؤلاء الجبناء أستطيع أن أحمله على الطاعة والاستجابة إلى ما دعوتُ إليه .

فَأَفْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . أى: إن قومى قد خرجوا عن طاعتي، وفسقوا عن أمرك وما دام هذا شأنهم؛ فافصل بيننا وبينهم بقضائك العادل، بأن تحكم لنا بما نستحق، وتحكم عليهم بما يستحقون، فإنك أنت الحكم العدل بين العباد .

٢٦- قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ... الْآيَةَ

يتيهون فى الأرض من التيه وهو الحيرة، يقال: تاه يتيه ويتوه إذا تحير وضل الطريق، ووقع فلان فى التيه أى: فى مواضع الحيرة .

فَلَا تَأْسَ . أى: فلا تحزن عليهم من الأسى وهو الحزن، يقال: أسى - كعجب - أى: حزن. فهو أسين مثل حزين، وأسا على مصيبتهم - من باب عدا - أى: حزن .

أى: قال الله تعالى: يا موسى، إن الأرض المقدسة محرمة على هؤلاء الجبناء العصاة مدة أربعين سنة، يسIRON خلالها فى الصحراء تائهين حيارى لا يستقيم لهم أمر ولا يستقر لهم قرار، جزاء جبنهم وضعفهم عن لقاء الأعداء، واستهانتهم بأوامر الله .

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . فلا تحزن يا موسى على هؤلاء الجبناء، إذ عوقبوا بهذه العقوبة فإننا ما عاقبناهم بهذه العقوبة إلا بسبب خروجهم عن طاعتنا، وتمردهم على أوامرنا، وجبنهم عن قتال أعدائنا، وسوء أدبهم مع أنبيائنا .

من تفسير الفخر الرازي:

جاء في تفسير الفخر الرازي ما يأتي:

اختلف الناس في أن موسى وهارون عليهما السلام هل بقيا في التيه أو لا ؟

فقال قوم: إنهما ما كانا في التيه؛ لأن موسى دعا الله أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين، ودعوات الأنبياء مجابة، ولأن التيه كان عذابا والأنبياء لا يعذبون .

وقال آخرون: إنهما كانا مع القوم في ذلك التيه، إلا أن الله سهل عليهما ذلك العذاب كما سهل النار على إبراهيم فجعلها برداً وسلاماً .. وإنهما قد ماتا في التيه وبقي يوشع بن نون - وكان ابن أخت موسى ووصيه بعد موته - وهو الذي فتح الأرض المقدسة بعد انقضاء مدة التيه .

وقيل: بل بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين وقهرهم وأخذ الأرض المقدسة<sup>(١٧)</sup>.

**ملاحق بتفسير الآيات :**

١- يدعى اليهود أن الأرض المقدسة حق لهم بدليل قوله تعالى: اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ .

والجواب: أن الله كتب لهم دخولها بشرط الجهاد والطاعة، ولكنهم تناقلوا عن الجهاد وامتنعوا عن دخول الأرض المقدسة بالجهاد والكفاح فحرمها الله عليهم .

قال الفخر الرازي: إن الوعد بقوله: الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ . مشروط بقيد الطاعة، فلما لم يوجد الشرط لا جرم لم يوجد المشروط<sup>(١٨)</sup> .

وبذلك ترى أن دعوى اليهود بأن الأرض المقدسة ملك لهم، بدليل قوله تعالى: كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ . لا أساس لها من الصحة، ولا يشهد لها عقل أو نقل .

٢- لماذا كانت مدة التيه ٤٠ سنة .

الجواب عن ذلك: أن بنى إسرائيل قد نشأوا في الذل وتعودوا المهانة، ولذلك امتنعوا عن قتال الجبارين، وعن دخول الأرض المقدسة؛ فكتب الله عليهم التيهان في قطعة محدودة من الأرض، لا يعرفون لهم هدفاً أو مقراً، وأن يستمروا على تلك الحال ٤٠ سنة، حتى يغنى جيل الذل والقهر وينشأ جيل عزيز قادر على المطالبة والتغلب .

ولقد كان بنو إسرائيل - في هذا الوقت - في سيناء - ثم إن اليهود لما دخلوا فلسطين - بعد هذه العقوبة - مكتوا فيها مدة محدودة، ثم أشركوا بالله، وأفسدوا في الأرض فسلط الله عليهم من ينتقم منهم ويطردهم من بيت المقدس .

٣- من مقدمة ابن خلدون:

قال ابن خلدون: ويظهر من مساق قوله تعالى: **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ...**

ومن مفهومه أن حكمة ذلك التيه مقصودة، وهى فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر، وأفسدوا من عصبيتهم، حتى نشأ فى ذلك التيه جيل آخر عزيز لا يعرف القهر ولا يسام بالمذلة، فنشأت لهم بذلك عصبية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب، ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتى فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر، فسبحان الحكيم العليم ...<sup>(١٤)</sup>.

### حكمة عقوبة التيه لبني إسرائيل؛

جاء فى تفسير المنار للسيد رشيد رضا ما يأتى:

«إن الشعوب التى تنشأ فى مهد الاستبداد وتساس بالظلم والاضطهاد، تفسد أخلاقها، وتذل نفوسها .. . وإذا طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثية ومكتسبة، حتى تكون كالفرائز الفطرية، والطباع الخلقية، وإذا أخرجت صاحبها من بيتها، ورفعت عن رقبته نيرها، ألفتها ينزع بطبعه إليها، وتقلت منك ليقتحم فيها، وهذا شأن البشر فى كل ما يألّفونه، ويجرون عليه من خير وشر، وإيمان وكفر ...»

أفسد ظلم فرعون فطرة بنى إسرائيل فى مصر، وطبع عليها بطابع المهانة والذل. وقد أراهم الله - تعالى - من الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته وصدق رسوله موسى - عليه السلام - وبين لهم أنه أخرجهم من مصر؛ لينقذهم من الذل إلى الحرية ... ولكنهم كانوا مع هذا كله إذا أصابهم ضرر يتطيرون بموسى، ويذكرون مصر ويحنون إليها ...

وكان الله - تعالى - يعلم أنهم لا تطاوعهم أنفسهم المهينة على دخول أرض الجبارين، وأن وعده - تعالى - لأجدادهم إنما يتم على وفق سنته فى طبيعة الاجتماع البشرى، إذا هلك ذلك الجيل الذى نشأ فى الوثنية والعبودية ... ونشأ بعده جيل جديد فى حرية البداوة . وعدل الشريعة، ونور الآيات الإلهية، وما كان الله ليهلك قوما بذنوبهم، حتى يبين لهم حجته عليهم، ليعلموا أنه لم يظلمهم وإنما يظلمون أنفسهم .

وعلى هذه السنة العادلة أمر الله - تعالى - بنى إسرائيل بدخول الأرض المقدسة، فأبوا واستكبروا؛ فأخذهم الله بذنوبهم . وأنشأ من بعدهم قوما آخرين ...

فعلينا أن نعتبر بهذه الأمثال التى ضربها الله لنا، وأن نعلم أن إصلاح الأمم من بعد فسادها بالظلم والاستبداد . إنما يكون بإنشاء جيل جديد يجمع بين حرية البداوة واستقلالها وعزتها، وبين معرفة الشريعة والفضائل والعمل بها «<sup>(١٥)</sup> .

## خاتمة

فى هذه الآيات تسلية للرسول ﷺ بذكر تاريخ اليهود وبيان عاداتهم وعادات أسلافهم، ونكولهم عن الجهاد، وضعفهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم، مع أن بين أظهرهم كليم الله وصفيه من خلقه فى ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم<sup>(٣١)</sup>.

قال الإمام ابن كثير: وما أحسن ما أجاب به الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر رسول الله ﷺ حين استشارهم فى قتال قريش فقد قالوا فأحسنوا .

لقد قال المقداد بن الأسود: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتل إنا هنا قاعدون. ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكما مقاتلون<sup>(٣٢)</sup>.

★ ★ ★

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِيَدَيْكَ لِأَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوَآيَتِي وَإِيَّكَ فَتَكُونَ مِنَّا أَصْحَابَ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

## المضردات:

واتل عليهم: وأقرأ على اليهود والنصارى . أو على أمتك يا محمد .

نبا ابني آدم: خبرهما .

قرباننا: القربان: ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة أو صدقة أو نحوهما .

بسطت: مددت .

تبوء: ترجع .

بإسمى وإشمتك: بذنبي وذنبيك .

## التفسير:

٢٧- وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ...

- الضمير فى عليهم: يعود على بنى إسرائيل أو على جميع الذين أرسل الرسول ﷺ لهدياتهم.

- والقربان: اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من صدقة أو غيرها، ويطلق في أكثر الأحوال على الذبائح التي يتقرب إلى الله تعالى بذبحها .

وإخلاصة ما ذكرته كتب التفسير <sup>(٩٨)</sup> .

أن حواء أم البشرية كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى، وكان آدم عليه السلام يزوج ذكر بطن لأنثى بطن آخر ولا يحل للذكر زواج توأمته .

فولد مع قابيل أخت جميلة وولد مع هابيل أخت دون ذلك؛ فأبى قابيل إلا أن يتزوج توأمته لا توامة هابيل، وأن يخالف سنة النكاح، وقال: أنا أحق بتوأمى من هابيل ولم يكثر بزجر أبيه إياه، فدعاهما آدم أن يقربا قربانا إلى الله، وذكر لهما أن من قبل الله قربانه فهو صاحب الحق في التزوج بالأخت الجميلة .

فقدم قابيل زرعاً - وكان صاحب زرع - وقدم هابيل كبشاً - وكان صاحب غنم فتقبل من أحدهما وهو هابيل، ولم يتقبل من الآخر وهو قابيل، وكانت علامة التقبل أن تأكل نار نازلة من السماء القربان المتقبل وتترك غير المتقبل <sup>(٩٩)</sup> .

وتأكد بذلك حق هابيل في الزواج من توأم قابيل؛ فحقد قابيل على هابيل وقتله، وكان ذلك أول قتل يقتل على ظهر الأرض .

معنى الآية:

وائل - يا محمد - على اليهود أو على أمتك وعلى الناس جميعا خبر ابني آدم: قابيل وهابيل بالحق والصدق حين قدم كل منهما إلى الله قربانا، ولم يكونا على درجة واحدة من الإخلاص فيما تقربا به، فتقبل الله قربان المخلص، ولم يتقبل قربان غيره؛ فامتلاً قلبه غيظاً وحسداً على أخيه التقى الذي قبل قربانه، مع أنه لا ذنب لللقى في رفض الله قربان الشقى؛ لأن المذنب هو الشقى بعدم إخلاصه لله تعالى . ثم حكى سبحانه ما دار بين الأخوين:

قَالَ لِأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَيْ: قَالَ الشَّقِيُّ لِأَخِيهِ التَّقِيُّ: وَاللَّهُ لِأَقْتُلَنَّكَ بِسَبَبِ قَبُولِ قَرْبَانِكَ . وَقَدْ أَكَّدَ الشَّقِيُّ كَلَامَهُ بِإِلَامِ الْقَسَمِ وَنَوَّنَ التَّوَكِيدَ . قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَيْ: قَالَ التَّقِيُّ لِأَخِيهِ: إِنَّهُ لَا ذَنْبَ لِي فِي قَبُولِ قَرْبَانِي، وَإِنَّمَا الذَّنْبُ ذَنْبِكَ فِي عَدَمِ إِخْلَاصِكَ وَعَدَمِ تَقْوَاكَ وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي رَفْضِ قَرْبَانِكَ وَقَبُولِ قَرْبَانِي .

قال الزمخشري: فإن قلت كيف كان قوله: إنما يتقبل الله من المتقين جواباً لقوله: لأقتلنك . قلت: لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على نوعه بالقتل، قال له: إنما أتيت من قبل



نفسك لانسلاخها من لباس التقوى، لا من قبلى، فلم تقتلنى؟ وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هى السبب فى القبول؟ فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان، وفيه دليل على أن الله تعالى - لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق .

٢٨- لَنْ يَسْطُرَ إِلَيَّ يَدُكَ لِقَتْلِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

أى: تالله لئن مددت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك: لأننى أخاف عقوبة الله رب العالمين إن أنا قتلتك، والآية الكريمة تصوّر ما بين الأخيار والأشرار من تضادّ، فقابيل مصمم على قتل أخيه، وهابيل مصمم على عدم العدوان؛ خوفا من الله منشئ الكون وصاحب النعم وهو سبحانه حرّم قتل النفس، لقد كان هابيل حكيما فى تحرك كل معانى الخير فى نفس قابيل وتذكيره بأن القاتل لا يخاف الله، ولا يمثل أمره .

جاء فى تفسير الألوسى:

قيل: كان هابيل أقوى من قابيل، ولكنه ترحّج عن قتله واستسلم له؛ خوفا من الله تعالى؛ لأن المدافعة لم تكن جائزة فى ذلك الوقت، وفى تلك الشريعة، أو تحريا لما هو الأفضل، والأكثر ثوابا وهو كونه مقتولا لا قاتلا .

٢٩- إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ .

هابيل بهذه الآية يتوجّ نصائحه السابقة فقد نصحه ولوّن فى عرض نصائحه على النحو الآتى:  
أولا: أرشده إلى أن الله تعالى يتقبل الأعمال من المتقين لله الممثلين لأمره.

ثانيا: أرشده إلى حقوق الأخوة وما تقتضيه من مودة وتسامح .

ثالثا: بين له أنه لا يمنعه من بسط يده إليه بالقتل إلا الخوف من الله رب العالمين .

رابعا: أرشده إلى أن ارتكابه لجريمة القتل سيؤدى به إلى عذاب النار يوم القيامة بسبب قتله لأخيه ظلما وحسداً .

ومعنى الآية:

إنى أريد باستسلامى لك، وعدم قتلك - ابتداء أو دفاعاً - أن ترجع بإثم قتلك لى، وإثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك، وإذا أصررت على قتلى، ولم تخف رب العالمين، فإنك ستكون بذلك من أصحاب النار الملازمين لها، وهذا عقاب الظالمين المعتدين .

وهو يريد بكل ذلك أن يوقظ ضميره، وأن يعلمه بالمصير المحزن الذي ينتظر القاتلين وأنه لا ينبغي لأخ أن يقاتل أخاه .

★ ★ ★

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِرَبِّهِ، كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَبِجَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

المضردات:

فطوَّعت: فسهلت ويسرت .

يبحث في الأرض: أى: يحفر فى الأرض

سوءة أخيه: السوءة فى الأصل: العورة. والمراد بها هنا: جسد أخيه الذى قتله .

ياويـلتسا: كلمة جزع وتحسر، والويلة والويل بمعنى: الهلكة. كأنه ينادى هلاكه ليحل به؛ لينقذه مما حل به من الدواهي .

من أجل ذلك: أى: بسبب ذلك .

بالبيِّنات: بالحجج الواضحات

لمسرفون: لمجاوزون الحد فى الطغيان

التفسير:

٣٠- فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

أى: سهلت له نفسه العدوان والقتل. فقتل شقيقه ظلماً عمداً فأصبح من الخاسرين فى الدنيا؛

لقتله الأخ الذى يجب أن يحميه ويدافع عنه، وأصبح من الخاسرين فى الآخرة لارتكابه جريمة القتل

وإزهاق الروح .

وفى الأثر: الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيان الله .

والآية تصور صراع النفس أمام هذه الحادثة، فالحسد والعدوان يدعوانه إلى القتل، ولكن الضمير ودواعي الخير يحذرانه من القتل، بيد أن النفس الأمارة بالسوء يسرت له العدوان، وهونته عليه حتى اقترف جريمة القتل .

قال القرطبي:

قوله: فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ . أى: سَوَّلَتْ وسهلت نفسه له الأمر وشجعتة وصورت له أن قتل أخيه طوع سهل، يقال: طاع أى: سهل وانقاد «وطوعه فلان له أى: سهله»<sup>(٣٠)</sup> .

فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . لقد خسر الدنيا بقتل أخيه وشقيقه الذى هو رحم يجب أن يصلها، وخسر الآخرة: لأن القاتل عمدا يصلى جهنم يتلظى بعذابها .

قال الألوسى: أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه .

قال: قال رسول الله ﷺ:

« لا تقتل نفس ظلما؛ إلا كان على ابن آدم الأول كفل فى دمها؛ لأنه أول من سنَّ القتل»<sup>(٣١)</sup>

وأخرج ابن جرير والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر - رضى الله عنه - قال: إننا لنجد ابن آدم القاتل، يقاسم أهل النار العذاب، عليه شطر عذابهم<sup>(٣٢)</sup> .

٣١- فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ...

تحير القاتل بعد أن ارتكب جريمته، ورأى جثة أخيه أمامه فى العراء، معرضة لنهش السباع والطيور، ولم يكن الدفن معروفا للبشرية قبل هذه الحادثة، التى راح ضحيتها - لأول مرة - إنسان كان مملوءاً حيوية ونشاطاً، فأصبح جثة هامدة، يتسرب إليها العفن، ويسرع إليها النتن ويؤذى ريحها الأنوف .

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ . أى: يحفر وينبش بمنقاره ورجليه متعمقا فى الأرض .

لِيُرِيَهُ . أى: ليعلم ذلك القاتل ويعرفه .

كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ . كيف يستر فى التراب جسم أخيه بعد أن فارقتة الحياة .

قال القرطبي: قال مجاهد: بعث الله غرابين فاقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم حفر فدفنه؛ ففعلم قابيل ذلك من الغراب، وكان ابن آدم هذا أول من قتل<sup>(٣٣)</sup> .

قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أُخِي. أَى: فنادى قابيل متحسراً جزعاً يا ويلتا، وكلمة: يا ويلتا: أصلها يا ويلتى، وهى كلمة جزع وتحسّر تستعمل عند وقوع المصيبة العظيمة، كأن المتحسر ينادى ويلته ويطلب حضورها بعد تنزيلها منزلة من ينادى .

أى: قال القاتل لأخيه ظلماً: يا فضيحتى، ويلتى أقبلى، فهذا وقتك؛ لأننى قد نزلت بى أسبابك .  
والنفث قابيل للغراب قال:

أضعفت عن الحيلة التى تجعلنى مثل هذا الغراب، فأستر جسد أخى فى التراب كما دفن الغراب بمنقاره ورجليه فى الأرض ما أراد دفنه .

فَأَصْبَحَ مِنَ الْبَادِمِينَ . أَى: ندم قابيل على قتل أخيه بعد ما رأى وعاش فى آثار جريمته، قال صاحب المنار: والندم الذى ندمه قابيل، هو ما يعرض لكل إنسان عقب ما يصدر من الخطأ فى فعله، إذا ظهر له أن فعله كان شراً له لا خيراً، وقد يكون الندم توبة إذا كان سببه الخوف من الله، والتألم من تعدى حدوده، وهذا هو المراد بحديث «الندم توبة»<sup>(٧٤)</sup> .  
وأما الندم الطبيعى الذى أشرنا إليه، فلا يعدّ وحده توبة<sup>(٧٥)</sup> .

٣٢- مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ... الآية

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . أَى: من أجل المذكور فى تضاعف قصة بنى آدم، أو من أجل فظاعة القتل ظلماً وسوء آثاره فى الدنيا والآخرة قضينا وأوجبنا على بنى إسرائيل فى كتابهم أَنَّهُ أَى: الحال والشأن من قَتَلَ نَفْسًا . واحدة من النفوس الإنسانية بِغَيْرِ نَفْسٍ . توجب القصاص . أو بغير فساد فى الأرض يوجب القصاص كالردة وزنى المحصن، وقيل: الفساد فى الأرض: قطع الطريق، وسفك الدماء، وهتك الحرم، ونهب الأموال، والبغى على عباد الله بغير حق، وهدم البنيان وتغيير الأنهار .

فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا . إذ النفس الواحدة تمثل النوع الإنسانى كله، فالجراًة على قتل نفس بغير حق عدوان على الجنس آدمى كله، وعن مجاهد قال: المعنى: أن الذى يقتل النفس المؤمنة متمعداً جعل الله جزاءه جهنم، وغضب عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً، فلو قتل الناس جميعاً لم يزد على هذا .

وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا . أَى: ومن أحيا نفساً ليس عليها قصاص ولا حد بأن أنقذها

من التهلكة أو الغرق أو الحرق أو الهدم، أو عفا عن وجب قتله أو حال دون قتل نفس ظلما بالنصيحة أو القوة .

فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا أَي: وجب على الكل شكره، وقيل: كأنما أحيا الناس جميعا في الأجر .  
وفي هذه الآية الكريمة أسمى ألوان الترغيب في صيانة الدماء وحفظ النفوس من العدوان عليها، حيث شبه سبحانه قتل النفس الواحدة بقتل الناس جميعا وإحياءها بإحياء الناس جميعا .  
وبعض المفسرين يرى أن المراد بالنفس الواحدة، نفس الإمام العادل: لأن القتل في هذه الحالة يؤدي إلى اضطراب أحوال الجماعة، وإشاعة الفتنة فيها .

قال القرطبي: روى عن ابن عباس أنه قال: من قتل نبيا أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياه بأن شد عضده ونصره فكأنما أحيا الناس جميعا<sup>(٣٧)</sup> . وجمهور المفسرين على عموم معنى الآية وشمولها لكل نفس إنسانية .

وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمْسِرْفُونَ . أَي: ولقد جاءت رسلنا لبني إسرائيل بالآيات البينات، والمعجزات الواضحات .

ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ . أَي: بعد الذي كتبناه عليهم من شرائع، وبعد مجيء الرسل إليهم بالبينات.  
فِي الْأَرْضِ لُمْسِرْفُونَ . أَي: مسرفون في قتل الناس غير مبالين به، وفائدة ذكر في الأرض لتوضيح أن إسراف بني إسرائيل في القتل والمعاصي لم يكن فيما بينهم فحسب، بل انتشر شره في الأرض، ونحن إلى الآن نشاهد أصابع اليهود وراء أنواع القتل والاغتيال، وإثارة الفتن والحروب بين الناس .

ولا يزالون يسرفون في القتل ويفسدون في الأرض، وتسمع الآن ثورة أطفال الحجارة، وعدوان اليهود على العرب والمسلمين في فلسطين مع إسراف في القتل وعدوان على الأطفال الأبرياء .

وسياتى في الآية ٦٤ من سورة المائدة قوله تعالى: كَلِمًا أَرْقَدُوا نَارًا لِلنَّحْرِبِ أَطْفَالَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فِسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ .

### ملاحق بتفسير الآية

١- خص الله بني إسرائيل بالذكر في هذه الآية: لكثرة سفكهم للدماء، وقتلهم الأنبياء، ولأن الحسد كان منشأ جريمة القتل، والحسد غالب عليهم .

٢- قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

فإن قلت: كيف شبه الواحد بالجميع، وجعل حكمه كحكمهم؟ قلت: لأن كل إنسان يدلى بما يدلى به الآخر من الكرامة على الله، وثبوت الحرمة، فإذا قتل فقد أمين ما كرم على الله، وهتكت حرمة، وعلى العكس، فلا فرق إذاً بين الواحد والجميع في ذلك.

★ ★ ★

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَبَوْا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

المضردات:

يحاربون الله ورسوله، المحارب: من يحمل السلاح على الناس في البر أو البحر أو الجو، دون إثارة منهم له. والمغتال كالمحارب. ويشمل القراصنة في البر والبحر والجو، كقطاع الطرق ...

ويسعون في الأرض فساداً، أى تمردا على ما شرعه الله من الأمن والطمأنينة للإنسانية كلها.

أو ينضوا من الأرض، المقصود بالأرض: الأرض التي يكتسبون فيها نفوذاً حراماً. ينفون منها إلى حيث لا نفوذ لهم، ولو سجناء. سَلًا للجريمة.

التفسير

٣٣- ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ... الآية

لما بين الله - قبل هذه الآية - أن قتل النفس الواحدة له خطورته عند الله تعالى، وأنه يعتبر - عنده - كقتل الناس جميعاً، أتبع ذلك هذه الآية الكريمة، التي تضمنت من التشريع، ما يردع المعتدى الأثيم، ويكفه عن ترويع الناس والإفساد فيما بينهم. فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ .

والآية نزلت في قطاع الطريق: كما قاله كثير من المفسرين والفقهاء، وأصحاب الرأي .. نقل ذلك الطبرسي وغيره .

والمقصود من محاربتهم الله ورسوله: قطعهم الطريق على الناس، وإفسادهم في الأرض وترويع الأمنين .

وجعل عملهم هذا حرباً لله ورسوله: إنما هو لتمردهم على ما شرعه الله سبحانه وتعالى، من وجوب الكف عن إيذاء الناس، وتوفير أسباب الأمن والسلام لهم .

المعنى: أفادت الآية، أن الذين يسعون في الأرض فساداً، بقطعهم الطريق على الناس: يسلبونهم أموالهم أو أعراضهم أو يقتلونهم، أو يقطعون أطرافهم - يعاقبون بتقتيلهم أو تصليبهم<sup>(٧٧)</sup> أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو نفيهم من الأرض .

وبيان ذلك في مسائل:

١- أن وصف المحارب لله ورسوله، يطلق على من حمل السلاح على الناس في مدينة أو قرية، أو في طريق أو صحراء، وكابرههم عن أنفسهم وأموالهم، دون إثارة منهم له، أو ثأر أو عداوة .

٢- أن المغتال كالمحارب، وهو أن يحتال في قتل إنسان؛ ليأخذ ماله وإن لم يشهر السلاح . بأن دخل عليه بيته، أو صحبه في سفر فأطعمه سماً فقتله، فَيُقْتَلُ حَداً لا قَوداً أي: يقتل قصاصاً .

٣- اختلف العلماء في حكم المحارب . فمنهم من قال: يعاقب بقدر ما فعل. فمن أخاف السبيل وأخذ المال: قُطِعَت يده ورجله من خلاف . وإن أخذ المال وقتل: قُطِعَت يده ورجله ثم صُلبَ وقتل. فإذا قُتِلَ ولم يأخُذِ المال: قُتِلَ . وإن لم يأخُذِ المالَ ولم يُقْتَلْ: نُفِيَ . وبهذا قال النخعي، وعطاء وغيرهم .

وقال أبو يوسف: إذا أَخَذَ المالَ وَقُتِلَ: صُلبَ وَقُتِلَ على الخشبة .

قال الليث: بالحربة: مصلوباً .

وقال أبو حنيفة: إذا قُتِلَ: قُتِلَ . وإذا أَخَذَ المالَ ولم يُقْتَلْ: قُطِعَت يده ورجله من خلاف، وإذا أَخَذَ المالَ وَقُتِلَ: فالسلطان مخير فيه: إن شاء قطع يده ورجله، وإن شاء لم يقطع وقتله وصلبه .

وقال الشافعي: إذا أَخَذَ المالَ: قُطِعَت يده اليمنى، وحسبت<sup>(٧٨)</sup> ثم قُطِعَت رِجْلُهُ اليسرى وحسبت . وخلص سبيله؛ لأن هذه الجناية زادت على السرقة بالحراية .

وإذا قُتِلَ قُتِلَ، وإذا أَخَذَ المالَ وَقُتِلَ: قُتِلَ وَصُلبَ .

وروى عنه أنه قال: يُصَلَّبُ ثلاثة أيام، وأنه يكره أن يُقَتَلَ مصلوبًا، بل يصلبُ بعد القتل؛ لنهاي رسول الله ﷺ عن المُنْتَلَةِ. (٣٧) ويمثل قوله قال أحمد.

وقال أبو ثور: الإمام مخير على ظاهر الآية. وكذا قال مالك وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد، والضحاك، والنخعي، كلهم قال:

الإمام مخير في الحكم على المحاربين؛ يحكم عليهم بأى الأحكام التي أوجبها الله تعالى؛ من القتل والصلب، أو القطع، أو النفي؛ أخذًا بظاهر الآية.

وروى عن ابن عباس، أنه قال: إن كان في القرآن «أو» فصاحبه بالخيار. وهذا هو الأظهر، وهو ما نرجحه.

٤- النفي من الأرض: اختلف في معناه:

فمن الشافعي: أنهم يُخْرَجُونَ من بلد إلى بلد، ويطلبون لتقام عليهم الحدود. وبه قال الليث ابن سعد، والزهري.

وقال مالك: يُنْفَى من البلد الذي أحدث فيه الحرابة إلى غيره، ويحبس فيه كالزاني.

وقال الكوفيون: نفيهم: سجنهم ... فيُنْفَى من سعة الدنيا إلى ضيقها.

حكى مكحول عن عمر قال: أحبسته حتى أعلم منه التوبة. ولا أنفيه من بلد إلى بلد فيؤذنيهم.

قال القرطبي: والظاهر أن الأرض في الآية هي أرض النازلة - أي: مكان الجريمة - ثم قال:

ينبغي للإمام - إذا كان هذا المحارب مخوف الجانب؛ يظن أن يعود إلى حرابة، أو إفساد - أن يسجنه في البلد الذي يغرب إليه. وإن كان غير مخوف الجانب؛ سرح.

قال ابن عطية: وهذا صريح مذهب مالك، أن يغرب ويسجن حيث يغرب. وهذا على الأغلب في أنه مخوف. ورجحه الطبري؛ لأن نفيه من أرض النازلة هو نص الآية، وسجنه بعد، بحسب الخوف منه.

فإن تاب وفهمت توبته؛ سرح.

٥- لا يراعى في المال الذي يأخذه المحارب نصاب، كما يراعى في السارق. وقيل: يراعى أن يكون ربع دينار. وهو نصاب القطع.

قال ابن العربي: قال الشافعي، وأصحاب الرأي: لا يقطع من قطاع الطريق، إلا من أخذ قدر ما تقطع فيه يد السارق.



وقال مالك: يُحَكَّم عليه بحكم المحارب . وهو الصحيح: لأن الله تعالى - وَتَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْقَطْعَ فِي السَّرْقَةِ، فِي رِبْعِ دِينَارٍ . ولم يوقت في الحراية شيئاً، بل ذكر جزاء المحارب، فاقضى ذلك توفية الجزاء - على المحاربة - عن حقه .

ثم إن هذا قياس أصل على أصل. وهو مختلف فيه . وقياس أدنى على أعلى. وذلك عكس القياس وكيف يقاس المحارب على السارق . وهو يطلب خطف المال، فإن شعر به فر، حتى إن السارق إذا دخل بالسلاح يطلب المال، فإن منع منه، أو صيح عليه وحارب عليه، فهو محارب؛ يُحَكَّم عليه بحكم المحارب. قال القاضي ابن العربي: كنت في أيام حكمي بين الناس: إذا جاءني أحد بسارق - وقد دخل الدار بسكين يحبسه على قلب صاحب الدار وهو نائم، وأصحابه يأخذون مال الرجل - حكمت فيهم بحكم المحاربين .. فافهموا هذا من أصل الدين، وارتفعوا إلى يفاع العلم عن حضيض الجاهلين . ا هـ نقول: وهذا ما يسميه علماء القانون: «سرقة بالإكراه» .

وفي المسألة أحكام عظيمة، وتفصيل نفيسة ينبغي لأهل القضاء أن يعرفوها؛ ليطبقوها على الذين يعيثون في الليل والنهار فسادا .

فليتعرفها هؤلاء القضاة من مظانها في كتب التفسير المطولة . المعنية بأحكام القرآن، وفي كتب الفقه .

ولينفذوها في أولئك المحاربين لله ورسوله؛ قطعاً لدابرهم .

ثم ختم الله الآية بقوله :

ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . أي: ذلك الذي مر من جزاء المحاربين، خزي وذل وفضيحة لهم في الدنيا .. ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

وإنما بولغ في جزاء قطاع الطريق؛ لأنهم يسدون سبيل الكسب والتجارة على الناس، ويلزموهم البيوت، ويقطعون الأرزاق عن عباد الله، ويروعونهم في مآمنهم، فلذا شرع لهم أشد العقاب، قطعاً لدابرهم.

٣٤- إِنْ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

أفادت هذه الآية: أن توبة المحاربين - بعد القدرة عليهم - لا تنفعهم، بل لا بد من أن تقام عليهم الحدود التي وجبت في الآية السابقة.

أما إن تابوا قبل القدرة عليهم وإسماكهم؛ فإن حق الله يسقط عنهم، بقوله تعالى: فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

أما حقوق الأدميين من قصاص وغيره، فلا تَسْقُطُ بالتوبة، فإن شاءوا عَفَوْا، وإن شاءوا استوفوا منهم حقوقهم، قصاصاً عادلاً .

★ ★ ★

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَى لَهُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّصِيبٌ ﴿٣٧﴾﴾

المفردات:

وابتغوا؛ واطلبوا .

الوسيلة؛ هي ما يتوسل به، ويتقرب إلى الله من فعل الطاعات، وترك المعاصي .

التفسير

٣٥- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ... الآية

أى: راقبوا الله تعالى فى أقوالكم وأعمالكم وتقربوا إليه بالعمل الصالح، «الوسيلة: هى القرية، وهى فعيلة من توسلت إليها أى: تقربت، قال عنتره:

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلى وتخضبى

والجمع: الوسائل، قال الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد للتصافى بيننا والوسائل<sup>(٨١)</sup>

والوسيلة، هى درجة فى الجنة وهى التى جاء الحديث الصحيح بها فى قوله ﷺ :

«من قال حين يسمع النداء - أى: الأذان - : اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، أت

محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته؛ حلت له شفاعتى يوم القيامة»<sup>(٨١)</sup>

والآية أرشدت المسلمين إلى الأمور الآتية:

- ١- تقوى الله وطاعته والتزام أوامره واجتناب نواهيه.
- ٢- التقرب إليه بما يرضيه .
- ٣- الجهاد فى سبيله .

ثم رتبت على ذلك الفلاح والفوز والنجاح، حيث قال سبحانه وتعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

وقد أطلال الألوسى فى تفسير هذه الآية الكريمة، وكتب قرابة خمس صفحات، يوضح فيها أن الوسيلة ليست الاستغاثة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد .

فطلب الدعاء من الأحياء جائز، والتوسل بهم إلى الله تعالى جائز، فقد صح أن النبى ﷺ قال لعمر بن الخطاب: «لا تنسنا يا أختى من دعائك»<sup>(٨١)</sup>

ونقل الألوسى كلاما طويلا خلاصته أن التوسل لا يكون إلا بالأحياء، ولم يرد عن أحد من الصحابة أنه طلب من ميت شيئا، ففى صحيح البخارى عن أنس أن عمر رضى الله عنه - كان إذا أحطوا: استسقى بالعباس رضى الله عنه فقال:

«اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك - ﷺ - فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا؛ فيسقون».<sup>(٨٢)</sup>

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. أى: وجاهدوا أنفسكم بكفها عن الأهواء، وكذلك جاهدوا أعداءكم؛ حتى تكون كلمة الله هى العليا، رجاء أن تفوزوا بالفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة .

٣٦- إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

إن الذين كفروا لو أن لكل واحد منهم منفردا ما فى الأرض - جميعا - من أموالها وزرعها وكنوزها ونقائسها ومنافعها - وضعفه معه - وقدموا كل ذلك؛ ليخلصوا به أنفسهم من عذاب يوم القيامة، ما قبله الله منهم؛ لأن سنته قد اقتضت أن تكون نجاته الإنسان من العذاب يوم القيامة متوقفة على الإيمان والعمل الصالح فى الدنيا، ولهم عذاب أليم شديد الإيلام .

قال الفخر الرازى: والمقصود من هذا الكلام التمثيل للزوم العذاب لهم؛ فإنه لا سبيل لهم إلى الخلاص .

روى البخارى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له: يا ابن آدم، كيف وجدت مضجعك؟ فيقول: شرّ مضجع، فيقال له: أرايت لو كان لك ملاء الأرض ذهباً أكنت تفتدى به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك: ألا تشرك بالله شيئاً، فيؤمر به إلى النار»<sup>(٨١)</sup>.

٣٧- يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ . أى: يتمنى الكفار أن يخرجوا من النار - بعد أن اصطلوا بسعيرها - وذاقوا عذابها وآلامها، وما هم بخارجين منها، بل يبقون فيها ولهم عذاب دائم لا ينتهى أبداً ..

«وهذه الآية خاصة بالكافرين كما يفيد نصحها، أما المسلمون المذنبون، الذين أدخلوا النار بسبب معاصيهم فإنهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة»<sup>(٨٢)</sup>.

وجاء في تفسير القرطبي: قيل لجابر بن عبد الله: إنكم يا أصحاب محمد تقولون: إن قوما يخرجون من النار والله تعالى يقول: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا. فقال جابر: إنكم تجعلون العام خاصاً، والخاص عاماً، إنما هذا فى الكفار خاصة، فقرأت الآية كلها من أولها إلى آخرها فإذا هى فى الكفار خاصة .<sup>(٨٣)</sup>

أخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة»<sup>(٨٤)</sup>.

★ ★ ★

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

المضردات:

نكالا من الله: أى: عقاباً من الله، ينكل به السارق، أى: يردع عن معاودة السرقة، ويحذر به هو وغيره من فعلها .

قال صاحب القاموس: النكال: ما نكلت به غيرك كأننا ما كان .

وقال أيضاً: ونكل به تنكيلاً: صنع به صنيعاً يحذر غيره .

والله عزيز، أي: غالب، فلا يفوته المعتدون.  
حكيم، في شرع هذا الحد؛ لما فيه من الردع.

## التفسير

٣٨- وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

بعد أن بين حكم قاطع الطريق، تكلم عن عقوبة السارق والسارقة، وفي سورة النور بدأ الله بالزانية فقال تعالى:

الرَّائِبَةُ وَالرَّائِبُ فَاجْتَنِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ . لَأَنَّ الزَّانِي مِنَ الْمَرْأَةِ أَفْحَشُ، ولأن الحبل يظهر منها، ولأن أسرتها تصيبها المعرة، ولأن شهوة الاستمتاع على النساء أغلب، وحب المال على الرجال أغلب، والرجل على السرقة أجراء<sup>(٨٨)</sup> فتناسب أن يبدأ في السرقة بالرجل، وفي الزنى بالمرأة .

والسارق: هو الذى يأخذ مال غيره خفية من حرز مظهره، ولا شبهة له فيه، دون طعن بسلاح أو تهديد به، فإن طعن بسلاح أو هدد به - وهو ما يُعرف الآن: بالسطو المسلح - فحكمه حكم قاطع الطريق، الذى يسعى فى الأرض فساداً .

ولا يعاقب السارق هذا العقاب إلا إذا كان بالغاً عاقلًا، غير مالك للمسروق منه ولا ولاية له عليه: فلا تقطع يد صبى ولا مجنون، ولا يد سيد أخذ مال عبده، ولا يد عبد سرق مال سيده بإجماع الصحابة، ولا يقطع الوالدان بسرقة مال ولدهما؛ لقوله ﷺ: «أنت وما لك لأبيك»<sup>(٨٩)</sup> وقيل: تقطع يد الابن إذا سرق مال أبويه . والراجع أنه لا يقطع؛ لأن الابن يبنسط فى مال أبيه كالعادة .

وإذا استكمل هذه الشروط: فلا تقطع يده إلا إذا سرق ما قيمته ربع دينار .

روى الشيخان عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعداً»<sup>(٩٠)</sup>. وقال أبو حنيفة وصاحبه والثورى: لا تقطع يد السارق إلا فى عشرة دراهم كيلا، أو دينار ذهباً أو وزناً، ولا يقطع حتى يخرج بالمتاع من ملك الرجل، وحجتهم حديث ابن عباس قال: قوم المجن الذى قطع فيه النبى ﷺ بعشرة دراهم، ورواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: كان ثمن المجن يومئذ عشرة دراهم، أخرجهما الدارقطنى وغيره .

ومن العلماء من قال: لا تقطع اليد إلا فى خمسة دراهم، ومنهم من قال: لا تقطع اليد إلا فى أربعة دراهم، ومنهم من قال: لا تقطع اليد إلا فى ثلاثة دراهم، ومنهم من قال: تقطع اليد فى كل ما له قيمة على ظاهر الآية، وهو قول الخوارج .

قال القرطبي: وهذه أقوال متكافئة والصحيح منها ما قدمناه لك . ا هـ .

وإن التضخم، وتدنى قيمة النقود، تجعل رأى الحنفية أولى بالاعتبار .

روى ابن أبي شيبة والترمذى والحاكم فى المستدرک والبيهقى فى السنن عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «ادعوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة»<sup>(٩١)</sup> .

وعلى الحاكم أن يتثبت بعناية من واقعة السرقة، وظروفها ودواعيها، وأن يعدل عن القطع عند وجود شبهة .

وتقطع يد السارق اليمنى من الكوع عند المفصل الذى بين الساعد والكف. فإن سرق ثانياً؛ قطعت رجله اليسرى من مفصل الرجل .

فإن سرق ثالثاً؛ قطعت يده اليسرى، فإن سرق رابعاً؛ قطعت رجله اليمنى، فإن سرق بعد ذلك عَزُر بما يراه الحاكم رادعاً مانعاً، وروى عن أحمد أنه لا تقطع اليد اليسرى ولا الرجل اليمنى وهو قول أبى بكر وعمر وعلى وأبى حنيفة، وروى عنه أنها تقطع، وبه قال مالك والشافعى<sup>(٩٢)</sup> .

وقال عطاء: تقطع يده اليمنى خاصة ولا يعود عليه القطع، ذكره ابن العربى وقال: أما قول عطاء فإن الصحابة قالوا قبله خلافاً<sup>(٩٣)</sup> .

وتثبت السرقة بالبينة والإقرار .

### ملاحظة:

يرى بعض الفقهاء أن جاحد العارية تقطع يده كالسارق، وأكثر الفقهاء يرون أنه لا قطع عليه، لقوله ﷺ: «لا قطع على خائن»<sup>(٩٤)</sup> .

أما من ذهب إلى أن جاحد العارية تقطع يده كالسارق فقد استدل بما رواه الشيخان عن عائشة قالت: كانت امرأة تستعير المتاع وتجده، فأمر النبى ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة فكلموه فكلم النبى ﷺ فقال ﷺ: «لا أراك تكلمنى فى حد من حدود الله تعالى، ثم قام النبى ﷺ خطيباً وقال: «إنما أهلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتم يدها»<sup>(٩٥)</sup> .

قال: فقطع يدها.

وجاء فى البخارى أنها سرت، وجاء فى مسلم أن المرأة المذكورة كانت تستعير المتاع وتجده.

وقد توسع العلماء والفقهاء والمفسرون فى تفسير هذه الآية وخصوصا التفسيرات التى عنيت بالأحكام الفقهية، ومثال ذلك أن القرطبى بين أن هذه الآية فيها سبع وعشرون مسألة كتبها فى ١٥ صفحة ومن نماذج تفسير القرطبى ما يأتى:

المسألة الثانية عشرة: قوله تعالى: فَأَقْطَعُوا. القطع معناه: الإبادة والإزالة، ولا يجب إلا بجمع أوصاف تعتبر فى السارق وفى الشيء المسروق، وفى الموضوع المسروق منه وفى صفته .

١- فأماً ما يعتبر فى السارق فأربعة أوصاف وهى: البلوغ، والعقل، وأن يكون غير مالك للمسروق منه، وألا يكون له عليه ولاية؛ فلا يقطع العبد إن سرق مال سيده، وكذلك السيد إن أخذ مال عبده لا قطع بحال، ولا قطع على صبي ولا مجنون .

٢- وأما ما يعتبر فى الشيء المسروق فثلاثة أوصاف :

(أ) النصاب .

(ب) أن يكون مما يتمول ويتملك ويحل بيعه .

(ج) ألا يكون للسارق فيه ملك كمن سرق ما رهنه أو ما استأجره .

٣- وأما ما يعتبر فى الموضوع المسروق منه فوصف واحد وهو الحرز لمثل ذلك الشيء المسروق.

وجملة القول فيه: أن كل شيء له مكان معروف فمكانه حرزه، وكل شيء معه حافظ فحافظه حرزه، فالدور والمنازل والحوانيت حرز لما فيها، غاب عنها أهلها أو حضروا .  
والقبر والمسجد حرز لما فيهما، والخزانة فى مكاتب الناس - أو الحكومة - حرز لما فيها، وظهور الدواب حرز لما تحمل<sup>(١٧)</sup> .

فَأَقْطَعُوا أَيَدِيَهُمَا. والخطاب هنا لولاة الأمر الذين يرجع إليهم تنفيذ الأحكام والحدود . وجمع سبحانه اليد فقال: أَيَدِيَهُمَا. ولم يقل: يديهما بالتثنية؛ لأن فصحاء العرب يستقلون إضافة المثنى إلى ضمير التثنية.

قال القرطبى:

قوله تعالى: جزاءً بما كَسَبَا. مفعول من أجله، وإن شئت كان مصدرًا، وكذا: نَكَالًا مِنَ اللَّهِ. اهـ  
وفيه بيان لسبب هذه العقوبة وللحكمة التى من أجلها شرعت .

أى: اقطعوا أيديهما جزاءً لهما بسبب فعلهما الخبيث، وكسبهما السيئ وخيانتهما القبيحة، ولكي يكون هذا القطع لأيديهما نكالاً. أى: عبرة وزجرًا - من الله تعالى - لغيرهما: حتى يكف الناس عن ارتكاب هذه الجريمة .

يقال: نكَل فلان بفلان تنكيلا، أى: صنع به صنيعا يحذر غيره .

وسميت هذه العقوبة نكالا؛ لأنها تجعل غير من نزلت به يخاف من ارتكابها؛ حتى لا ينزل به ما نزل بمرتكبها من قطع ليد، وفضيحة لأمره، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، حكيم فى شرائعه وتكاليفه .

قال الأصمعي: قرأت هذه الآية، وإلى جنبى أعرابى فقلت: والله غفور رحيم، سهواً؛ فقال الأعرابى: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله، قال: أعد؛ فأعدت: والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله؛ فتنبتهت فقلت: وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فقال: أصبت هذا كلام الله، فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت أنى أخطأت؟ فقال: يا هذا عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع<sup>(٣٩)</sup> فقد فهم الأعرابى أن مقتضى العزة والحكمة، غير مقتضى المغفرة والرحمة، وأن الله تعالى - يضع كل اسم موضعه فى كتابه .

٣٩- كَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . سبب نزولها: أن امرأة كانت قد سرقت فقالت: يا رسول الله، هل لى من توبة فنزلت هذه الآية<sup>(٤٠)</sup> .

قال ابن كثير: أى: من تاب بعد سرقة وأناب إلى الله فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه، فأماً أموال الناس فلا بد من ردها إليهم أو رد بدلها، وهذا عند الجمهور .

فإن كانت توبته قبل أن يرفع أمره إلى القضاء فلا قطع، كما قال عطاء وجماعة من الفقهاء استناداً إلى قوله تعالى: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . (المائدة: ٣٤).

فإنه وإن نزل فى قطاع الطريق فحكمه عام فى جميع الحدود عند هؤلاء العلماء، وإن كانت توبته بعد أن رفع أمره للقضاء، أقيم عليه الحد فلا يسقط الحد بالتوبة، بل تنفذ العقوبة بالنسبة لأحكام الدنيا، ويقبل الله التوبة رجاء القبول فى الآخرة .

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ - فجاء بها الذين سرقتهم فقالوا: يا رسول الله، إن هذه المرأة سرقتنا، قال قومها: فنحن نغديها، فقال رسول الله



﴿اقتلعوا يديها﴾ فقطعت اليمنى، فقالت المرأة: هل لى من توبة يا رسول الله؟ قال نعم، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك، فأنزل الله تعالى: ﴿مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (١٤٩)

وروى ابن ماجه عن ثعلبة الأنصارى: أن عمر بن سمرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى سرقت جملاً لبني فلان فطهرنى، فأرسل إليهم النبى ﷺ، فقالوا: إنا افتقدنا جملاً لنا، فأمر به فقطعت يده وهو يقول: الحمد لله الذى طهرنى منك، أردت أن تدخلنى جسدى النار» (١٥٠)

٤٠- ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير.

هذه الآية مسوقة لبيان حق الله فى أن يشرع لعباده ما تقدم من عقاب قاطع الطريق والسارق والعفو عن التائب منهما .

والمعنى: ألم تعلم أن الله له السلطان الكامل على السماوات والأرض وما فيهما، ومن كان كذلك: فإن له كامل الحق فى أن يعذب من شاء من المعتدين، وأن يغفر لمن شاء من التائبين .

والله على كل شيء قدير. فهو سبحانه عظيم القدرة، فلا يمنعه عن تشريعه الحكيم مانع، ولا يدفعه عن جزائه لهم فى الدنيا والآخرة دافع .

\*\*\*

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا  
ءَامَنَّا بِأَقْوَابِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَكَّعُوا  
لِلْكَذِبِ سَمْعَهُمْ لِقَوْمٍ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ  
مَوَاضِعِهِ يَنْوَلُونَ إِنْ أُوْتِيَتْ هَذَا فَخَذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ  
تَمْلِكَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُضَلِّهِمْ فَلَوْ بَدَّلَهُمْ  
فِي الدُّنْيَا خِزْيًا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

المضردات:

يسارعون فى الكفر: يجدون فيه .

ومن الذين هادوا، أى: من اليهود .

يُحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يستنون تأويله .  
 فتننته ، إخلاله لسوء اختياره .  
 خـــــــزى ، هوان ومذلة .

### التفسير:

٤١ - يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ....

وردت عدة أسباب لنزول هذه الآية نجدها فى تفسير ابن كثير والقرطبى وغيرهما .  
 قيل: إنها نزلت فى المنافقين .

وقيل: إنها نزلت فى ابن سوريا: آمن ثم كفر .

وأرجح الأقوال أنها نزلت فى اليهود عندما حرفوا حكم التوراة ، وكانت التوراة تنص على أن عقوبة الزانى المحصن هو الرجم بالحجارة حتى يموت ، فلما كثر الزنى فى أشراف اليهود: بدّلوا حكم الرجم إلى الجلد وتسويد الوجه .

ثم تحاكموا إلى رسول الله ﷺ بشأن رجل وامرأة قد زنيا من اليهود ، ورجعوا أن يحكم بغير الرجم . فسألهم عن حكم الله فى التوراة فقالوا: الجلد فناشدهم الله أن ينطقوا بالحق ، فقالوا: إنه الرجم؛ فقال ﷺ «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» .

ثم أمر أن يرمج الزانيان فرجما .

وقد ورد هذا المعنى فى صحيح البخارى ومسلم<sup>(١٠١)</sup> .

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ .... أراد الله سبحانه وتعالى أن يُسلّى رسوله الكريم ويواسيه؛ حتى لا يحزن بما يفعله المنافقون واليهود وغيرهم .

فناداه الله تعالى بوصف الرسالة: تشريفا له وتكريما ، وحثه على السلى والصبر وعدم الحزن من هؤلاء المعاندين ..

«والنهي عن الحزن وهو أمر نفسى لا اختيار للإنسان فيه ، والمراد به هنا: النهى عن لوازمه كالإكثار من محاولة تجديد شأن المصائب، وتعظيم أمرها ، وبذلك تتجدد الآلام وتعز السلى»<sup>(١٠٢)</sup>

يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ . أى: يذهبون إليه بسرعة من غير مواناة ولا تدبر ولا تفكر ، فهم ينتقلون بحركات سريعة فى ثنايا الكفر ومداخله ، دون أن يزعهم وازع من خلق أو دين .

قال أبو السعود: والمسارة في الشيء: الوقوع فيه بسرعة ورغبة. وإيثار كلمة في. على كلمة (إلى) للإيماة إلى أنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه، وإنما ينتقلون بالمسارة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها، كإظهار موالة المشركين، وإبراز آثار الكثير للإسلام ونحو ذلك.

مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَقْوَاهِمُ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ . وهم المنافقون، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا . يعنى: اليهود  
 أى: أن المسارعين فى الكفر فريقان: فريق المنافقين الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَقْوَاهِمُ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ، وفريق  
 اليهود سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ . هذا الوصف يعود إلى الفريقين، أو إلى اليهود خاصة ، أى: الذين يسارعون  
 فى الكفر هم سماعون للكذب أى: كثيرو السماع للكذب من أحبارهم ورؤسائهم، واللام فى قوله:  
 لِلْكَذِبِ للتقوية أى: أنهم يسمعون الكذب كثيرا سماع قبول وتلذذ، ويأخذونه ممن يقوله - من أعداء  
 الإسلام - على أنه حقائق ثابتة لا مجال للريب فيها .

سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ . أى: لم يحضروا مجلسك، وهم طائفة من اليهود ، كانوا لا  
 يحضرون مجلس رسول الله ﷺ: تكبرا وتمرداً ، ولكن يوجهون إليه بعض أتباعهم؛ ليحضروا مجلسه  
 وينقلوا إليهم كلامه .

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ . من جملة صفات القوم المذكورين، أى: أنهم يميلون بالتوراة  
 ويحرفون الكلام الوارد فيها ويؤولونه على غير تأويله من حيث لفظه أو من حيث معناه ، ولعل  
 المراد: أنهم حرفوا التوراة ومما حرفوه: الرجم على الزاني والزانية ، جعلوا بدله تسويد الوجه .

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ... أى: يقولون لأتباعهم السماعين لهم: إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ . أى: إن أفتاكم  
 محمد بما تريدون - وهو الجلد - فخذوه واعملوا بموجبه.

جاء فى زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى:

«وذلك أن رجلا وامرأة من أشرف اليهود زنيا، فكرهت اليهود رجمهما ، فبعثوا إلى النبي ﷺ،  
 يسألونه عن قضائه فى الزانيين إذا أحصنا ، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم  
 فلا تعملوا به»<sup>(١٠٧)</sup>

وَإِنْ لَمْ تُوْتُوهُ فَاحْذَرُوا . أى: وإن أفتاكم محمد بغير ما أفتيناكم به فاحذروه قبول حكمه، وإياكم  
 أن تستجيبوا له أو تميلوا إلى ما قاله لكم .

وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا . ومن يقض الله بكفره وضلالته؛ فلن تستطيع - أيها  
 الرسول الكريم - دفعه عن الضلالة؛ لأنك لا تملك له من الله شيئاً فى دفع الفتنة عنه .

فقد اقتضت حكمته أنه يمنح هدايته وتوفيقه وعونه ، لمن سار فى طريق الهدى وآثر الحق ورغب فى السير على الطريق القويم؛ أما من أعرض عن الهدى وتنكب الجادة ، فإن الله تعالى يسلب هداه وتوفيقه عنه ويتركه مفتونا متنكبا طريق الجادة .

قال تعالى: وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى . (طه: ١٢٤ - ١٢٦)

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ . أى: هؤلاء المذكورون - من المنافقين واليهود - هم الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من دنس الكفر والضلالة، بطهارة الإيمان والإسلام؛ لأنهم منهمكون فى الضلالة ، مصرون عليها ، معرضون عن طريق الهداية والرشاد .

لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ . أما خزي المنافقين: فبهتك سترهم، وإطلاع النبى على كفرهم ، وخزي اليهود: بفضيحتهم فى إظهار كذبهم؛ إذ كتموا الرجم، وبأخذ الجزية منهم .

قال مقاتل: وخزي قريظة بقتلهم وسبيهم ، وخزي النضير بإجلائهم ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ؛ بدخولهم النار ، والخلود فيها .

★ ★ ★

﴿ سَمِعُوا لِكُذِّبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

المضردات:

أَكْأَلُونَ ، كثيروا الأكل .

لِسُّحْتِ ، السحت: الحرام، كالربا ونحوه .

بِالْقِسْطِ ، بالعدل .

التفسير:

٤٢- سَمِعُوا لِكُذِّبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّحْتِ ... إن هؤلاء المنافقين واليهود من صفاتهم - أيضا - أنهم كثيروا السماع للكذب ، وكثيروا الأكل للمال الحرام بجميع صوره وألوانه ، ومن كان هذا شأنه فلا تنتظر منه خيرا ولا تؤمل فيه رشدا .

وجاءت هاتان الصفتان - سماعون وأكالون - بصيغة المبالغة ، للإيذان بأنهم محبوبون حبا جما لما يأباه الدين والخلق الكريم ، فهم يستمرون سماع الباطل من القول ، كما يستمرون أكل أموال الناس بالباطل .

قال ابن الجوزي:

وفى المراد بالسحت ثلاثة أقوال:

أحدها: الرشوة فى الحكم .

والثانى: الرشوة فى الدين .

والثالث: أنه كل كسب لا يحل .

فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ . أى: فإن جاءك اليهود متحاكمين إليك، فأنت بالخيار بين أن تحكم بينهم. لأنهم اتخذوك حكما، أو تعرض عنهم: لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق.

قال الشوكاني فى فتح القدير:

وقد أجمع العلماء على أنه يجب على حكام المسلمين أن يحكموا بين المسلم والذمى إذا ترافعا إليهم، واختلفوا فى أهل الذمة إذا ترافعوا فيما بينهم، فقول: يجب الحكم بينهم ، وقيل: هو جائز وله أن يردهم، ولا يحكم بينهم بشيء .

وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا . أى: وإن اخترت الإعراض عن الحكم بينهم فلن يقدروا على الإضرار بك: لأن الله عاصمك من الناس .

وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ . أى: وإن اخترت الحكم بينهم، فالواجب أن يكون الحكم بينهم بالعدل، الذى أمرك الله به وأنزله عليك .

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنَّ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ . (النساء: ٥٨)

وقال سبحانه: وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ . (المائدة: ٤٩)

وقريب منه قوله تعالى: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ . (ص: ٢٦)

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ : وهو ختام للآية مقرر لما قبله من وجوب الحكم بالعدل إذا ما اختار أن يقضى بينهم .

يقال: أقسط الحاكم في حكمه؛ إذا عدل وقضى بالحق فهو مقسط أى: عادل، ومنه: إِنَّ اللَّهَ بِحُبِّ الْمُقْسِطِينَ.

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»<sup>(١٠٤)</sup>

في أعقاب الآية :

١- ذهب فريق من العلماء إلى أن هذه الآية منسوخة وأن النبي ﷺ كان مخيراً بين الحكم بين اليهود أو الإعراض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله تعالى :

وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ. والراجع أن الآية غير منسوخة، وأن التخيير لا يزال قائماً، أما قوله تعالى: وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ. فهو بيان لكيفية الحكم عند اختياره له .

★ ★ ★

﴿ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ تَمَرَّتْ لَوْنٌ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَتْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٣)

التفسير:

٤٣- وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ .... الآية. أى: أن أمر هؤلاء اليهود لمن أعجب العجب؛ لأنهم يحكمونك يا محمد فى قضاياهم مع أنهم لم يتبعوا شريعتك، ومع أن كتابهم التوراة قد ذكر حكم الله صريحا واضحا فيما يحكمونك فيه، فالاستفهام فى قوله: وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ. للتعجب من أحوالهم حيث حكموا من لا يؤمنون به فى قضية حكمها بين أيديهم ظنا منهم أنه سيحكم بينهم بما اتفقوا عليه مما يرضى أهواءهم وشهواتهم .

ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ . أى: ثم يعرضون من بعد حكمك الموافق لما فى كتابهم .

وَمَا أَوْلَتْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . تذييل مقرر لمضمون ما قبله، فهم غير مؤمنين بالتوراة؛ لتحريفهم بعض أحكامها. وغير مؤمنين بك؛ لإعراضهم عن حكمك الموافق لما فى التوراة .

★ ★ ★

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَسْتَرُوا بِتَايَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

المضردات،

والرهبانيون، جمع ربابي؛ وهو المنسوب إلى الرب. والمراد: الزهاد والعباد.

والأحبار، جمع حبر؛ وهو: العالم، أو رؤساء العلماء عند اليهود.

استحفظوا، كلفوا من الله بالمحافظة عليه.

شهداء، أي: رقباء يحمونه من التغيير والتبديل.

التفسير:

٤٤- إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... الآية

هذا كلام مستأنف لبيان علو شأن التوراة فهو سبحانه الذي أنزلها من عنده لتكون مصدر

هداية للناس إلى سبيل الله مشتملة على الأحكام والتكاليف والشرائع.

ومشتملة على النور من بيان للعقائد السليمة والمواعظ الحكيمة والأخلاق القويمة.

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي :

والعنى: إنا أنزلنا التوراة على نبينا موسى مشتملة على ما يهدى الناس إلى الحق من أحكام

وتكاليف وعلى ما يضىء لهم حياتهم من عقائد وواعظ وأخلاق فاضلة.

يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ..

النَّبِيُّونَ . هنا هم أنبياء بنى إسرائيل من بعد موسى .

الَّذِينَ أَسْلَمُوا . صفة للنبيين أي: أخلصوا وجوههم لله

قال الشوكاني: وفيه إرغام لليهود بأن أنبياءهم كانوا يدينون بدين الإسلام، الذى دان به محمد ﷺ.

فلا يقال لنبي من الأنبياء: إنه يهودى أو نصرانى، بل كانوا جميعا مسلمين .

لِّلَّذِينَ هَادُوا . أَيْ: رَجَعُوا عَنِ الْكُفْرِ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْيَهُودَ .  
 وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ  
 الرَّبَّانِيُّونَ . الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ  
 الْأَحْبَارُ . الْعُلَمَاءُ

وقال مجاهد: الرَّبَّانِيُّونَ: الفقهاء العلماء وهم فوق الأحبار، وقال ابن عباس: الرَّبَّانِيُّونَ: هم الذين يسوسون الناس بالعلم، ويربونهم بصغاره قبل كباره .

والجبر والحبر: الرجل العالم وهو مأخوذ من التحبير وهو التحسين، فهم يحبرون العلم أَيْ: يبينونه ويزينونه، وهو محبرٌ فى صدورهم<sup>(١٠٠)</sup>

بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ . أَيْ: أَمَرَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِحِفْظِ التَّوْرَةِ عَنِ التَّغْيِيرِ وَالتَّجْدِيدِ، وَالمَحَافَظَةِ عَلَى تَطْبِيقِ أَحْكَامِهَا، وَأَنْ يَكُونُوا رُقَبَاءَ عَلَى تَنْفِيزِ حُدُودِهَا، وَتَطْبِيقِ أَحْكَامِهَا؛ حَتَّى لَا يَهْمَلَ شَيْءٌ مِنْهَا .

والعنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هداية للناس إلى الحق، وضياء لهم من ظلمات الباطل، وهذه التوراة يحكم بها بين اليهود أنبياءهم الذين أسلموا وجوههم لله، وأخلصوا له العبادة والطاعة، ويحكم بها أيضا الربانيون والأحبار الذين التزموا طريقة الأنبياء .

وكان هذا الحكم منهم بالتوراة بين اليهود، بسبب أنه تعالى حملهم أمانة حفظ كتابه والقيام على تنفيذ أحكامه، وشرائعه وتعاليمه .

قال الفخر الرازى:

قوله تعالى: بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

حفظ كتاب الله على وجهين .

الأول: أن يحفظ فلا ينسى .

الثانى: أن يحفظ فلا يضيع، وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين:

أحدهما: أن يحفظوه فى صدورهم ويدرسوه بألسنتهم .

الثانى: ألا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه<sup>(١٠١)</sup> .

فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاتَّقُوا اللَّهَ



الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك على علم بما يخشى منه، ولذلك حُصَّ العلماء بها في قوله: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** .. (١٠٧) (فاتر: ٢٨).

فالخشية خوف يشوبه تعظيم ومحبة للمخشى، بخلاف الخوف فهو أعم من أن يكون من مرهوب معظم محبوب أو مرهوب مبعوض مذموم .

والمعنى: إذا كان شأن التوراة، أن تنفذ أحكامها وتعاليمها فلا تخافوا يا علماء اليهود، أحدًا من الناس كائنًا من كان، وعليكم أن تطبقوا أحكام الله كما أنزلها الله وأن تجعلوا خشيتكم منى وحدى، لا من أحد من الناس فأنا الذى بيدى نفع العباد وضرمهم .

**وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا** . أى: لا تتركوا الحكم بما أنزل الله: خوفا من أحد أو رغبة فى مصلحة أو رشوة.

قال الدكتور محمد سيد طنطاوى فى تفسير سورة المائدة .

والاشترء هنا معناه: الاستبدال، والمراد بالآيات: ما اشتملت عليه التوراة من أحكام وتشريعات وبشارات بالنبى ﷺ .

والمراد بالثمن القليل: حظوظ الدنيا وشهواتها من نحو الرياسة والمال والجاه، وما إلى ذلك من متع الحياة الدنيا .

أى: ولا تستبدلوا بأحكام آياتى التى اشتملت عليها التوراة، أحكاما أخرى تغايرها وتخالفها لكى تأخذوا فى مقابل هذا الاستبدال ثمنا قليلا من حظوظ الدنيا .

وهذا الثمن لا يكون إلا قليلا - وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا - بالنسبة لطاعة الله والرجاء فى رحمته ورضاه .

وهذا النهى، وإن كان موجها إلى رؤساء اليهود وأحبارهم، إلا أنه يتناول الناس جميعا فى كل زمان وكل مكان؛ لأنه نهى عن رذائل يجب أن يبتعد عنها كل إنسان يتأتى له الخطاب . وإلى هذا المعنى أشار الألوسى بقوله: **فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا** .. خطاب لرؤساء اليهود وعلماهم بطريق الالتفات - إذ انتقل من الحديث عن الأحبار السابقين منهم إلى خطاب هؤلاء المعاصرين للنبى ﷺ - ويتناول غير أولئك المخاطبين بطريق الدلالة (١٠٨).

**وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**.

هذه الآية، وما يأتى من قوله تعالى: **فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**.

وقوله تعالى: فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. نزلت كلها في الكفار وعلى هذا رأى أكثر المفسرين .  
فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة<sup>(١١٠)</sup>.

### صفحة من تفسير القرطبي

قال القرطبي<sup>(١١١)</sup> قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

وَالظَّالِمُونَ وَالْفَاسِقُونَ. نزلت كلها في الكفار؛ ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء، وقد تقدم. وعلى هذا المعظم فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة. وقيل: فيه إضمار؛ أي ومن لم يحكم بما أنزل الله رداً للقرآن، وحجداً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر؛ قاله ابن عباس ومجاهد، فالآية عامة على هذا.

قال ابن مسعود والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي: معتقداً ذلك ومستحلاً له؛ فأما من فعل ذلك، وهو معتقد أنه ركب محرماً؛ فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

وقال ابن عباس في رواية: ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلاً يضاهي أفعال الكفار. وقيل: أي: ومن لم يحكم بجميع ما أنزل الله؛ فهو كافر، فأما من حكم بالتوحيد ولم يحكم ببعض الشرائع؛ فلا يدخل في هذه الآية، والصحيح الأول، إلا أن الشعبي قال: هي في اليهود خاصة، واختاره النحاس؛ قال: ويدل على ذلك ثلاثة أشياء منها: أن اليهود قد ذكروا قبل هذا في قوله: لِلَّذِينَ هَادُوا. فعاد الضمير عليهم، ومنها أن سياق الكلام يدل على ذلك، ألا ترى أن بعده وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ. فهذا الضمير لليهود بإجماع؛ وأيضاً فإن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص. فإن قال قائل: من إذا كانت للمجازاة فهي عامة إلا أن يقع دليل على تخصيصها؟ قيل له: من هنا بمعنى الذي مع ما ذكرناه من الأدلة؛ والتقدير: واليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون؛ فهذا من أحسن ما قيل في هذا.

ويروي أن حذيفة سئل عن هذه الآيات أمي في بنى إسرائيل؟ قال: نعم هي فيهم، ولتسلكن سبيلهم حذو النعل بالنعل. وقيل: الْكَافِرُونَ. للمسلمين، وَالظَّالِمُونَ لليهود، وَالْفَاسِقُونَ. للنصارى؛ وهذا اختيار أبي بكر بن العربي، قال: لأنه ظاهر الآيات، وهو اختيار ابن عباس وجابر بن زيد وابن أبي زائدة وابن شبرمة والشعبي أيضاً. قال طاوس وغيره: ليس بكفر ينقل عن الملة، ولكنه كفر دون كفر<sup>(١١٢)</sup>.

﴿ وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ  
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ  
كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

## المضردات:

قصاص : القصاص: عقاب الجاني بمثل ما جنى .

تصدق : أى: عفا عن الجاني .

كفارة له : محو لذنوبه وأثامه .

## التفسير:

٤٥- وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ  
وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا ... الآية.

أى: وكتبنا على اليهود فى التوراة القصاص بقتل النفس بالنفس كبيرة أو صغيرة، ذكراً أو أنثى،  
وشرع من قبلنا يلزم إذا لم ينسخ، وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ. أى: أن العين إذا فقتت، أو قلعت عمداً ولم يبق فيها مجال  
للإدراك، فيجب أن تقلع عين الجاني أو تقلع بها، وقال القاضى أبو يعلى: ليس المراد قلع العين بالعين،  
لتعذر استيفاء المماثلة، لأننا لا نقف على الحد الذى يجب فيما ذهب ضوءها وهى قائمة، وصفة ذلك أن  
تشد عين القالع، وتحمى مرآة، فتقدم من العين التى فيها القصاص حتى يذهب ضوءها.

والأَنْفَ بِالْأَنْفِ. إذا جرح جميعه فإنه يجدر أنف الجاني به. وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ. أى: تقطع الأذن بالأذن،  
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ. أى: وكذلك السن إذا قلعت أو كسرت تؤخذ بها، لا فرق بين الثنايا، والأنياب، والأضراس،  
والرابعيات، وأنه يؤخذ بعضها ببعض، ولا فضل لبعضها على بعض، وينبغى أن يكون المأخوذ فى  
القصاص من الجاني هو المماثل للمأخوذ من المجنى عليه، كالأذن اليمنى مثلا دون اليسرى .

وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا. (١١٧) فيقتص من الجاني بجرح مثل ما جرح، إن كان لا يحدث من القصاص تلف  
النفس، ويعرف مقدار الجرح عمقا أو طولاً أو عرضاً، وقد قدر أئمة الفقه أرش كل جراحة بمقادير معلومة.

جاء في التفسير الوسيط:

ويتم القصاص إذا كانت المساواة ممكنة فإذا تعذرت المساواة كما إذا فقأ أعمى عين مبصرة، أو كان فيها خطر على حياة المقتص منه كما إذا فقأ أعور عين مبصر ففي ذلك دية الجراح (١١١) فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ . أى: فمن عفا عن القصاص من الجاني بقبول الدية، أو مع التنازل عنها فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ . أى: فهو كفارة للمتصدق يكفر الله بها عنه ذنوبه .

وعبر عن العفو والتصدق؛ للترغيب فيه، وإظهار جزيل ثوابه، والقصاص المذكور فى الآية، إنما يكون حال العدوان العمد، أما الخطأ أو شبهه ففيه الدية .

فى أعقاب الآية:

١- ختم الله تعالى الآية السابقة بقوله : وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ . وفى هذه الآية قال : وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . والكفر أعظم من الظلم .

قال ابن كثير :

هذه الآية مما ويخت به اليهود وأيضاً قرّعت عليهم، فإن عندهم فى نص التوراة أن النفس بالنفس، وقد خالفوا حكم ذلك عمداً وعناداً فأقادوا النضرى من القرطى، ولم يقيدوا القرطى من النضرى، وعدلوا إلى الدية، كما خالفوا حكم التوراة فى رجم الزاني المحصن وعدلوا إلى ما اصطاحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار، ولهذا قال هناك: وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ؛ لأنهم جحدوا حكم الله قصداً منهم وعناداً وعمداً . وقال هنا: فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . فى تنمة الآية: لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم فى الأمر الذى أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا وتعدى بعضهم على بعض ... اهـ .

٢- استدل جمهور الفقهاء بعموم هذه الآية على أن الرجل يقتل بالمرأة، وقد روى أنه ﷺ قتل مسلماً بدمى (١١٢) وذهب بعض الفقهاء إلى أن الرجل لا يقتل بالمرأة، بل تجب عليه ديتها، وإلى أنه لا يقتل مؤمن بكافر، وأجاب العلماء بأن الآية عامة تفيد قتل النفس بالنفس وما روى فى الحديث لا يقتل مؤمن بكافر (١١٣) والمراد بما روى الحري .

٣- قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ وَالْبَحْرُ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (البقرة: ١٧٨) .

تذكر بعض الروايات أن هذه الآية منسوخة نسختها آية المائدة التي نزلت بعدها وجعلت النفس بالنفس إطلاقاً .

وعند التحقيق نجد أن آية النفس بالنفس مجالها مجال الاعتداء الفردي من فرد معين على فرد معين، فيؤخذ الجاني ما دام القتل عمداً .

فأما آية البقرة فمجالها مجال الاعتداء الجماعي حيث تعدى أسرة على أسرة أو جماعة على جماعة فتصيب منها من الأحرار والعبيد والنساء فإذا أقيم ميزان القصاص؛ كان الحر من هذه بالحر من تلك والعبد من هذه بالعبد من تلك، والأنثى من هذه بالأنثى من تلك، وإلا فكيف يكون القصاص في مثل تلك الحالة التي يشترك فيها جماعة في الاعتداء على جماعة، وإذا صح هذا النظر، وعلمنا أن سبب نزول آية البقرة أن حيين من العرب اقتتلا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهما قتلى وجراحات فكان أحد الحيين يتناول على الآخر في العدة والأموال، فحلفوا ألا يرضوا حتى يُقتل بالعبد منا الحر منهم، وبالمراة منا الرجل منهم فنزل الحرُّ بالحرِّ والعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى .

إذا أمعنا النظر فلن يكون هناك تعارض بين الآيتين . آية البقرة في الاعتداء الجماعي، وآية المائدة في الاعتداء الفردي<sup>(١١٦)</sup> .

٤- لم يكن لليهود إلا القصاص . ولم يكن للنصارى إلا العفو وخيرت الأمة الإسلامية بين القصاص، وقبول الدية والعفو، وقد رغّب القرآن في العفو وحث عليه قال تعالى: **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**. (الشورى: ٤٠) وقال سبحانه: **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**. (آل عمران: ١٣٤) وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «ما من رجل يجرح في جسده جراحة فيتصدق بها؛ إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به»<sup>(١١٧)</sup> ومن هذه الآية وغيرها نرى أن الإسلام قد جمع فيما شرع من عقوبات بين العدل والرحمة، فقد شرع القصاص؛ زجراً للمعتدى، وإشغاراً له بأن سوط العقاب مسلط عليه إذا ما تجاوز حده، وجبراً لخاطر المعتدى عليه، وتمكيناً له من أخذ حقه ممن اعتدى عليه، ومع هذا التمكين التام للمجنى عليه من الجاني، فقد رغّب الإسلام المجنى عليه في العفو والصفح حيث قال: **فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ** .

٥- قال ابن العربي: نصّ الله سبحانه وتعالى على أمهات الأعضاء وترك باقيها للقياس عليها فكل عضو فيه القصاص إذا أمكن ولم يخش عليه الموت، وكذلك كل عضو بطلت منفعته وبقيت صورته فلا قود فيه، وفيه الدية لعدم إمكان القود فيه .

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. أى: أن هذا الظلم الصادر منهم ظلم عظيم بالغ إلى الغاية .

★ ★ ★

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

المضردات:

وقفينا، أتبعنا .

مصدقا لما بين يديه ، لما تقدمه .

التفسير:

٤٦- وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ... وَأَتَبَعْنَا عَلَى آثَارِ أَوْلَئِكَ النَّبِيِّينَ الَّذِي أَسْلَمُوا وَجُوهَهُمْ لِلَّهِ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَةِ كَمُوسَى وَهَارُونَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمْ- أَتَبَعْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ نَاهِجًا نَهَجَهُمْ فِي الْخُضُوعِ وَالطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ. وَأَعْطَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ مُشْتَمِلًا عَلَى الْهُدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ وَالنُّورِ الَّذِي يَسْتَضَاءُ بِهِ فِي إِزَالَةِ الشُّبُهَاتِ وَحُلِّ الْمَشْكَلاتِ .

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ. أى: ومؤيدا لها غير مخالف لما فيها إلا فى القليل كما قال تعالى على لسان المسيح لبنى إسرائيل: وَأَلْحِلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ . (آل عمران: ٥٠) ولهذا كان المشهور من قول العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة<sup>(١١٤)</sup> .

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ. أى: وجعلنا الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى هدى يهتدى به، وزاجرا عن ارتكاب المحارم والمآثم لمن اتقى الله وخاف عقابه .

٤٧- وَلِحُكْمِ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ... الآية

أمر من الله تعالى لأهل الإنجيل من المسيحيين بأن ينفذوا الأحكام الواردة في الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، وهذا الأمر ممتد إلى البعثة المحمدية؛ لأن البشارة وردت بمحمد في الإنجيل . فهم مأمورون بأن يعملوا بما فيه، ومن جملة ما فيه: دلائل رسالته ﷺ ووجوب اتباعه فيما يجيء به .

وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . أى: ومن لم يحكم بما أنزل الله في الإنجيل، ولم يتبع ما ورد فيه من البشارة بمحمد ﷺ والإيمان برسالته، فأولئك هم المتمردون الخارجون عن حكمه .

جاء في تفسير المنار<sup>(١١٤)</sup> .

وأنت إذا تأملت الآيات السابقة ظهر لك نكتة التعبير بالكفر في الأولى ويوصف الظلم في الثانية، ويوصف الفسوق في الثالثة .

ففي الآية الأولى: كان الكلام في التشريع وإنزال الكتاب مشتملاً على الهدى والنور والتزام الأنبياء وحكماء العلماء بالعمل والحكم به .. فكان من المناسب أن يختم الكلام ببيان أن كل معرض عن الحكم به لعدم الإذعان له مؤثراً لغيره عليه؛ يكون كافراً به .

وأما الآية الثانية: فلم يكن الكلام فيها في أصل الكتاب الذي هو ركن الإيمان بل في عقاب المعتدين على الأنفس أو الأعضاء ... فمن لم يحكم بحكم الله في ذلك؛ يكون ظالماً في حكمه .

وأما الآية الثالثة: فهي في بيان هداية الإنجيل وأكثرها مواعظ وآداب وترغيب في إقامة الشريعة على الوجه الذي يطابق مراد الشارع وحكمته ...

فمن لم يحكم بهذه الهداية ممن خوطبوا؛ فهم الفاسقون بالمعصية، والخروج من محيط تأديب الشريعة<sup>(١١٥)</sup> .

★ ★ ★

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ط  
فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا  
مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَلُوكُمْ فِيمَا  
ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ  
تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

## المفردات:

مهيمنا عليه : مسيطراً .

شريعة : شريعة .

ومنهاجا : طريقا واضحا فى تطبيق هذه الشريعة .

ليبلوكم : ليختبركم .

فاستبقوا الخيرات : أى : فليستبق كل منكم الآخر إلى فعل الخيرات .

## التفسير:

٤٨ - وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ... الآية

المراد بالكتاب الأول: القرآن، وأل فيه للعهد، والمراد بالكتاب الثانى: جنس الكتب السماوية  
فيشمل التوراة والإنجيل .

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ . أى: رقيباً على ما سبقه من الكتب السماوية وأميناً وحاكماً عليها؛ لأنه هو الذى  
يشهد لها بالصحة ويقرر أصول شرائعها .

## والمعنى:

لقد أنزلنا التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، وأنزلنا إليك يا محمد الكتاب الجامع لكل  
ما اشتملت عليه الكتب السماوية من هدايات وقد أنزلناه متلبساً بالحق الذى لا يحوم حوله باطل،  
وجعلناه مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ . أى: مؤيداً لما فى هذه الكتب التى تقدمته من دعوة إلى عبادة  
الله وحده، وإلى التمسك بمكارم الأخلاق وجعلناه كذلك مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ . أى: أميناً ورقيباً وحاكماً على  
كل كتاب سبقه .



قال ابن كثير:

جعل الله هذا الكتاب العظيم الذى أنزله آخر الكتب وخاتمتها، جعله أشملها وأعظمها وأكملها: لأنه سبحانه جمع فيه محاسن ما قبله من الكتب وزاد فيه من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميراً وحاكماً عليها كلها، وتكفل سبحانه بحفظه بنفسه فقال: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** . (الحجر: ٩)

**فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ** . أى: فاحكم بين أهل الكتاب بالحق الذى أنزل إليك فى كتابه الكريم؛ فإنه المرجع السماوى الصحيح، المحفوظ من التحريف، وكل ما لا يتوافق فى التوراة والإنجيل منسوخ يحرم العمل به .

**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ** . أى: أهواء أهل الملل السابقة، ولا تعدل أو لا تنحرف عما جاءك من الحق . أى: الحق الذى أنزل الله عليك، فإن كل ملة من الملل تهوى أن يكون الأمر على ما هم عليه، وما أدركوا عليه سلفهم، وإن كان باطلاً منسوخاً أو منحرفاً عن الحكم الذى أنزله الله على الأنبياء، كما أرادوا فى الراجح ونحوه مما حرفوه من كتب الله <sup>(١٣١)</sup> .

**لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً** . أى: لكل أمة منكم يا بنى آدم جعلنا شريعة تناسب أحوالها وزمانها ومِنهَاجاً . أى: طريقاً واضحاً تسير عليه فى تنفيذ أحكام شريعتهم . فقد جعل الله التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله. وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن، وأما بعده فلا شرعة ولا منهاج إلا ما جاء به محمد ﷺ <sup>(١٣٢)</sup> .

وقال ابن كثير:

هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة فى الأحكام المتفقة فى التوحيد كما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أولى الناس بعبادى فى الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد» <sup>(١٣٣)</sup> .

أى: فى التوحيد الذى أرسل به كل رسول أرسله، وضمَّنه كل كتاب أنزله .

قال تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** . (الأنبياء: ٢٥)

**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** . بشريعة واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد .

وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ . أَيْ: ولكن أنزل إليكم شرائع ومناهج مختلفة: ليعاملكم معاملة من يختبركم فيما آتاكم من الشرائع ومدى امتثالكم لأحكامها، هل تعملون بها مذعنين لها، معتقدين أن في اختلافها نفعاً لكم في معاشكم ومعادكم ؟ وهل تستجيبون لدعوة خاتم أنبيائه: الذي جاءكم بالشرعة التي ختمت بها الشرائع، لتكون شريعة الناس كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فَاسْتَقْبُوا الْخَيْرَاتِ : أَيْ: فليسبق كل منكم غيره إلى فعل الخيرات.

قال الشوكاني: أَيْ: فسابقوا أيها المسلمون غيركم من أصحاب الشرائع الذين عملوا على أساسها بطاعة الله، واعملوا بطاعة الله على أساس شريعتكم.

وقال الدكتور محمد سيد طنطاوي:

«لو شاء الله تعالى أن يجعل الأمم جميعاً أمة واحدة تدين بدين واحد وبشرعة واحدة لفعل، لأنه سبحانه لا يعجزه شيء، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، وإنما شاء أن يجعلكم أمماً متعددة: ليختبركم فيما آتاكم من شرائع مختلفة في بعض فروعها ولكنها متحدة في جوهرها وأصلها فيجازى من أطاعه بما يستحقه من ثواب، ويجازى من خالف أمره بما يستحقه من عذاب.

وإذا كان الأمر كما وصفت لكم؛ فسارعوا إلى القيام بالأعمال الصالحة وتنافسوا في عمل الخيرات بكل عزيمة ونشاط . ا هـ .

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . أَيْ: إلى الله وحده مصيركم ومرجعكم فيخبركم عند الحساب: بما كنتم تختلفون فيه في الدنيا، ويجازيكم بما تستحقون، ويفصل بين المحق منكم والمبطل، والعامل والمفرط .

﴿وَأَن أٰحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

## التفسير:

٤٩- وَأَن أٰحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ... أى: إن جاءوك لتحكم بينهم فأردت أن تحكم: فليكن حكمك طبقاً لما أنزل الله عليك لا طبقاً لما تهواه أنفسهم أو طبقاً لما فى كتبهم من التحريف .

روى ابن جرير وابن أبى حاتم، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت فى كعب ابن أسد، وعبد الله بن سوريا، وشاس بن قيس وغيرهم، فقد قالوا فيما بينهم: انهبوا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه، فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أننا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم، وإننا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقاضى لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدق فأبى ذلك رسول الله ﷺ - فأنزل الله الآية: وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ . التى يسىرون عليها ويتبعون طريقها: فإنها أهواء زائغة باطلة .

وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ . واحذرهم أن يضلوك أو يصدوك عن بعض ما أنزلنا إليك ولو كان أقل قليل، بأن يصوروا لك الباطل فى صورة الحق أو بأن يحاولوا حملك على الحكم الذى يناسب شهواتهم .

وقد كرر سبحانه على نبيه ﷺ وجوب التزامه فى أحكامه بما أنزل الله: لتأكيد هذا الأمر فى مقام يستدعى التأكيد: لأن اليهود كانوا لا يكفون عن محاولتهم فتنته - ﷺ - وإغرائه بالميل إلى الأحكام التى تتفق مع أهوائهم .

وإعادة: مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ . لتأكيد التحذير، بتسهيل الخطاب إذا تمكنوا من صرفه عن ذلك .

فَإِن تَوَلَّوْا . أى: أعرضوا عن قبول الحق المنزل، وأرادوا غيره، مما يتفق مع أهوائهم .

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ . ألا وهو ذنب التولى والإعراض عن حكم الله والرغبة فى خلافه .

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي:

فاعلم أن حكمة الله قد اقتضت أن يعاقبهم بسبب هذه الذنوب متى اقترفوها بتوليهم عن حكم الله وإعراضهم عنك وانصرافهم عن الهدى والرشاد إلى الغي والضلال؛ لأن الأمة التي لا تخضع لأحكام شرع الله وتسير وراء لذائها ومتعتها وشهواتها وأهوائها الباطلة لا بد أن يصيبها العقاب الشديد بسبب ذلك .

وَأَنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ومتضمن تسليية الرسول ﷺ عمًا لقيه من مخالفيه ولا سيما اليهود.

أى: وإن كثيرا من الناس لخارجون عن طاعتنا ، وتمرّدون على أحكامنا، ومتبعون لخطوات الشيطان الذي استحوذ عليهم، وإذا كان الأمر كذلك فلا تبتئس يا محمد عما لقيته من أصحاب النفوس المريضة، بل اصبر حتى يحكم الله بينك وبينهم .

★ ★ ★

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

التفسير:

٥٠ - أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ .... هذا إنكار وتعجب من حالهم وتوبيخ لهم .

والعنى: أينصرفون عن حكمك بما أنزل الله ويعرضون عنه فيبغون حكم الجاهلية مع أن ما أنزله الله إليك من قرآن فيه الأحكام العادلة التي ترضى كل ذى عقل سليم ومنطق قويم .

قال الألوسي: روى أن بنى النضير لما تآكروا إلى رسول الله ﷺ - فى خصومة قتيل وقعت بينهم وبين بنى قريظة، طلب بعضهم من رسول الله أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل .

فقال ﷺ: «القتلى بواء» أى: متساوون .

فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بحكمك؛ فنزلت هذه الآية <sup>(١٢)</sup>.

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . أى: ومن أعدل من الله فى حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وأمن به وأيقن، وعلم أنه سبحانه أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شىء والقادر على كل شىء والعدل فى كل شىء .

روى الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الناس إلى الله تعالى - من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلين ومن طلب دم امرئ بغير حق ليريق دمه»<sup>(١٢٨)</sup>.

ومجموع هذا الربع يبدأ ببناء الرسول الكريم بعدم المبالاة بما يصدر عن أولئك الذين يسارعون في الكفر، ثم خيرت الآيات الرسول ﷺ بين الحكم بينهم أو الإعراض عنهم إذا ما تحاكموا إليه .

ثم ويخت الآيات اليهود على إعراضهم عن أحكام الله العادلة التي أنزلها لعباده، ووصفت المعرضين عن حكمه سبحانه بالكفر تارة والفسق تارة أخرى .

ويعد أن مدحت التوراة والإنجيل، عقب ذلك ببيان منزلة القرآن الكريم، وأنه الكتاب الجامع في هدايته وفضله لكل ما جاء في الكتب السابقة .

ثم ختمت الآية بالتحذير من خداع اليهود ومكرهم وتوعدت كل من يرغب عن حكم الله إلى غيره بسوء العقاب وشديد العذاب .

★ ★ ★

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْتَرْعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَعَمْرُكُم حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَاصْبِرُوا خَيْرَ لَكُمْ ﴿٥٣﴾﴾

المضردات:

أولياء: أحبابا، أو أصدقاء، أو نصراء .

في قلوبهم مرض: شك ونفاق .

أن تصيبنا: أن تتركنا وتستأصلنا . من أصاب الشيء: أضره واستأصله .

دائرة: الدائرة: الهزيمة، أو الداهية. يقال: دارت عليهم الدوائر . أي: نزلت بهم الدواهي .

التفسير:

٥١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ... الآية

خطاب من الله تعالى لجميع المؤمنين يحذرهم فيه من مصافاة اليهود والنصارى مصافاة الأحباب ومعاشرتهم معاشرة الأصدقاء والنصرء .

وقد روى ابن جرير أن هذه الآية وما بعدها نزلت في عبد الله بن أبيّ حينما تشبث بمحافة اليهود وقال: إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من موالىّ .

وقيل: إنها نزلت في أبي لبابة الأنصارى حين قال لبنى قريظة إذا رضوا بحكم سعد بن معاذ: إنه الذبح. ثم أدرك أبو لبابة بعد ذلك أنه خان الله ورسوله .

والخطاب في الآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قال الدكتور محمد سيد طنطاوى:

أى: يأيها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لا يتخذ أحد منكم أحداً من اليهود والنصارى ولياً ونصيراً، أى: لا تصافوهم مصافاة الأحباب، ولا تستنصروا بهم؛ فإنهم جميعاً يد واحدة عليكم بيغونكم الغوائل، ويترصبون بكم الدوائر، فكيف يتوهم أن تكون بينهم موالاة لكم؟

لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ . أى: لا يتخذ أحد منكم أحداً منهم ولياً يعتمد عليه ويستنصر به ويتودد إليه ويخالطه مخالطة الأصفياء .

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . أى: لا تتخذوا أيها المؤمنون اليهود والنصارى أولياء؛ لأن بعض اليهود أولياء لبعض منهم وبعض النصارى أولياء لبعض منهم، والكل يضررون لكم البغضاء والنشر، وهم وإن اختلفوا فيما بينهم، لكنهم متفقون على كراهية الإسلام والمسلمين .

قال تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ (آل عمران: ٢٨) .

وقيل: مراد هذه الفقرة أن اليهود يوالون النصارى، والنصارى يوالون اليهود على عداوة النبي ﷺ وعداوة ما جاء به، وإن كانوا في ذات بينهم متعادين متضادين .

وَمَنْ يَتَّخِذْ مِنْكُمْ وَلِيًّا فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . أى: ومن يتودد إلى اليهود والنصارى ويستنصر بهم فإنه من جملتهم وليس مع جماعة المؤمنين .

والولاية لليهود والنصارى إن كانت على سبيل الرضا بدينهم والطعن في دين الإسلام؛ كانت كفرًا وخروجاً عن دين الإسلام، وإن كانت على سبيل المصافاة والمصادقة؛ كانت معصية تختلف درجاتها بحسب قوة الموالاة، وبحسب اختلاف أحوال المسلمين وتأثرهم بهذه الموالاة .

قال الفخر الرازي:

قوله: وَمَنْ يَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . قال ابن عباس: يريد كأنه مثلهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين .

روى عن أبي موسى الأشعري أنه قال: قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن لى كتابنا نصرانيا: فقال: مالك قاتلك الله ألا اتخذت حنيفيا، أما سمعت قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ .

قلت: له دينه، ولى كتابته، فقال: لا أكرمهم إذ أمانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أذنبهم إذ أبعدهم الله، قلت: لا يتم أمر البصرة إلا به، فقال: مات النصراني والسلام .

يعنى: هب أنه مات فماذا تصنع بعد، فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره<sup>(١٣٣)</sup>

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أى: إن الله لا يوفق إلى قبول الحق، أولئك الذين ظلموا أنفسهم باختيار الضلالة على الهدى، وظلموا غيرهم بإيذائهم ومضاربتهم، وتدبير الكيد لهم، فلا يهدى إلى الإيمان من ظلم نفسه من المسلمين . بموالاته غير المؤمنين، واتباع غير طريق المسلمين .

وفى ختام الآية بهذا: زجر شديد للمؤمنين عن موالاته اليهود والنصارى، وأنه ظلم للإسلام، لا يهدى الله صاحبه .

### ٥٢- فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ... الآية

نزلت هذه الآية فى المنافقين. كانوا يصلون بحالهم باليهود خوفا من وقوع هزيمة بالمسلمين.

روى ابن الجوزى أن اليهود والنصارى كانوا يجلبون الطعام والميرة للمنافقين ويقرضونهم فيوادونهم فلما نزلت: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ . قال المنافقون: كيف نقطع مودة قوم إن أصابتنا سنة وسعوا علينا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ومن قال: نزلت فى المنافقين ولم يعين مجاهد وقتادة<sup>(١٣٤)</sup> والمراد بالمرض الشك والنفاق. ومعنى: يُسَارِعُونَ فِيهِمْ . أى: يسارعون فى موالاتهم، أو معاونتهم على المسلمين.

والمعنى: يا محمد ترى أولئك المنافقين الذين ضَعُفَ إيمانهم وذهب يقينهم، يسارعون فى مناصرة أعداء الإسلام مسارعة الداخل فى الشيء أى: أنهم مستقرون فى مودتهم .

يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ . أئى: يقولون فى أنفسهم، أو للناصحين لهم بالثبات على الحق: اتركونا وشأننا فإننا نخشى أن تنزل بنا مصيبة من المصائب التى يدور بها الزمان، كأن تمسنا أزمة مالية، أو ضائقة اقتصادية، أو أن يكون النصر فى النهاية لهؤلاء الذين نواليهم فنحن نصادقهم ونصافهم: لنتقى شرهم ولتنال عونهم فى الملّمات والضوائق .

فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَا بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . وهو وعد من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين بأن يحقق لهم الغلبة على أعدائهم والقضاء عليهم. والمراد بالفتح: فتح مكة، أو فتح خيبر أو فتح بلاد المشركين أو نصر الإسلام وإعزازه، وكل ذلك قد كان. أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . أئى: أن يأتى الله بأمر من عنده لا يكون للناس فيه فعل البتة مثل: القضاء على اليهود وقطع دابرهم، أو هو الخصب والسعة للمسلمين، بعد أن كانوا فى ضيق من العيش، أو هو الجزية التى تفرض على اليهود والنصارى، أو هو إظهار أمر المنافقين. والحق أن كل ذلك قد حققه الله للمسلمين .

فَيُصِخِرُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . أئى: فيصبح هؤلاء المنافقون بعد أن جاء الفتح والنصر، أسفين متحسرين بسبب ما وقعوا فيه من ظن فاسد أو خائب «أو إذا ما عاينوا عند الموت فَيُشْرُوا بِالْعَذَابِ»<sup>(١٣٨)</sup> .

### ٥٣- وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَاءُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمْ... الآية

أئى: يقول الذين آمنوا لليهود على جهة التوبيخ، أهؤلاء المنافقون، الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم يمانهم أنهم يعينونكم على محمد بالمنصرة والمعاضدة فى القتال - ويحتمل أن يكون القول من المؤمنين بعضهم لبعض: أئى: أهؤلاء الذين كانوا يلقون أنهم مؤمنون فقد هتك الله اليوم سترهم، حَبِطَ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ . أئى: بطلت الأعمال التى كانوا يعملونها، أو كل عمل يعملونه فصاروا خاسرين فى الدنيا والآخرة .

### ملحق بالآيات عن علاقة المسلمين بغيرهم

هل النهى الوارد فى الآيات القرآنية عن موالة غير المسلمين على إطلاقه ؟

والجواب عن ذلك أن غير المسلمين أقسام ثلاثة :

القسم الأول: وهم الذين يعيشون مع المسلمين ويسالمونهم، ولا يعملون لحساب غيرهم ؛ ولم يبدر منهم ما يقضى إلى سوء الظن بهم ... وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ولا مانع من



مودتهم والإحسان إليهم كما فى قوله - تعالى - : لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . (الممتحنة: ٨).

والقسم الثانى: وهم الذين يقاتلون المسلمين، ويسئون إليهم بشتى الطرق وهؤلاء لا تصح مصافاتهم، ولا تجوز موالاتهم، وهم الذين عناهم الله فى الآيات التى معنا وفيما يشبهها من آيات كما فى قوله - تعالى - : إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . (الممتحنة: ٩) .

والقسم الثالث: قوم لا يعلنون العداوة لنا ولكن القرائن تدل على أنهم لا يحبوننا بل يحبون أعداءنا، وهؤلاء يأمرنا ديننا بأن نأخذ حذرنا منهم دون أن نعتدى عليهم ...

ومهما تكن أحوال غير المسلمين: فإنه لا يجوز لولى الأمر المسلم أن يوكل إليهم ما يتعلق بأسرار الدولة الإسلامية. أو أن يتخذهم بطانة له بحيث يطلعون على الأمور التى يؤدى إفتاؤها إلى خسارة الأمة فى السلم أو الحرب .

وبعد أن حذر - سبحانه - المؤمنين من ولاية اليهود والنصارى، عقب ذلك ببناء آخر وجهه إليهم، وبين لهم فيه أن موالات أعداء الله قد تجر إلى الارتداد عن الدين، وأنهم إن ارتدوا: فسوف يأتى الله بقوم آخرين لن يكونوا مثلهم، وأن من الواجب عليهم أن يجعلوا ولايتهم لله ولرسوله وللمؤمنين... فقال تعالى:

★ ★ ★

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ رَدَّدَ مِنْكُمُ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

المضردات:

يرتد، يرجع عما هو عليه .

أذلة: جمع ذليل، لين، رحيم، متواضع لا بمعنى مهين. أي: رحماء متواضعين .

أقوياء أشداء .

لومة: المرة من اللوم، ولامه: كدره بالكلام: لإتيانه ما لا ينبغى .

## التفسير:

٥٤- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ... الآية. من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى الكفر وإنكار ما جاء به الإسلام من تكاليف .

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ . بأناس آخرين .

يُحِبُّهُمْ . يرضى عنهم إذ هداهم إلى خيري الدنيا والآخرة .

وَيُحِبُّونَهُ . ويحرصون على طاعته وينصرون دينه .

أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين . أى: يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين، ويظهرون الغلظة والشدّة والترفع على الكافرين .

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ . يجمعون بين المجاهدة فى سبيل الله، وعدم خوف الملامة فى الدين، بل هم متصلبون لا يباليون بما يفعله أعداء الحق وحزب الشيطان، من الازدراء بأهل الدين، وقلب محاسنهم مساوئ، ومناقبهم مثالب؛ حسداً وبغضا وكراهية للحق وأهله<sup>(١٢٣)</sup> .

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . أى: ما تقدم من الأوصاف العظيمة، والفضائل الجليلة من محبة الله لهم، ومحبتهم لله تعالى، وحنوهم على المؤمنين، والشدّة على الكفار والجهاد فى سبيل الله - دون خشية أحد - إنما هو لطف الله وإحسانه، يتفضل بمنحه من يشاء من عباده، وذلك بتوقيفه للعمل على تحصيله والحرص على التحلى به .

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . كامل القدرة، كثير الأفضال، كامل العلم، محيط بكل شىء وقد تحدثت الآية عن يرتدون قبل أن تقع ردتهم، فكان ذلك إخباراً عن مغيبات، وكان معجزة للرسول ﷺ، وإعجازاً للقرآن الكريم، وقد ارتد من العرب فى أواخر عهد الرسول ﷺ ثلاث فرق :

١- بنو مدلج: تحت رياسة الأسود العنسى تنبأ باليمن، ثم قتله فيروز الديلمى .

٢- بنو حنيفة: أصحاب مسيلمة الكذاب وقد قتل فى حروب الردة .

٣- بنو أسد: قوم طلحة بن خويلد وقد هُزم وهرب إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه .

وقد قبض الله أباً بكر الصديق فجهز الجيوش لقتال المرتدين، واستطاع القضاء على هذه

الفتنة، وضمَّ المسلمين بعد أن كادوا يتفرقون وقد اختلف المفسرون في المراد بهؤلاء القوم الذين يأتي الله بهم، فقال بعضهم: أبو بكر الصديق ومن معه من المؤمنين .

وقال بعضهم : المراد بهم الأنصار .

وقال مجاهد: أهل اليمن .

وقال آخرون: كل من تنطبق عليه هذه الصفات الجليلة: فكل من أحب الله وأحبه الله، وتواضع للمؤمنين وأغلظ على الكافرين وجاهد في سبيل الله دون أن يخشى أحداً سواه فهو منهم .

★ ★ ★

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾  
وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

المضردات :

حِزْبٌ: حزب الله ، الحزب في اللغة: القوم الذين يجتمعون لأمر حزبهم. وحزبُ الرجل: أصحابه الذين يكونون معه على رأيه. وأظهر ما قاله المفسرون في بيان معناه: أنهم الذين يطيعون الله فيما أمر ونهى ، فينصرهم الله .

التفسير :

٥٥- إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ .

جاء في تفسير الطبري: أن جابر بن عبد الله قال: جاء عبد الله بن سلام للنبي ﷺ فقال: إن قومنا من بنى قريظة والنضير قد هجرونا وأقسموا ألا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابك: لبعده المنازل، فنزلت هذه الآية، فقال: رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء .

كما وردت عدة أقوال فيمن نزلت فيهم هذه الآية .

فقيل: إنها نزلت في أبي بكر الصديق . وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب، وقيل: الآية عامة في

جميع المؤمنين .

ومعنى الآية:

أن الوليَّ حقاً، الجدير بأن يستنصر به: هو الله تعالى وحده، وكذلك رسوله ﷺ والمؤمنون، فإن الاستعانة بهم استعانة بالله تعالى .

وقد جاءت هذه الآية تحريضاً للمؤمنين على الاستنصار بالله وبرسوله والمؤمنين، وتحذيراً من موالاته غيرهم .

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . أَيْ: إنما وليكم الجدير بالولاء هو الله وحده وكذلك رسوله والمؤمنون .

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . أَيْ: الذين يحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها ويعطون الزكاة لمستحقيها وهم خاشعون خاضعون لأمر الله لا يتكبرون على أحد من الفقراء .

جاء في تفسير زاد المسير لابن الجوزي:

والمراد بالركوع ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ركوع الصلاة .

ثانيها: أنه صلاة التطوع بالليل والنهار، وإنما أفرد الركوع بالذكر؛ تشريراً له .

ثالثها: أنه الخشوع والخضوع وأنشدوا:

ولا تهن الفقير علك أن تر كع يوماً والدهر قد رفعه

أَيْ: لا تتناول على الفقير فربما أصابك الذل والفقير يوماً . وارتفع شأن هذا الفقير فصار غنياً أو عظيماً .

ذكر ابن كثير والفخر الرازي وغيرهم من المفسرين أن الآية عامة في حق جميع المؤمنين، فكل من كان مؤمناً حقاً فهو نصير لجميع المؤمنين .

ونظيره قوله تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . (التوبة: ٧١) .

قال الراغب: «الركوع: الانحناء وتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة، وتارة يستعمل في التذلل والتواضع إما في العبادة، وإما في غيرها ... (١٣٠)» .

٥٦- وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ .

ذكر الشوكاني في سبب نزول الآية:

أنه لما حاربت بنو قينقاع من اليهود رسول الله ﷺ تمسك عبد الله بن أبي حلفه معهم، أما عبادة ابن الصامت، فمشى إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلفهم، وكان له من حلفهم مثل ما لعبد الله بن أبي، لكنه خلعه إلى رسول الله ﷺ . وقال: أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلف هؤلاء الكفار ولايتهم .

قال الطبري:

«أى من فُوض أمره إلى الله، وامتلأ أمر رسوله وولى المسلمين فهو من حزب الله»<sup>(١٣١)</sup>. وهم المؤمنون القائمون بنصر شريعة الله، الذين يطيعون أمره ويجتنبون نهيه، فكان لهم النصر على أعدائهم.

\* \* \*

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَعِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ  
وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَعِيبًا ذَلِكَ  
يَأْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

المضردات :

هُزُوعًا هُزًا بفلان: سَخِرَ مِنْهُ، واستخف به. واتخذ هُزُوعًا أي: جعله موضع سخرية منه.

التفسير :

٥٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَعِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ  
وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ .. الآية

ورد في تفسير القرطبي، وتفسير الألوسی وغيرهما روايات في أسباب نزول هذه الآية من ذلك ما يأتي:

أخرج ابن إسحاق وجماعة عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرتا الإسلام وناقفا، وكان رجال من المسلمين يوادؤنها، فأنزل الله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا... الآية<sup>(١٣٢)</sup>

وروى عن ابن عباس أن قوما من اليهود والمشركين ضحكوا من المسلمين وقت سجودهم فأنزل الله تعالى هذه الآيات<sup>(١٣٣)</sup>.

والآيات في حد ذاتها خطاب من الله تعالى لجمع المؤمنين ينهاهم عن موالاة المتخذين للدين هُزُوعًا ولعبا، وهذا النهي يعم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتميين إلى الإسلام<sup>(١٣٤)</sup>

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ... أئى: لا تجعلوا أيها المؤمنون - أولئك الذين تلاعبوا بدينكم من أهل الكتاب والكفار واستهزؤوا به وسخروا منه، بإظهار الإسلام بألسنتهم مع الإصرار على الكفر بقلوبهم - أولياء أبدا.

وصدّر أهل الكتاب فى الذكر: لزيادة التشنيع عليهم؛ لأنهم أعرف بالتدين السليم ممن سواهم، ممن كفروا ولا دين لهم .

وَأَقْرَأُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . وهذه الجملة تذييل قصد به استنهاض همتهم لامتنال أمر الله تعالى، والهاب نفوسهم؛ حتى يتركوا موالاة أعدائهم بسرعة ونشاط .

أئى: واتقوا الله فى سائر ما أمركم به وما نهاكم عنه، فلا تضعوا مواليتكم فى غير موضعها، ولا تخالفوا لله أمرا إن كنتم مؤمنين حقا .

٥٨ - وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ . ورد فى سبب نزول هذه الآية أن منادى رسول الله ﷺ كان إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، على سبيل الاستهزاء والضحك، فنزلت هذه الآية (١٢٥) .

وروى أن الكفار لما سمعوا الأذان؛ حسدوا رسول الله ﷺ والمسلمين على ذلك وقالوا: يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم نسمع به فيها مضى من الأمم فمن أين لك صباح مثل صباح العير، فما أقبحه من صوت، وما أسمى من أمر (١٢٦) .

ومعنى الآية:

وإذا ناديتم - أيها المؤمنون - بعضكم بعضا إلى الصلاة عن طريق الأذان اتخذ هؤلاء الضالون الصلاة والمنادة بها موضعا لسخريتهم وعبثهم وتهكمهم .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ . لأن الهزؤ واللعب شأن أهل السفه والخفة والطيش، فكيف بمن يهزأ بشعائر دين الله تعالى:

والصلاة هى شعار المؤمنين وفيها صلة روحية بالله تعالى وفيها عبادة وطهارة وذكر وخشوع وتبتل، وليس فيها شيء مما يدعو إلى السخرية .

قال ابن كثير:

هذا تغيير من موالاة أعداء الإسلام من الكتابيين والمشركين، الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهى شرائع الإسلام المطهرة . المحكمة المشتملة على كل خير دنيوى وأخروى، يتخذونها هزوا،

يستهنون بها، ولعبا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد كما قال القائل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأفته من الفهم السقيم<sup>(١٣٣)</sup>.

وقال القرطبي في تفسير الآية: ولم يكن الأذان بمكة قبل الهجرة، وإنما كانوا ينادون الصلاة جامعة، فلما هاجر النبي ﷺ وحرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان، وبقيت الصلاة جامعة للأمر يعرض، والأذان فرض على الكفاية، وقيل: سنة مؤكدة، وقيل: مستحب لساكن المصر أن يؤذن ويقوم فإن استجزأ بأذان الناس وإقامتهم أجزأه<sup>(١٣٤)</sup>.

★ ★ ★

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَتَقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ۗ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَظِيبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

المضردات :

تتقون : تعيبنون علينا وتتكرون منا .

الطاغوت : رأس الضلال . وقيل: الشيطان ، أو كل معبود من دون الله .

مثوبة ، المثوبة والثواب : الجزاء على الأعمال خيرا ، وشرها ، وكثر استعماله في الخير .

التفسير :

٥٩- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ...

سبب نزولها: أن نفرا من اليهود أتوا رسول الله ﷺ فسألوه عن يؤمن به من الرسل فذكر جميع الأنبياء، فلما ذكر عيسى، جددوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم دينا شرا من دينكم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها<sup>(١٣٥)</sup>.

ومعنى تقمت: بالغت في كراهية الشيء، والمعنى: هل تكرمون منا إلا إيماننا وفسقكم لأنكم علمتم أننا على الحق، وأنكم فسقتم .

وجاء في التفسير الوسيط :

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا . أئى: ما تنكرون منا وتعيبون علينا إلا إيماننا بالله وما أنزل إلينا من القرآن المجيد وإيماننا بما أنزل من قبل إنزال القرآن الكريم: من التوراة والإنجيل المنزّلين عليكم، وسائر الكتب السماوية، وكذلك إيماننا بأنكم قوم فاسقون متمردون على الحق خارجون عن الطريق المستقيم للصالح الإنساني، مكذبون بنبوّة محمد الذى بشرت به كتبكم وجاء لخلصكم<sup>(١١٠)</sup>.

وقال الشوكاني في فتح القدير فى معنى الآية:

هل تعيبون أو تسخطون أو تنكرون أو تكهون منا إلا إيماننا بالله وبكتبه المنزلة، وقد علمتم بأننا على الحق.

وَأَنْ أَكْفَرُكُمْ فَاسِقُونَ . بترككم للإيمان والخروج عن امتثال أوامر الله . ١ هـ .

ومن بلاغة القرآن الكريم وإنصافه فى الأحكام واحتراسه فى التعبير، أنه لم يعمم الحكم بالفسق على جميعهم، بل جعل الحكم بالفسق منصبا على الكثيرين منهم حتى يخرج عن هذا الحكم القلة المؤمنة من أهل الكتاب، وشببه بهذا قوله فى آية أخرى: **مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ** . (المائدة: ٦٦)

وفى الآية ما يسمى عند علماء البيان تأكيد المدح بما يشبه الذم وبالعكس . فمن الأول قول القائل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب

وقول الآخر:

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

أما تأكيد الذم بما يشبه المدح فى هذه الآية وما يشبهها . أئى: ما ينبغى أن ينقموا شيئا إلا هذا، وهذا لا يوجب لهم أن ينقموا شيئا، إذا فليس هناك شيء ينقمونه، ومادام الأمر كذلك، فينبغى لهم أن يؤمنوا به ولا يكفروا، وفيه أيضا تقريع لهم حيث قابلوا الإحسان بسوء الصنيع<sup>(١١١)</sup>

٦٠- قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّعٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ

وَالنَّخَّازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ .. الآية

بين الله سبحانه لرسوله أن هناك قوماً فيهم من العيب ما هو أولى بالعيب، وهو ما هم عليه من الكفر الموجب للعن الله وغضبه ومسخه<sup>(١١٢)</sup>.



والمعنى:

قل لهم يا محمد على سبيل التبكيت والتنبية على ضلالهم: هل أخبركم أيها اليهود، بمن هم شر وأسوأ من أهل ذلك الدين عقوبة عند الله يوم القيامة؟!

هم أولئك الذين طردهم الله من رحمته، وأبعدهم عن رضوانه وحل عليهم سخطه، وهم:

مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ . أَيْ: وجعل منهم من يشبه القردة فى التقليد الأعمى، والخنازير فى الانغماس فى كل ما هو قدر. وكذلك جعل منهم الذين عبدوا الكهنة ورؤساء الضلال .

وفى المراد بالطاغوت هنا قولان :

أحدهما: الأصنام .

والثانى: الشيطان .

وفى القرطبى وابن كثير، وابن الجوزى عشرون قراءة فى كلمة وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ وفيها وجهان.

أحدهما: أن المعنى: وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت .

الثانى: أن المعنى: من لعنه الله وعبد الطاغوت. أَيْ: خدم الطاغوت وأطاع الظلم والباطل والفساد. والآية وردت على سبيل المشاكلة والمجاورة لتفكير اليهود الفاسد وزعمهم الباطل .

فكانه سبحانه يقول لنبيه :

إِنْ هَؤُلَاءِ يَمْحَدُونَ عَلَيْكُمْ بِإِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَبِالْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ شِرَاءً، قُلْ لَهُمْ:

لئن كنتم تعيبون علينا إيماننا وعتبونه شرا لا خير فيه فشر منه عاقبة ومالاً ما أنتم عليه من لعن وطرده من رحمة الله، وما أصاب أسلافهم من مسخ بعضهم قردة، وبعضهم خنازير. وما عرف عنكم من عبادة لغير الله .. وشبهه بهذه الآية فى مجازاة الخصم قوله تعالى: وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (سبأ: ٢٤)

أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا . أَيْ: هؤلاء الموغلون فى الاتصاف بتلك القبائح والخبائث التى أوقعتهم فى سوء المصير . هم فى شر المكانة وأحط المقام فى الدنيا والآخرة .

وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ . أَيْ: وهم أكثر ضلالا عن طريق الحق المستقيم من سواهم، فهم فى الدنيا يشركون بالله وينتهكون محارمه وفى الآخرة مأواهم النار ويئس القرار .

﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾  
 وَرَبِّي كَبِيرٌ مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾  
 لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا  
 يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

المفردات :

الإثْم : الذنب وكل المعاصي ، ويطلق على الكذب .

والعدوان : مجاوزة الحد في الظلم .

السُّحْت : الحرام .

لَوْلَا : هلاً ، وهى هنا : للتحضيض .

الربانيون : العلماء العارفون بالله ، يكونون في اليهود وغيرهم .

الأحبار : علماء اليهود ، وقيل : هما في اليهود ؛ لأن الحديث ما زال متصلاً ببيان شأنهم .

التفسير :

٦١ - وَإِذَا جَاءَ وَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ... الآية

نزلت هذه الآيات في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ فيظهرون له الإيمان والرضا بما جاء به؛ نفاقاً وخداعاً ومكرًا .

فإذا خرجوا من عنده خرجوا بالكفر كما دخلوا دون أن يتأثروا بما سمعوه من هدى الرسول وإرشاده فأنزل الله هذه الآيات لإظهار نفاقهم .

والمعنى: وإذا جاءوا إليكم أيها المؤمنون - أولئك اليهود - أظهروا أمامكم الإسلام وقالوا لكم: آمناً بأنكم على حق، وحالتهم وحقيقتهم أنهم قد دخلوا إليكم وهم متلبسون بالكفر، وخرجوا من عندهم وهم متلبسون به أيضاً، فهم يدخلون عليكم ويخرجون من عندهم وقلوبهم كما هي لا تتأثر بالمواعظ التي يلقيها الرسول ﷺ: لأنهم قد قست قلوبهم، وفسدت نفوسهم .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ . أى: والله أعلم بما كانوا يخفونه من نفاق وخداع وبغض للمسلمين وتدبير للكيد لهم وإلحاق أبلغ الضرر بهم .

وقد قال تعالى فى شأنهم أيضا: وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الدِّينِ ءَأَمِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكْفَرُوا ءَأَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . (آل عمران: ٧٢)

٦٢- وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ .

أى: وترى - أيها الرسول الكريم - كثيرا من هؤلاء اليهود يسارعون فى ارتكاب الآثام والظلم وأكل المال الحرام بدون تردد أو تريت .

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . تذييل. قصد به تقبيح أعمالهم التى يأبأها الدين والخلق الكريم .

وفى هذه الآية نجد أن الله تعالى قال: وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ . ولم يقل: وتراهم؛ لأن قليلا منهم كانت فيهم إنسانية فيستعملون، فيتركون المعاصى .

وأكثر ما يستعمل لفظ المسارعة فى الخير قال تعالى: نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ . (المؤمنون: ٥٦)

فاستعماله هنا يدل على أنهم كانوا يرتكبون المعاصى وكانهم على حق فيما يفعلون.

٦٣- لَوْلَا يَهْتَابُهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ .

أى: هلا قام العلماء بالنهى عن التسابق إلى ارتكاب المعاصى والانغماس فى الشهوات؟

السُّحْتُ: هو المال الحرام كالربا والرشوة، سُمى سحتا من سحتة إذا استأصله؛ لأنه مسحوت البركة أى: مقطوعها، أو لأنه يذهب فضيلة الإنسان ويستأصلها، واليهود أرغب الناس فى المال الحرام وأحرصهم عليه، والرَّبَّانِيُّونَ: جمع ربانى وهم العلماء الحكماء البصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم . والأَحْبَارُ: جمع حبر، وهم علماء اليهود وفقهاؤهم المفسرون لما ورد فى التوراة من أقوال وأحكام .

جاء فى فتح القدير للشوكانى عند تفسير الآية :

أى: لقد ترك علماءهم نهيبهم عن المنكر الذى يقولونه بألسنتهم، وما يأكلونه من الحرام والرشا والظلم .

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . فبئس الصنيع من علمائهم هذا التهاون فى إبقائهم واقعين فى الحرام دون إنكار ولا تغيير، فوبخ سبحانه الخاصة وهم العلماء التاركون للأمر والنهى عن المنكر، بما هو أغلظ وأشد من توبيخ فاعلى المعاصى، فهم أشد حالا، وأعظم وبالا من العصاة، فرحم الله عالما قام بما أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر<sup>(١٤٣)</sup> .

وقال ابن جرير: كان العلماء يقولون: ما فى القرآن آية أشد توبيخا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوف عليهم منها .

وقال ابن كثير: روى الإمام أحمد أن رسول ﷺ قال: «ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصى، وهم أعز منه وأمنع ولم يغيروا؛ إلا أصابهم الله منه عذاب»<sup>(١١١)</sup>.

وروى ابن أبى حاتم عن يحيى بن يعمر قال: خطب على بن أبى طالب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم؛ بركوبهم المعاصى، ولم ينههم الربانيون والأحبار فلما تمادوا؛ أخذتهم العقوبات؛ فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذى نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا<sup>(١١٢)</sup>.

وجاء فى تفسير القرطبي للآية:

روى سفيان بن عيينة قال: حدثنى سفيان بن سعيد عن مسعر قال: بلغنى أن ملكا أمر أن يخسف بقرية فقال: يا رب، فيها فلان العابد، فأوحى الله إليه: «أن به فابدا، فإنه لم يتمعر»<sup>(١١٣)</sup> وجهه فى ساعة قط»<sup>(١١٤)</sup>.

وفى صحيح الترمذى «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه؛ أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»<sup>(١١٥)</sup>.

★ ★ ★

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَئِنْ يَدَكَ كَبِيرًا مَتَّعْنَاهُمْ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَاتُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَعْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

المضردات :

يد الله : اليد فى كلام العرب تكون: للجارحة، وللنعمة، وللقوة، وللقدرة، وللصلة، وللتأييد، وللنصرة .

مغلولة : الغل: قيد من الجلد، أو الحديد يوضع فى اليد أو العنق . ومرادهم بذلك: أنها مقبوضة، بخيلة بالعطاء .

مبسوطستان ، البسط: المد بالعتاء، والمراد منه هنا: الجود والإعطاء .  
أوقدوا ناراً للحرب ، أوقد النار: أشعلها. والمراد هنا: أثاروا الفتنة، ودبروا المكائد التي تؤدي إلى وقوع الحرب بين الناس .

التفسير:

٦٤- وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَغْلُوبَةً ... الْآيَةَ

سبب النزول:

جاء في تفسير القرطبي ما يأتي:

قال عكرمة: إنما قال هذا فنحاص بن عازوراء وأصحابه، وكان لهم أموال فلما كفروا بمحمد ﷺ: قل ما لهم، فقالوا: إن الله بخيل، ويد الله مقبوضة عنا في العطاء، فالآية خاصة في بعضهم، وقيل: لما قال قوم هذا ولم ينكر الباقون؛ صاروا كأنهم بأجمعهم قالوا هذا .

وقال الحسن: المعنى: يد الله مقبوضة عن عذابنا .

وقيل: إنهم لما رأوا النبي ﷺ في فقر وقلة مال وسمعوا: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا. (البقرة: ٢٤٥)

ورأوا النبي ﷺ قد كان يستعين بهم في الدييات قالوا: إن إله محمد فقير وربما قالوا: بخيل، وهذا معنى قولهم: يُدُّ اللَّهُ مَغْلُوبَةً . فهو على التمثيل كقوله: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ. (الإسراء: ٢٩).

ويقال للبخيل: جعد الأنامل، ومقبوض الكف، وكز الأصابع ومغلول اليد<sup>(١٤٨)</sup> .

والسبب فيه أن اليد آلة لأكثر الأعمال، لا سيما في دفع المال وإنفاقه فأطلقوا اسم السبب على المسبب وأسندوا الجود والخير إلى اليد والكف فقيل للجواد: فيأض اليد، مبسوط الكف، وقيل للبخيل: مقبوض اليد، كز الكف ...

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَغْلُوبَةً . أي: أن الله بخيل علينا بما عنده من المال والعطاء والرزق، أو المراد: أنه فقير لا يجد ما يعطيه لنا، حيث قالوا في الآية ١٨١ من سورة آل عمران: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ .

وهذا نوع من جرأة اليهود على الله وسوء أدبهم معه وتوبيخ لهم على جحودهم نعم الله التي

لا تحصى .

غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعْنُوا بِمَا قَالُوا . وهو دعاء عليهم بالشح المرير وبالبخل الشنيع بأن يخلق سبحانه فيهم الشح الذي يجعلهم منبذين من الناس، ومن ثم كان اليهود أبخل خلق الله، وحكم عليهم بالطرده من رحمة الله تعالى.

قال الآلوسى: ويجوز أن يكون المراد بغل الأيدي: الحقيقة أن يغلوا فى الدنيا أسارى، وفى الآخرة معذبين فى أغلال جهنم، ومناسبة هذا لما قبله حينئذ من حيث اللفظ فيكون تجنيسا، وقيل من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول: سبني سب الله دابره أى: قطعه؛ لأن السب أصله القطع<sup>(١٠١)</sup> وقد حقق الله قضاءه فيهم، فكانوا أبخل الناس فى الدنيا، وأحرصهم على المال، وبأعوا فى الآخرة بالخلود فى النار .

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ . أى: ليس الأمر كما زعمتم أيها اليهود، بل هو سبحانه الواسع الفضل، الجزيل العطاء، وما من شيء إلا عنده خزائنه .

فبسط اليد هنا: كناية عن الجود والفضل والإنعام منه - سبحانه - على خلقه وقد أشير بثنية اليد إلى تقرير غاية جوده وغناه .

فإن أقصى ما تصل إليه همة الجواد السخى أن يُعطى بكلتا يديه .

وقوله: يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ . جملة مستأنفة واردة؛ لتأكيد كمال جوده، والدلالة على أنه ينفق على مقتضى حكمته ومشئته، فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقبضه ممن يشاء؛ لحكمة يعلمها ولا نعلمها.

قال تعالى: **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ** (الشورى: ٢٧)

وقال تعالى: **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** . (آل عمران: ٢٦)

وروى البخارى، ومسلم، وأحمد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى قال: أنفق أنفق عليك»**<sup>(١٠٢)</sup> وقال رسول الله ﷺ: **«يمين الله ملاءى لا يغيضها نفقة، ساء»**<sup>(١٠٣)</sup> الليل والنهار، أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغيض ما فى يمينه، قال: وعرشه على الماء ويبدده الأخرى القبض يرفع ويخفض.<sup>(١٠٤)</sup>

قال القرطبي:

يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ. يرزق كما يريد، ويجوز أن تكون اليد في هذه الآية بمعنى: القدرة أي: قدرته شاملة، إن شاء وسع وإن شاء قتر.

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا. المراد بالكثير: علماء اليهود ورؤساؤهم، أي: إذا نزل شيء من القرآن فكفروا به: ازداد كفرهم.

والقرآن بطبيعته كتاب هداية وشفاء للنفس من ضلالها لكن اليهود قوم أكل الحقد قلوبهم واستولى الحسد على نفوسهم فهم يضمنون إلى حقدهم القديم وكفرهم السابق كفرا جديدا بكل ما نزل عليك يا محمد.

قال تعالى: وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا. (الإسراء: ٨٢)

وقد أكد الله هذه الجملة بالقسم المطوى وباللأم الموطنة له، وبنون التوكيد الثقيلة: لكي ينتفى الرجاء في إيمانهم وليعاملهم النبي ﷺ على أساس مكنون نفوسهم الخبيثة وقلوبهم المريضة بالحسد والخداع.

وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قال ابن عطية: وكان العداوة . شيء يُشْهَدُ يكون عنه عمل وحرب، والبغضاء لا تتجاوز النفوس.

والمعنى: وألقينا بين طوائف اليهود المتعددة، العداوة الدائمة والبغضاء المستمرة، فلا تتوافق قلوبهم، ولا تتطابق أقوالهم أبداً إلى يوم القيامة.

ولقد كانوا كذلك طوال تاريخهم، منذ أن أرسل إليهم الرسل، ودأبوا على قتل الأنبياء بغير حق، ثم كذبوا محمداً ﷺ، واستمروا على اقتراف جرائمهم، وازدادوا فيها، قال تعالى: بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى .. (الحشر: ١٤)

كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ. أي: كلما هموا بحرب لرسول الله ﷺ أفسد الله عليهم خطتهم وأحبط مكرهم، وألقى الرعب في قلوبهم، أو كلما حاربوا أحداً أو جماعة غلبوا وهزموا، وقد كان أمرهم كذلك على مدى التاريخ.

جاء في تفسير القرطبي:

وقيل: إن اليهود لما أفسدوا وخالفوا كتاب الله - التوراة - أرسل الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فأرسل عليهم تيطس الرومي، ثم أفسدوا فبعث عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث عليهم المسلمين فكانوا كلما استقام أمرهم شتتهم الله كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا. أي: أهاجوا شرًا، وأجمعوا أمرهم على الحرب قهرهم الله ووهن أمرهم فذكر النار مستعاراً<sup>(١٥١)</sup>.

والعرب كانوا إذا أرادوا حرباً بالإغارة على غيرهم أوقدوا ناراً يسمونها: نار الحرب.

وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. أي: أن حال هؤلاء اليهود أنهم يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله، وأنهم يسعون سعيًا حثيثًا للإفساد في الأرض عن طريق إثارة الفتنة وإيقاظ الأحقاد بين الناس.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. بل يبغضهم ويمقتهم؛ لإيثارهم الضلالة على الهدى والشر على الخير.

وقد كانت أصابع اليهود وراء نيران الحروب والعداوة في تاريخهم الطويل.

ومنذ القدم واليهود كلما جمعوا جموعهم وأعدوا عدتهم لإيذاء الناس، أو إشعال نار الفتنة على عباد الله؛ شتت الله شملهم، وخيب رجاءهم ودمر كيدهم.

★ ★ ★

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

المضردات ،

أقاموا التوراة والإنجيل ، فعدوا ما فيها من الأحكام التي شرعها الله لخير الإنسانية ، والتزموا بالمحافظة على أديانها .

لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، المراد: لو سَعَّ الله عليهم أرزاقهم .

منهم أمة مقتصدة ، الاقتصاد في اللغة: الاعتدال من غير غلو ولا تقصير أي: من اليهود طائفة معتدلة، وهم الذين آمنوا إيمانًا حقيقيًا بمحمد ﷺ .



وكثير منهم ساء ما يعملون، كثير من اليهود ظلوا على الكفر وأفرطوا في العداوة والبغضاء فبئس ما عملوا .

التفسير:

٦٥ - وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

والمعنى: ولو أن أهل الكتاب - من اليهود والنصارى - آمنوا برسول الله ﷺ وبما جاء به من حق ونور واتقوا الله تعالى وأقبلوا على طاعته بصدق وإخلاص لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ . أى: غفرنا ذنوبهم وسترنا عليهم فى الدنيا ولأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ فى الآخرة .

قال الفخر الرازى:

واعلم أنه سبحانه لما بالغ فى ذمهم وفى تهجين طريقتهم عقب ذلك ببيان أنهم لو آمنوا واتقوا؛ لوجدوا سعادات الآخرة والدنيا، أما سعادات الآخرة فهى محصورة فى نوعين: أحدهما: رفع العقاب، والثانى: إيصال الثواب، أما رفع العقاب: فهو المراد بقوله: لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ .

وأما إيصال الثواب: فهو المراد بقوله: وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

وأما سعادات الدنيا فقد ذكرناها فى قوله بعد ذلك وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ .

٦٦ - وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ... الآية

والمعنى: لو أن أصحاب الكتاب عملوا بما فى التوراة والإنجيل وأقاموا الحدود ولم يحرفوا الكلم عن مواضعه .

وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ . أى: القرآن الكريم .

لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ . يعنى: المطر والنبات أى: لوسعنا عليهم فى أرزاقهم وأكلوا أكلا متواصلا .

قال القرطبي:

ونظير هذه الآية قوله تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . (الطلاق: ٣٠٢)

وقوله سبحانه: وَأَلْوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا . (الجن: ١٦)

وقوله عز شأنه: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . (الأعراف: ٩٦)

فجعل التقوى من أسباب الرزق كما فى هذه الآيات ووعد بالمزيد لمن شكر فقال: لئن شكرتم لأزيدنكم . (إبراهيم: ٧)

منهم أمة مَّقْتَصِدَةٌ . وهم المؤمنون منهم كالنجاشى وسلمان، وعبد الله بن سلام وغيرهم من المؤمنين بالرسول السابقين وبمحمد ﷺ، وقيل: أراد بالاعتصام: قوما لم يؤمنوا ولكنهم لم يكونوا من المؤذنين المستهزئين .

وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْمِلُونَ . وجماعة كبيرة من أهل الكتاب أكثروا من فعل السيئات، وأعرضوا عن الإيمان وحرّفوا الكتب وكذبوا الرسل وأكلوا السحت، وكان من حالهم ما يثير العجب والدهشة .

\*\*\*

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦٧)

المضردات :

يَعْصِمُكَ ، يحفظك وينجيك .

التفسير :

٦٧- يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ....

وردت روايات فى سبب نزول هذه الآية، منها: أن رجلاً حاول قتل النبي ﷺ فحال بينه وبين ما يريد، فانزل الله تعالى هذه الآية، كما ورد فى تفسير ابن كثير . وأورد الفخر الرازى عشرة أقوال فى سبب نزولها ثم قال: واعلم أن هذه الروايات وإن كثرت إلا أن الأولى حمل الآية على أن الله تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك لأن ما قبل هذه الآية بكثير، وما بعدها بكثير لما كان كلاما عن اليهود والنصارى، امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها ...

فالأية عامة لتثبيت قلب النبي ﷺ وأمره بالمضى فى تبليغ رسالته بدون خوف من أعدائه .

لقد ناداه الله بعنوان الرسالة فى هذه السورة الكريمة مرتين .

دعاه في الأولى منها إلى عدم الحزن على مسارعة الكفار في إنكار رسالته .

ودعاه في هذه الآية إلى تبليغ جميع ما أنزل عليه من الآيات البينات: لعموم رسالته للبشر أجمعين .

والمعنى: يأبها الرسول الكريم، المرسل إلى الناس جميعا، بَلِّغْ . أى: أوصل إليهم ما أنزل إليك من ربك . أى: كل ما أنزل إليك من ربك من الأوامر والنواهي والأحكام والآداب والأخبار .. دون أن تخشى أحدًا إلا الله .

وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ . وإن لم تبليغ كل ما أنزل إليك من ربك؛ كنت كمن لم يبلغ شيئا مما أوحاه الله إليه، لأن ترك بعض الرسالة يعتبر تركا لها كلها، وتقصيرا في أداء الأمانة، وحاشاه ﷺ أن يقصر في حق الله تعالى.

جاء في الصحيحين أن سائلا سأل الإمام عليا رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما كان في كتاب الله؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن .<sup>(١٤٤)</sup>

وروى البخارى والترمذى: «من حدثك أن محمداً كتّم شيئا مما أنزل عليه؛ فقد كذب»<sup>(١٤٥)</sup>.

لقد قال الله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . (الحجر: ٩) وفيها دلالة على أن الله تعالى تكفل بحفظ كتابه الذي أمر الرسول بتبليغه فبلغه .

قال الزهري - فيما رواه البخارى - من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، وقد شهدت أمته له بتبليغ الرسالة في حجة الوداع، وقد أدى هذه الشهادة أربعون ألفا حضروا معه حجة الوداع .

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ . أى: بلغ الرسالة، والله تعالى - يحفظك من كيد أعدائك ويمنك من أن تعلق نفسك بشيء من شبهاتهم واعتراضاتهم، ويصون حياتك من أن يعتدى عليها أحد بالقتل أو الإهلاك .

وهذا لا ينافى ما تعرض له - ﷺ - من بأساء وضراء وأذى بدني، فقد رماه المشركون بالحجارة حتى سالت دماؤه، وشج وجهه، وكسرت رباعيته في غزوة أحد، والمراد بالناس هنا: المشركون والمنافقون واليهود ومن على شاكلتهم في الكفر والضلال والعتاد .

ولقد تضمنت هذه الجملة الكريمة معجزة كبرى للرسول ﷺ، فقد عصم الله تعالى حياة الرسول ﷺ من أن يصيبها قتل أو إهلاك على أيدي الناس مهما دبروا له من مكر وكيد، لقد نجاه من كيدهم عندما اجتمعوا لقتله في دار الندوة ليلة هجرته إلى المدينة .

ونجاه من كيد اليهود عندما هموا باللقاء حجر عليه وهو جالس تحت دار من دورهم .  
 ونجاه من مكرمهم عندما وضعت إحدى نسائهم السم في طعام قَدَم إليه، إلى غير ذلك من  
 الأحداث التي نجاه الله منها .  
 وقد أخرج الترمذى والحاكم عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحرس ليلا حتى نزلت وَاللَّهُ  
 يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ . فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: «أيها الناس، انصرفوا فقد  
 عصمني الله»

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . تذييل قصد به تعليل عصمته ﷺ، وتثبيت قلبه، أى: إن الله - تعالى -  
 لا يهدي القوم الكافرين إلى طريق الحق بسبب عنادهم وإيثارهم العمى على الرشد... ولا يوصلهم إلى ما  
 يريدون من قتلك، ومن القضاء على دعوتك، بل سينصرك عليهم ويجعل العاقبة لك.

★ ★ ★

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَازِلَتِ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ طُعِينًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

المفردات:

حتى تقيموا: حتى تؤدوا أداء كاملا على أحسن وجه .  
 طغيانا، الطغيان: تجاوز الحد في الضلال .  
 فلا تأس، فلا تحزن .

التفسير:

٦٨- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ... الآية

ادعى اليهود أنهم على ملة إبراهيم، وأنهم متمسكون بالتوراة وأنهم على الحق والهدى، ولن  
 يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ<sup>(١٧٧)</sup> فأُنزل الله تعالى هذه الآية .

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى:

يا أهل الكتاب، لستم على شيء يعتد به من العقيدة الصحيحة: حتى تلتزموا بما أنزل الله في  
 التوراة والإنجيل، وحتى تؤمنوا بمحمد ﷺ، ولا تفرقوا بين الرسل .

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرَقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . (النساء: ١٥٠، ١٥١).

والمعروف أن اليهود والنصارى حَرَفُوا التوراة والإنجيل، ولم يعملوا بما بقى بين أيديهم منها، فارتكبوا المنكرات واتبعوا الشهوات .

وَمَا أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ . أى: لستم على شىء يعتد به من أمر الدين حتى تؤمنوا بما أنزل إليكم من ربكم من قرآن كريم يهدى إلى الرشد .

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ... أمعن اليهود فى الضلال والإضلال وجاوزوا الحد فى الكفر والعناد، وكان الأولى بهم أن يستجيبوا لهداية القرآن ويستمعوا لآياته بقلوب مفتوحة راغبة فى الاستفادة .

لكنهم بدلا من أن يزدادوا إيمانا بما أنزل الله إليك، ازدادوا إمعانا فى الكفر والطغيان، إلا قليلا منهم استجابوا للحق فأمنوا بما أنزله الله عليك من الآيات البينات، وبقي الكثيرون على ضلالهم القديم .

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . أى: إذا كان شأن الكثيرين كذلك فلا تحزن عليهم، ولا تتأسف على القوم الكافرين فإنهم هم الذين استحَبوا العمى على الهدى، وحسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين. وليس المراد: نهيه ﷺ عن الحزن والأسى؛ لأنهما أمران طبيعيين لا قدرة للإنسان عن صرفهما، وإنما المراد نهيه عن لوازمهما .

كالإكثار من محاولة تجديد شأن المصائب، وتعظيم أمرها، وبذلك تتجدد الآلام ويحزن القلب.

★ ★ ★

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقِينَ وَالصَّابِرِينَ مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

المضردات:

الصَّابِرُونَ، المائلون من عقيدة إلى عقيدة، والمراد: أتباع بعض الرسالات السماوية السابقة.

## التفسير:

٦٩- إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى ... الآية

إن أتباع الديانات السابقة من المؤمنين برسالة محمد ﷺ ومن اليهود المتمسكين برسالة موسى عليه السلام قبل المسيحية ممن لم يحرفوا كتب أنبيائهم .  
ومن الصابئين الذين تمسكوا بملة إبراهيم عليه السلام قبل نسخها .

(والصابئة: فرقة تعيش في العراق ولهم طقوس دينية خاصة بهم، ومن العسير الجزم بحقيقة معتقدهم؛ لأنهم أكتم الناس لعقائدهم. ويقال: إنهم يعيدون الملائكة أو الكواكب) .  
ومن المسيحيين الذي تمسكوا بالمسيحية، ولم يحرفوها قبل بعثة محمد ﷺ .

هؤلاء جميعا إذا آمنوا بالله تعالى إيمانا صحيحا غير ملتبس بالشرك، واستمسكوا بهذا الإيمان، واتبعوا أنبياءهم وما جاء على ألسنتهم من التبشير بمحمد ﷺ وآمنوا به عند مبعثه، وآمنوا بالبعث والنشور والجزاء، وعملوا الأعمال الصالحة؛ إن هؤلاء جميعا يظفرون بالثواب الجزيل على ما قدموه من إيمان وعمل صالح .

مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . إن كل من آمن من هؤلاء بالله واليوم الآخر - فإن الله تعالى يرضى عنه ويثيبه ثوابا حسنا .

ولا خوف على هؤلاء المؤمنين من عقاب ولا يعترهم حزن من سوء الجزاء فلا يخافون بخسا ولا رهقا ولا يحزنهم الفزع الأكبر .

يقول الدكتور طنطاري:

والإيمان المشار إليه في قوله: مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . يفسره بعض العلماء بالنسبة لليهود والنصارى والصابئين . بمعنى: صدور الإيمان منهم على النحو الذي قدره الإسلام فمن لم تبلغه دعوة الإسلام وكان ينتمى إلى دين صحيح في أصله بحيث يؤمن بالله واليوم الآخر، ويقوم بالعمل الصالح على الوجه الذي يرشده إليه دينه؛ فله أجره على ذلك عند ربه .

أما الذين بلغتهم دعوة الإسلام من تلك الفرق، ولكنهم لم يقبلوها فإنهم لا يكونون ناجين من عذاب الله مهما ادعوا أنهم مؤمنون بدين آخر؛ لأن شريعة الإسلام قد نسخت ما قبلها، والرسول ﷺ قال: لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي<sup>(١٠٨)</sup> .

ويعض العلماء يرى أن معنى مَنْ ءَامَنَ . أى: من أحدث من هذه الفرق إيمانا بالنبي ﷺ وبما جاء من عنده .

قالوا: لأن مقتضى المقام هو الترغيب فى دين الإسلام .

والآية الكريمة مسوقة للترغيب فى الإيمان والعمل الصالح .

وقد بدأت الآية بحرف إنّ وهو حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وكان مقتضى ذلك أن تكون هكذا.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ . لكن جمهور القراء قرأها وَالصَّابِغُونَ، وقرأ ابن كثير بالنصب .

ورفع: الصَّابِغُونَ؛ إبرازا لأنهم أيضا ناجون شأنهم شأن المؤمنين والنصارى واليهود، ودفعا لما

يسبق إلى الأذهان من أنهم عبدة أوثان .

وجاء فى حاشية الجمل على الجلالين:

وقوله: إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا . أى: إيماننا حقا لا نفاقا، وخبر إن محذوف وتقديره: فلا خوف عليهم

ولا هم يحزنون، دل عليه المذكور .

وَالَّذِينَ هَادُوا: مبتدأ فالواو لعطف الجمل أو للاستئناف وقوله: وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى عطف على

هذا المبتدأ وقوله: فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ . خبر عن هذه المبتدآت الثلاثة وقوله: مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .

بدل من كل منها بدل بعض من كل، فهو مخصص فكأنه قال: «الذين آمنوا من اليهود ومن النصارى

والصابغين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فالإخبار عن اليهود ومن بعدهم بما ذكر مشروط

بالإيمان لا مطلقا...» (١٠٠)

★ ★ ★

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولٌ

بِمَا لَاتَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَن لَّاتَكُونَ

فِتْنَةً فَعَمَّوْا وَصَمَّوْا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا كَثِيرًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ

بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

المفردات:

ميثاق: العهد القوى.

فتنة: الاختبار بالنار، ومعناها هنا: العذاب.

## التفسير:

٧٠ - لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ... الآية

أخذ الله العهد المؤكد على بنى إسرائيل بعبادته وحده وأداء جميع أوامره واجتناب جميع نواهيه .  
كما أرسل سبحانه إليهم رسلا ذوى عدد كثير وأولى شأن خطير؛ لكى يتعهدوهم بالتبشير  
والإنذار، بحيث لم يبق لهم عذر فى مخالفة العهد أو نقض الميثاق، وقد ذكر هذا الميثاق فى أماكن  
أخرى فى القرآن الكريم .

ففى الآية ١٢ من سورة المائدة يقول سبحانه:

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ  
وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ .

وقال سبحانه: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... (البقرة: ٨٤)

وقل عز شأنه: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ... (البقرة: ٨٤)

كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ . أى: أخذنا الميثاق المؤكد عليهم<sup>(١١٠)</sup>  
وأرسلنا إليهم رسلاً كثيرين لهدايتهم، ولكنهم نقضوا الميثاق، وعصوا الرسل وقابلوهم بالجدود  
والعدوان والتكذيب، ولم يقتصروا على التكذيب بل قتلوا بعض هؤلاء الرسل .

والتقدير، كلما جاءهم رسول بما يخالف أهواءهم، استكبروا ولجوا فى العناد فكذبوا فريقاً من  
الأنبياء وقتلوا فريقاً منهم، كما قال تعالى لهم: ... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ  
فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ . (البقرة: ٨٧)

٧١ - وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ...

فِتْنَةٌ . من الفتن وهو إدخال الذهب فى النار لتظهر جودته .. والمراد بها هنا: الشدائد والمحن  
والمصائب التى تنزل بالناس .

فَعَمُوا وَصَمُوا . من العمى الذى هو ضد الإبصار ومن الصمم الذى هو ضد السمع، وقد استعير  
هنا للإعراض عن دلائل الهدى والرشاد التى جاء بها الرسل .



والمعنى: لقد ظن اليهود أنهم لن يصيبهم بلاء بتكذيبهم للرسل وقتلهم لهم فأمنوا عقاب الله وتمادوا فى فنون البغى والفساد، وعموا وطمعوا عن دلائل الهدى والرشاد التى جاء بها الرسل واشتملت عليها الكتب السماوية .

ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ . أَيْ: ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ فُسَادٍ، ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رءُوسِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى فَعَادُوا إِلَى فُسَادِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ وَعَدْوَانِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ إِلَّا عِدَّةً قَلِيلًا مِنْهُمْ بَقِيَ عَلَى تَوْبَتِهِ وَإِيمَانِهِ .

وَاللَّهُ بِصِرِّهِمْ بَعْمًا يَعْلَمُونَ . أَيْ: وَاللَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَهُ عِلْمٌ مِنْ بَصِيرِ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ أَنْ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ .

وتفيد الآية: أن فساد اليهود وعمامهم وطمعهم عن الحق قد حصل مرتين، واختلف المفسرون فى المراد بهاتين المرتين على وجوه:

الأول: أنهم عموا وطمعوا فى زمان زكريا ويحيى وعيسى ثم تاب الله عليهم حيث وفق بعضهم للإيمان ثم عموا وطمعوا كثير منهم فى زمان محمد ﷺ .

الثانى: أن العمى الأول كان فى زمن بختنصر البابلى، وقد غزاهم سنة ٦٠٦ قبل الميلاد، ثم ساعدهم قورش ملك الفرس سنة ٥٢٦ قبل الميلاد فعادوا لبلادهم وأعادوا بناء هيكلهم .

ثم عموا مرة ثانية: فسلط الله عليهم الرومان بقيادة تيطس سنة ٧٠م.

قال القفال<sup>(١١١)</sup>: ذكر الله تعالى فى سورة الإسراء ما يجوز أن يكون تفسيراً لهذه الآية فقال:

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا . (الإسراء: ٤١)

قال الدكتور محمد سيد طنطاوى<sup>(١١٢)</sup> بعد أن نقل عن الفخر الرازى آراء المفسرين ثم عقب قائلاً:

«والذى نراه أن تحديد عمامهم وطمعهم وتوابعهم بزمان معين أو بجرىمة أو جرائم معينة تابوا بعدها - هذا التحديد غير مقنع، ولعل أحسن منه أن تقول:

إن القرآن الكريم يَصَوِّرُ ما عليه بنو إسرائيل من صفات ذميمة وطبائع معوجة، ومن نقض للعهود والمواثيق ... فهم أخذ الله عليهم العهود فنقضوها، وأرسل إليهم الرسل فاعتدوا عليهم، وظنوا أن عدوانهم هذا شيء هين ولن يصيبهم بسببه عقاب دنيوى، فلما أصابهم العقاب الدنيوى كالحقط والوباء والهزائم... بسبب مفاسدهم؛ تابوا إلى الله فقبل الله توبتهم، ورفع عنهم عقابه، فعادوا إلى

صماهم وضمهم - إلا قليلا منهم - وارتكبوا ما ارتكبوا من منكرات بتصميم وتكرار، فأصابهم - سبحانه - بفتن لم يتب عليهم منها ..

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. (المنكوت: ٤٠).

★ ★ ★

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٧٢)

التفسير:

٧٢- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ... الآية

بعد أن تحدث الله عن اليهود ونقضهم الميثاق، وتكذيبهم وقتلهم الأنبياء، شرع هنا فى الكلام عن النصارى فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.

قال الفخر الرازى: وهذا هو قول اليعقوبية، لأنهم يقولون: إن مريم ولدت إلهًا، ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حل فى ذات عيسى واتحد بذات عيسى ا هـ.

والمعنى: أقسم لقد كفر أولئك النصارى الذين قالوا كذبا وزورا: إن الله المستحق للعبادة هو المسيح ابن مريم مع أنه بشر ولا يصح أن يكون إلهًا.

ونسبة المسيح إلى مريم، للإيذان بأنه ليس له حظ من الألوهية وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ.

أى: قال المسيح مكذبا من وصفه بالألوهية:

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ . وحده ولا تشركوا به شيئا فهو ربى الذى خلقنى وتعهدنى بالتربية والرعاية، وهو ربكم الذى أنشأكم وأوجدكم ورزقكم من الطيبات . ومع أن الأنجيل قد حرفت، لكنها بقيت فيها بقية ناطقة بالتوحيد تؤيد أن المسيح عبد الله ورسوله، ومن ذلك ما قاله المسيح: «وهذه هى الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع: المسيح الذى أرسلته» يوحنّا ١٧-٣٠ .

قوله: «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» .

وقوله: «الرب إلهك نسجد وإياه وحده نعبد» متى ٤ - ١٠ .

وقوله: «ليس لأعمل لمشيئتي بل لمشيئة الذى أرسلنى» يوحنا ٦ - ٣٨ .

إنه من يُشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار . إن الحال والشأن، أن الله حرم الجنة على من أشرك فى عبادته أحداً من خلقه، وجعل مأواه النار . أى: جعل مستقره ومكانه النار بدل الجنة .

والجملة الكريمة تحذير من الاشراك بالله وبيان عاقبة الشرك فقد جمعت الآية بين العقوبة السلبية وهى حرمان المشرك من الجنة وبين العقوبة الإيجابية وهى الاستقرار فى النار .

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . أى: من ظلموا أنفسهم فقابلوا نعم الله المتوالية عليهم بالكفر لا ينقذهم أحد من عقابه ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، وهذه الجملة الكريمة، يحتمل أن تكون من كلام عيسى الذى حكاه الله عنه، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى؛ لتأكيد ما قاله المسيح من دعوته لقومه بعبادة الله وحده والتحذير من الشرك بالله تعالى .

★ ★ ★

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

التفسير:

٧٣- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ... الآية

لقد كفر الذين قالوا كذباً وزوراً: إن الله واحد من آلهة ثلاثة، والحق أنه ليس فى هذا الوجود إله مستحق للعبادة والخضوع سوى إله واحد وهو الله رب العالمين .

جاء فى التفسير الوسيط ما يأتى:

نصت الآية على كفر من قال: إنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ .

والتثليث هو العقيدة السائدة بين الطوائف المسيحية، حيث يطلقون على الله - سبحانه - لقب

الأب ويشركون معه الابن وهو عيسى، وروح القدس وهو جبريل .

لقد ادعوا أن المسيح ابن الله؛ لأنه ورد وصفه بهذا أربعاً وأربعين مرة في العهد الجديد - وهو يضم الأنجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها .

وهذا اللقب لم ينحصر في المسيح ولم يقتصر عليه، بل أطلق على آدم وعلى إسرائيل، وعلى داود، وعلى الملائكة وعلى المؤمنين جميعاً .

ومع هذا فقد ورد أيضاً في العهد الجديد وصف المسيح بما يقرب من ضعفى هذا العدد بأنه ابن الإنسان ثمانية وسبعين مرة<sup>(١٧٣)</sup> .

وطبيعى أن هذين الوصفين يهدمان البنية بمعنى الألوهية وإذا انهدمت البنية فقد انهدمت تبعاً لها الأبوة .

أما روح القدس : فهو جبريل عليه السلام، وهو من الملائكة المقربين، وهو بهذا من خلق الله وكلامهم فيه مضطرب مختل .

وأما كلمة التثليث: فقد اعترف كبار علماء اللاهوت - في قاموس الكتاب المقدس - أنها « لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها ترتيليان في القرن الثاني للميلاد، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية، ثم استقر التثليث بعد ذلك عند الكنيسة المسيحية، على يد أوغسطينوس في القرن الخامس<sup>(١٧٤)</sup> .

ومن هنا يتضح أن التثليث نبت بعد المسيح عليه السلام بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن، وأنه دخيل على المسيحية الحقّة الموحدة .

وبهذا استحق القائلون به الحكم بالكفر الصريح، وقال كبار الباحثين: إن التثليث تسرب إلى المسيحية من العقائد الوثنية الهندية القديمة .

وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ . وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ إِلَهُهُ إِلَّا وَاحِدًا .

أما تعدد الآلهة فهو وصم لها بالقصور والحاجة إلى الآخرين، ولو كان كل واحد قادراً على ما يخلق الآخرون فما فائدة التعدد، ولو كان كل واحد منهم عاجزاً فلا يصلحون جميعاً للألوهية، وإن كان البعض قادراً والبعض عاجزاً فالقادر هو الإله وحده .

وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَيْ: وَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا بِالتَّثْلِيثِ عَنْ عَقَائِدِهِمُ الزَّانِفَةَ وَأَقْوَالِهِمُ الْفَاسِدَةَ، وَيَعْتَصِمُوا بِعُرْوَةِ التَّوْحِيدِ .

لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَيْ: لِيَصِيبَنَّ الَّذِينَ اسْتَمَرُوا عَلَى الْكُفْرِ مِنْهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ .

وهذه الجملة تحذير من الله تعالى لهم عن الاستمرار في هذا القول الكاذب، والاعتقاد الفاسد الذى يتنافى مع رأى السيد والفكر القويم .

٧٤- أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ... الآية

هذه دعوة من الله لهم إلى التوبة من معتقداتهم الفاسدة. والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام. أى: أيسمعون ما يسمعون من الحق الذى يزهق باطلهم ومن النذر التى تترقق القلوب .. فلا يحملهم ذلك على التوبة والرجوع إلى الله وطلب مغفرته .

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . والحال أنه سبحانه عظيم المغفرة واسع الرحمة يقبل توبة التائبين ويغفر للنادمين ويرحم كل من جاء إليه. قال تعالى : غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لِإِلَهِ الْإِلَهِ هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ . (غافر: ٣) .

★ ★ ★

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ  
كَانَا يَا كُفُلَانِ الطَّعَامِ أَنْظَرَ كَيْفَ بَيَّنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرَ أَنِّي  
يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا  
وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾

التفسير:

٧٥- مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... الآية

ناقشت آيات سابقة اليهود ثم أتبع ذلك بمناقشة النصارى فى تأليه المسيح . وهنا تفيد الآيات أن عيسى عليه السلام رسول من البشر كسائر الرسل الذين سبقوه، مثل: نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الرسل الذين مضوا دون أن يدعى أحد منهم الألوهية، وأما أم عيسى فما هى إلا أمة من إماء الله كسائر النساء ديدنها الصدق مع خالقها عز وجل، أو التصديق له فى سائر أمورها .

ونسبة عيسى إلى مريم للدلالة على أنه ولد من غير أب، فإن الولد ينسب إلى أبيه لا إلى أمه وللدلالة على بشريته وبشريتها فإن التوالد من صفات البشر .

والأناجيل التي بين أيدينا تؤيد ما ذكره القرآن الكريم .

فقد جاء في إنجيل يوحنا ١٧ - ٣ - أن المسيح قال مخاطباً ربه : «أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» .

وَأُمُّ صِدِّيقَةٍ. الصديق: هو الذي يلتزم الصدق والحق .

ومريم من سلالة طاهرة . ونشأت في بيئة طيبة .

وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَاتِنِينَ . (الترسيم : ١٢) .

كَانَا يَا كِلَانِ الطَّعَامَ . وأكل الطعام : يستدعى الحاجة إليه للانتفاع به ويستدعى شرب الماء والإخراج وغير ذلك من صفات البشر .

قال الزمخشري : لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفوس، لم يكن إلا جسماً مركباً من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاق وأمزجة مع شهوة ... وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام وحاشا للإله أن يكون كذلك<sup>(١٧٧)</sup> .

انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ . أى: انظر يا محمد : كيف نبين لهم الأدلة المنوعة على حقيقة عيسى وأمه بيانا واضحا ظاهراً .

ثم انظر بعد ذلك كيف ينصرفون عن الإصاخة إليها والتأمل فيها لسوء تفكيرهم، واستيلاء الجهل والوهم والعناد على عقولهم .

قال ابن الجوزي في زاد المسير يُؤفَكُونَ: يُصرفون عن الحق ويُعدلون يقال: أفك الرجل عن كذا: إذا عدل عنه، وأرض مأفوكَة: محرومة المطر والنبات . كأن ذلك صرف عنها وعدل .

٧٦ - قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ... الآية

أى: قل يا محمد لهؤلاء الضالين من النصارى وأشباههم فى الكفر والشرك - قل لهم: أتعبدون معبودات غير الله تعالى، هذه المعبودات التي لا تملك أن تصيبكم بشيء من الضرر كالمرض والفقير، ولا تملك أيضاً أن تنفعكم بشيء من النفع كبسط الرزق ودفع الضرر وغير ذلك مما أنتم فى حاجة إلى .

فالآية الكريمة تنفى أن يكون هناك إله سوى الله تعالى يستحق العبادة والخضوع لأنه سبحانه هو المالك لكل شيء والخالق لكل شيء . أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . (الأعراف: ٥٤)

وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. أى: كيف تعبدون من لا يسمع نجواكم، ولا يعلم أموركم الخفية، ونياتكم الباطنة وتتركون عبادة الله المحيط علمه بالأمور والشئون وهو سبحانه يعلم السر وأخفى ؟ .

★ ★ ★

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

التفسير:

٧٧- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ... الآية

بين الله فيما سبق انحراف اليهود والنصارى عن دينهم القويم ثم دعاهم إلى التوبة والاستغفار .  
وهنا ينهاهم عن الغلو في الدين ومجاورة الحد .

قال الزمخشري: دلت الآية على أن الغلو في الدين غلوان: غلو حق: وهو أن يفحص عن حقائقه، ويفتش عن أبعاد معانيه، ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون ... وغلو باطل: وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع والضلال<sup>(٧٧)</sup> .

ومعنى الآية: قل لهم يا محمد، يأهل الكتاب لا ينبغي لكم أن تتجاوزوا القصد، ولا أن تخرجوا عن الحق والصواب كأن تعبدوا غير الله مع أنه هو الذى خلقكم ورزقكم، وكان تصفوا عيسى بأوصاف هو برىء منها .

روى أحمد والنسائي وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»<sup>(٧٨)</sup> .

وروى البخارى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»<sup>(٧٩)</sup> .

وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْرَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ . أئ: لا ينبغي لكم أن تنقادوا لشهوات الأحرار والرهبان من أسلافكم وعلماكم وروؤسانكم الذين قد ضلوا من قبل بعثة النبي ﷺ؛ بتحريفهم للكتب السماوية .

فأضلوا كثيراً ممن اتبعوهم وقلدوهم ووافقوهم على أكاذيبهم .

وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ . أئ: عن الطريق الواضح الذي أتى به النبي ﷺ وهو طريق الإسلام .

٧٨- لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ... الآية

اللعن هو الطرد من رحمة الله .

والمعنى: لعن الله الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان نبيين كريمين هما داود وعيسى عليهما السلام. أئ: لعنهم الله سبحانه فى الزبور على لسان داود، وفى الإنجيل على لسان عيسى.

وقد كان داود قائدا مظفراً قادهم إلى النصر بعد الهزيمة ومهد لم الملك .

وعيسى عليه السلام آخر أنبيائهم، وقد لقي منهم أشد أنواع الإيذاء، وقد حاولوا قتله فنجأه الله من كيدهم الأثيم، ولذا سماهم عيسى: أولاد الأفاعى<sup>(١٧٨)</sup> .

وقيل: إن أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت قال داود:

اللهم ألبسهم اللعنات مثل: الرداء ومثل المنطقة على الحقين؛ فمسخهم الله قرده .

وأصحاب المائدة لما كفروا بعيسى؛ قال: اللهم عذب من كفر من أصحاب المائدة عذابا لم تعذبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت<sup>(١٧٧)</sup> .

ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . أئ: استحقوا اللعن والطرده بسبب عصيانهم وتمردهم واستمرارهم فى البغي والعدوان حتى كذبوا بعض أنبيائهم، وقتلوا بعضهم، وبالغوا فى إيذاء الآخرين .

٧٩- كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ... الآية

أئ: أن من مظاهر عصيان الكافرين من بنى إسرائيل أنهم أهملوا واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، بل كانوا يرون المنكرات ترتكب فيسكتون عليها بدون استنكار مع قدرتهم على منعها قبل وقوعها وهذا شر ما تصاب به الأمم فى حاضرها ومستقبلها: أن تغشو فيها المنكرات والردائل فلا تجد من يستطيع تغييرها وإزالتها .



وقد أخذ العلماء من هذه الآية وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهما قوام الأمم، وسياس الدين .

روى الشيخان عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (١٧٧) .

وقد مدح الله أمة الإسلام بخصيصة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . (آل عمران: ١١٠)

وروى الإمام أحمد والترمذي، وأبو داود عن النبي ﷺ قال: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فجالسهم في مجالسهم أو في أسواقهم واكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» (١٧٨) .

وكان ﷺ متكننا فجلس - فقال: لا والذي نفسى بيده، حتى تأطروهم على الحق أطراً» (١٧٩) .  
أى: تحملوهم على الحق حملاً .

وفى رواية لأبي داود وابن ماجه والترمذي: «والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض، ثم يلعنكم كما لعنهم» (١٧٩) .

لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . واللام فى لبئس لام القسم .

أى: أقسم لبئس ما كانوا يفعلون، وهو ارتكاب المعاصي والعُدوان وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال صاحب الكشاف:

قوله: لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . للتعجب من سوء فعلهم مؤكداً لذلك بالقسم، فإيا حسرة على المسلمين فى إعراضهم عن باب التنهى عن المناكير، وقلة عبثهم به، كأنه ليس من ملة الإسلام فى شىء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات فى هذا الباب .

﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْلُغَ مَا قَدَّمْتَهُمْ أَنفُسَهُمْ  
 أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
 وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَلَكِن كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَقُوا ﴿٨١﴾ ﴾

## المضردات :

يتولون : يوالون ويناصلون .

سخط : غضب غضبا شديدا .

أولياء : نصراء .

فاسقون : خارجون عن شعائر الدين .

## التفسير :

٨٠- تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... الآية

أى: ترى أيها الرسول الكريم كثيرا من بنى إسرائيل يوالون مشركى قريش ومناقى المدينة  
 وكانوا على صلوات وثيقة بالروم فهم يوالون كل مناهض للإسلام؛ حسداً للرسول الكريم وكراهية  
 للإسلام والمسلمين .

والذى يقرأ تاريخ الدعوة الإسلامية يرى أن اليهود كانوا دائما يضعون العراقيل فى طريقها  
 ويناصلون كل محارب لها، ففى غزوة الأحزاب انضم بنو قريظة إلى المشركين ولم يقيموا وزنا  
 للعهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين المسلمين، وظلت عداوة اليهود للإسلام والمسلمين مستمرة  
 فى الماضى والحاضر، قال تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا. (المائدة: ٨٢)  
 ونشاهد الآن فى فلسطين ثورة الحجارة: وقيام اليهود بالقتل والقمع، والعدوان على الشباب والشيوخ  
 والأطفال الأبرياء والنساء .

وفى الحديث الصحيح : «لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ أحدهم وراء الحجر  
 فيقول الحجر يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله» .

لِيَبْلُغَ مَا قَدَّمْتَهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ . أى: ليبلغ ما قدمت لهم أنفسهم من أقوال كاذبة  
 وأعمال قبيحة وأفعال منكرة استحقوا بسببها سخط الله عليهم .

وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ . أَيْ: وسيكون جزاءهم على هذا في الآخرة الخلود في النار ومقاساة عذابها الأليم .

٨١- وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ ... ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله رباً وخالقاً، وبنبي الله موسى، ويؤمنون بالتوراة التي أنزلها الله عليه إيماناً سليماً ولو كانوا مؤمنين بهذا الإيمان الصادق؛ لكفوا عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصفياء؛ لأنَّ تحريم موالاتهم للمشركين متأكدة في التوراة وفي كل شريعة أنزلها الله على نبيٍّ من أنبيائه .

وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ . أَيْ: ولكن أكثر اليهود، خرجوا عن الجادة، وانحرفوا عن الديانة الحقّة إلى موالات الكافرين ومعاداة المؤمنين، وقد ذكّر سبحانه وصف الكثيرين منهم بالصفات الذميمة؛ إنصافاً للقلّة المؤمنة، وتمييزاً لها عن تلك الكثرة الكافرة الفاسقة .

إن الآيات الكريمة السابقة تحدثت طويلاً عن أهل الكتاب عامة وعن اليهود خاصة فذكرت نقضهم للعهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم، وذكرت دعاوهم الباطلة ومسالكهم الخبيثة لكيد الإسلام والمسلمين وتحدثت عن المصير المؤلم الذي ينتظرهم، كما سلك القرآن الكريم منهجاً قوياً في دعوتهم إلى الدين الحق وإلى التصديق بالنبي محمد ﷺ .

## خاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



تخريج أحاديث وهوامش  
تفسير القرآن الكريم  
(الجزء السادس)

خَرَجَ أَحَادِيثَهُ  
الْأَسْتَاذ  
مُجْمَلٌ سَعِيدٌ فَهْمِي

(١) اللهم اشدد وطأتك على مضر:

رواه البخارى فى الأذان ح ٨٠٤، ومسلم فى المساجد ح ٦٧٥، والنسائى فى التطبيق ح ١٠٧٤، وأبو داود فى الصلاة ح ١٤٤٢، وابن ماجه فى إقامة الصلاة ح ١٢٤٤، وأحمد ح ٧٢١٩، ٧٤١٥، والدارمى فى الصلاة ح ١٥٩٥.

(٢) لا تسبخى عنه:

رواه أبو داود فى الصلاة (١٤٩٧) وفى الأدب (٤٩٠٩) وأحمد فى مسنده (٢٣٦٦٣، ٢٤٥٣٠، ٢٤٥٣١، ٢٥٢٧٠) من حديث عائشة قالت سقرت ملحفة لها فجعلت تدعو على من سرقها فجعل النبي ﷺ يقول لا تسبخى عنه قال أبو داود لا تسبخى أى لا تخفى عنه.

(٣) جاء فى محيط الحيط:

سُبِّحَ عنه الحمى خففها ومنه قول الشاعر:

فسبخ عليك اللهم وأعلم بأنه إذا قدر الرحمن شيئا فكانت  
وسبُّ الحرُّ سكتَه، وسبُّ العرق سكتن من ضربان وألم. وسبُّ الحر سكتن وقتن.

(٤) التفسير الوسيط لجمع البحوث الإسلامية، الحزب الحادى عشر ص ٩٥٠.

(٥) ما نقص مال من صدقة

رواه مسلم فى البر والصدقة ح ٢٥٨٨، والترمذى فى البر والصدقة ٢٠٢٩، وأحمد ح ٧١٦٥، ٨٧٨٢، والدارمى فى الزكاة ح ١٦٧٦ من حديث أبى هريرة، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

(٦) تفسير الفخر الرازى ٩٠/١.

(٧) التفسير الوسيط للقرآن الكرم، تفسير سورة النساء، للدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، ص ٤٨٤ ط ٢.

(٨) تفسير القرطبى ٦ / ٤.

(٩) تفسير الطبرى ٦/٧.

(١٠) قيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجدا:

رواه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٠٢) وفى التفسير (٤٤٧٩، ٤٦٤١) ومسلم فى التفسير (٣٠١٥) والترمذى فى التفسير (٩٩٩٦) وأحمد (٢٧٤٤٩) من حديث أبى هريرة.

(١١) د. محمد سيد طنطاوى، تفسير سورة النساء ص ٤٩٦ ط ٢.

(١٢) د. محمد سيد طنطاوى تفسير سورة النساء ص ٤٦٨.

(١٣) تفسير الألوسى ١٠/٦، وقد ورد ذلك أيضا فى إنجيل برنابا.

(١٤) تفسير ابن كثير ١/٥٧٤.

(١٥) جاء فى إنجيل متى إصحاح ٢٦ فقرة ٣١ وإنجيل مرقس ١٤ فقرة ٢٧ - أن السيد المسيح قال حواريسه (كلكم يشكون فى هذه الليلة) يقصد الليلة التى قتل فيها، وهذا مصدق لما جاء فى القرآن من شكهم فيه.

(١٦) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ١ / ٣١٧.

(١٧) ﴿لكن﴾ حرف استدراك مهمل، و﴿الراسخون﴾ مبتدأ خبره جملة ﴿أولئك سنوتهم أجرا عظيماً﴾ وما بينهما صفات للراسخين في العلم من جهة المعنى، ولكنها عطف عليها تنزيلاً للاختلاف في العنوان منزلة الاختلاف في الذات.

(١٨) المقيمين وصف في المعنى لكلمة ﴿الراسخون﴾ وقد عدل عن رفعه بالعطف إلى قطعة ونصبه لإرادة المدح، وفي مصحف عبد الله ابن مسعود ﴿والمقيمون﴾ وقد أثرها سيد قطب في تفسيره.

(١٩) البحر احيظ ٣/ ٣٩٨.

(٢٠) رسالة التوحيد للأستاذ الإمام محمد عبده ص ١١٧ وما بعدها نقلاً عن تفسير سورة النساء للدكتور محمد سيد طنطاوي ص ٥٢١.

(٢١) تفسير ابن جرير الطبري ٣١/٦.

(٢٢) في ظلال القرآن ١٦/٦.

(٢٣) يقول صاحب رسالة الأصول والفروع أحد شراح العقيدة المسيحية: (قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاءً في المستقبل حين يكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات والأرض).. نقلاً عن كتاب النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة. ١ هـ وانظر في ظلال القرآن ٦ / ١٨.

(٢٤) لا تطروني كما أطرت:

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥) (٦٨٣٠) والدارمي في الرقاق (٢٧٨٤) وأحمد في مسنده (١٥٥، ١٦٥، ٢٣٣) من حديث عمر قال قال رسول الله ﷺ لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام فإنما أنا عبد فقولوا عبده ورسوله.

(٢٥) مجلة لواء الإسلام السنة ١٨ العدد ٩ تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد أبو زهرة.

(٢٦) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٦ / ١٩

(٢٧) تفسير الكشاف ١ / ٥٩٤.

(٢٨) انظر تفسير الألوسي ٦ / ٢٦ - ٣٦، وتفسير القاسمي ٥ / ١٧٦٥.

(٢٩) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٦ / ٢١١.

(٣٠) تفسير الفخر الرازي ١١٩/١١ طبعة عبدالرحمن محمد.

(٣١) القرآن صراط الله المستقيم:

رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن (٢٩٠٦)، والدارمي في كتاب فضائل القرآن (٣٣٣١)، وأحمد (٧٠١) من حديث علي بن أبي طالب. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال. قال السيوطي في «الدرر»: وأخرج ابن أبي شيبة والدارمي والترمذي وضعفه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن علي.. فذكره. قلت: وذكره الفتنى في تذكرة الموضوعات وقال: موضوع.

(٣٢) تفسير أبي السعود ١ / ٤٠١.

(٣٣) اهتم العلماء بأسباب نزول الآيات وتاريخ نزولها وبيان ما نزل منها نهاراً وما نزل ليلاً وما نزل شاء وما نزل صيفاً وما نزل بالمدنية وما نزل بأماكن أخرى غير مكة والمدنية. وهي عناية بالغة تكاد أن تجعل لكل آية سجلاً خاصاً وذلك من حفظ الله لكتابه، ومن الكتب التي عنت بذلك، كتاب أسباب النزول للواحدي وكتاب أسباب النزول للسيوطي. ومن كتب علوم القرآن: كتاب البرهان في علوم القرآن ليدر الدين الزركشي. والإيقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.

(٣٤) للسيد رشيد رضا في تفسير المنار طريقة حكيمة في اتباع تفسيره المطول بخلاصة للسورة. وأنصح بمرجعة هذه الخلاصة قبل قراءة تفسير المنار. وانظر خلاصة سورة المائدة ج ٧ ص ٢٧٦، فقد استعتت بها في كتابة هذا الموضوع. وانظر أيضا تفسير القرآن الكريم للإمام محمود شلتوت ص ٢٧٥ ط ٣.

(٣٥) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٦ / ٢٦

(٣٦) المرجع السابق

(٣٧) انظر مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد علي الصابوني ١ / ٤٧٧.

(٣٨) انصر أخاك ظالماً أو:

رواه البخاري في المظالم (٢٤٣٣، ٢٤٤٤) وفي الإكراه (٩٦٥٢) والترمذي في الفتن (٢٢٥٥) وأحمد في مسنده (١١٥٣٨، ١٢٦٦٦) من حديث أنس رضی الله عنه قال قال رسول الله ﷺ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال تأخذ فوق يديه. رواه مسلم في البر (٢٥٨٤) والدارمي في الرقاق (٢٧٥٣) من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال لينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً فإن كان ظالماً فلينبهه فإنه له نصرة وإن كان مظلوماً فلينبصره.

(٣٩) من دعا إلى هدى:

رواه مسلم في العلم ٢٦٦٤، وابن ماجه في المقدمة ٢٠٦، والدارمي في المقدمة ٥١٣، وأبو داود في السنة ٤٦٠٩، وأحمد ٨٩١٥، والترمذي في العلم ٢٦٧٤ من حديث أبي هريرة. ورواه ابن ماجه في المقدمة ٢٠٥ من حديث أنس إلا أنه يلفظ: أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبعه فإن له مثل أوزار من اتبعه ولا ينقص من أوزارهم شيئاً وأيما داع دعا إلى هدى فاتبعه فإن له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئاً.

(٤٠) في ظلال القرآن ٢٨/٦.

(٤١) إذا هم أحدكم بالأمر - الاستخارة -:

البخاري في الجمعة ١١٦٦، وفي الدعوات (٦٣٨٢)، وفي التوحيد ٧٣٩٠ وأبو داود في الصلاة (١٥٣٨)، والترمذي في الصلاة (٤٨٠) والنسائي في النكاح ٣٢٥٣، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١٣٨٣، وأحمد ١٤٢٧٩. كلهم من حديث جابر ومعنى «فأقدره لى»: أى اجعله مقدوراً لى، أو قدره. وقيل: معناه يسره لى.

(٤٢) إذا أرسلت كلبك المعلم:

رواه البخاري في الوضوء (١٧٥) وفي الذبائح (٥٤٧٥، ٥٤٧٦، ٥٤٨٥، ٥٤٨٦) ومسلم في الصيد (١٩٢٩) وأبو داود في الصيد (٢٨٥٤) والترمذي في الصيد (١٤٧٠) والنسائي في الصيد (٤٢٦٣) والدارمي في الصيد (٢٠٠٢) وأحمد في مسنده (١٧٧٨١، ١٨٨٨٢، ١٨٩٠٠) من حديث عدى بن حاتم قال سألت النبي ﷺ فقال: «إذا أرسلت كلبك المعلم فقتل فكل وإذا أكل فلا تأكل فإنما أمسكه على نفسه. قلت: أرسل كلبى فأجد معه كلباً آخر. قال: فلا تأكل فإنما سميت على كلبك ولم تسم على كلب آخر». ورواه البخاري في الذبائح (٥٤٧٨، ٥٤٨٨، ٥٤٩٦) وأبو داود في الصيد (٢٨٥٢، ٢٨٥٥، ٢٨٥٦) والترمذي في الصيد (١٤٦٤) وفي السير (٣٩٨٣) وفي الأطلعة (١٧٩٧) (١٧٢٧٩، ١٧٢٨٣، ١٧٢٩٦) وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٧) من حديث أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله ﷺ في صيد الكلب إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه وكل ما ردت عليك يدك.



(٤٣) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ١/٤٨٥

والتفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية حزب ١ ص ١٠١٨، وصفوة التفسير للأستاذ محمد على الصابوني ١/٣٢٨، وفي تفسير ابن كثير عن صحيح البخاري عن عائشة أنهم قالوا يا رسول الله إن قوما يأتوننا حديث عهدم بكفر بطلان لا ندري أنكر اسم الله عليها أم لا؟ فقال: (سواء أنتم وكلوا).

(٤٤) كل ما شئت والبس ما شئت:

ذكره البخاري تعليقاً في اللباس باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ وقال ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة.

(٤٥) في طلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٦/٣٢٢ بصرف واختصار .

(٤٦) إذا توضأ العبد المسلم خرج من وجهه:

رواه مسلم في الطهارة (٢٤٤) والترمذي في الطهارة (٢) ومالك في الموطأ كتاب الطهارة (٦٣) والدارمي في الطهارة (٧١٨) وأحمد في مسنده (٧٩٦٠) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب.

(٤٧) ويل للأعقاب من النار:

رواه البخاري في العلم (٩٦،٦٠) وفي الوضوء (١٦٣) ومسلم في الطهارة (٢٤١) وأبو داود في الطهارة (٩٧) والنسائي في الطهارة (١١١) وابن ماجه في الطهارة (٤٥١) والدارمي في الطهارة (٧٠٦) وأحمد في مسنده (٦٧٧٠) من حديث عبد الله بن عمرو قال خلف عنا النبي ﷺ في سفرة سافرناها فأردكنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً. رواه البخاري في الوضوء (١٦٥) ومسلم في الطهارة (٢٤٢) والترمذي في الطهارة (٤١) وابن ماجه في الطهارة (٤٥٣) وأحمد في مسنده (٧٠٨٢) من حديث أبي هريرة قال أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم ﷺ قال ويل للأعقاب من النار. رواه مسلم في الطهارة (٢٤٠) وأحمد في مسنده (٢٣٩٥٥) من حديث سالم مولى شداد قال دخلت على عائشة زوج النبي ﷺ يوم توفي سعد بن أبي وقاص فدخل عبدالرحمن بن أبي بكر فتوضأ عندها فقالت يا عبدالرحمن أسبغ الوضوء فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول ويل للأعقاب من النار. ورواه أحمد في مسنده (١٣٩٨٣) من حديث جابر قال رأى رسول الله ﷺ قوما يتوضئون فلم يمس أعقابهم الماء فقال ويل للأعقاب من النار.

(٤٨) سبب نزول صلاة الخوف:

رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨٤٠) من حديث جابر قال غزونا مع رسول الله ﷺ قوما من جبهة فقاتلونا قتالا شديداً فلما صلينا الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلاً لاقتطعناهم فأخبر جبريل رسول الله ﷺ ذلك فذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ قال وقالوا إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد فلما حضرت العصر قال صفنا صفين والمشركون بيننا وبين القبيلة قال فكبر رسول الله ﷺ وكبرنا وركع فركعنا ثم سجد وسجد معه الصف الأول فلما قاموا سجد الصف الثاني ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الثاني فقاموا مقام الأول فكبر رسول الله ﷺ وكبرنا وركع فركعنا ثم سجد معه الصف الأول وقام الثاني فلما سجد الصف الثاني ثم جلسوا جميعاً سلم عليهم رسول الله ﷺ وقال أبو الزبير ثم خص جابر أن قال كما يصلي أمرؤكم هؤلاء.

(٤٩) سفر أرمياء ٧، ٨ - ١١

(٥٠) إنجيل متى: إصحاح: ٢٣ فقرة: ١٣، ١٤، ٢٧، ٢٣ - ٣٥

(٥١) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٤١ / ٦

(٥٢) التسهيل ١٧٢/١

(٥٣) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٤٣/٦

(٥٤) مختصر تفسير ابن كثير ٥٠٠/١ تحقيق محمد علي الصابوني.

(٥٥) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٤٣/٦.

(٥٦) مختصر تفسير ابن كثير ٥٠٠/١.

(٥٧) أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم:

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٣، ٣٤٤٤) ومسلم في الفضائل (٢٣٦٥) وأبو داود في السنة (٤٦٧٥) (٢٧٤٦٨).  
 (٢٧٢٤٠) من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس  
 بيئي وبينه نبي.

(٥٨) من أصبح منكم آمناً في سربه:

رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦) وابن ماجه في الزهد (٤١٤١) من حديث سلمة بن عبید الله بن محصن الخطمي عن أبيه  
 وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت  
 له الدنيا. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية، وحيزت جمعت.

(٥٩) التسهيل ١٧٣/١.

(٦٠) راجع القصة بتمامها في سفر العدد - إصحاح ١٣، ١٤، ١٥ (تطلع على جبهتهم وعلعهم وما صاحب ذلك من الأساطير).

(٦١) تفسير الكشاف ١٢٦/١

(٦٢) تفسير الفخر الرازي ١٩٩/١١

(٦٣) تفسير الفخر الرازي ١٩٧/١١.

(٦٤) مقدمة ابن خلدون.. نقلا عن تفسير سورة المائدة د. محمد سيد طنطاوي ص ١٥٠.

(٦٥) تفسير المنار ج ٦ ص ٣٣٧ - بتصرف وتلخيص -.

(٦٦) هذا المعنى مستخلص من تفسير الطبري وتفسير ابن كثير.

(٦٧) إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل:

رواه البخاري في المغازي (٣٩٥٢) وفي التفسير (٤٦٠٩) وأحمد في مسنده (٣٦٩٠) من حديث ابن مسعود قال شهدت  
 من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال  
 لا نقول كما قال قوم موسى (انهدب أنت وريك فقاتلا) ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلقك فرأيت النبي  
 ﷺ أشرق وجهه وبصره يعني قوله. ورواه أحمد في مسنده (١١٦١١) من حديث أنس قال لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر  
 خرج فاستشار الناس فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنهم ثم استشارهم فأشار عليه عمر رضي الله عنهم فسكت فقال

رجل من الأنصار إنما يريدكم فقالوا يا رسول الله والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام (انهب أنت وريك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن والله لو ضربت أكباد الإبل حتى تبلغ برك الغنم لكنا معك.

(٦٨) جاء في التفسير الوسيط لجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: لم نجد سنداً لذلك في السنة.

(٦٩) تفسير القرطبي ٦ / ١٢٠ نقل عن أبي حيان.

(٧٠) تفسير القرطبي ٦ / ١٣٨.

(٧١) لا تغفل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم:

البخاري في الأنبياء ٣٣٣٦، وفي الدييات ٦٨٦٧، وفي الاعتصام ٧٢٢١، مسلم في القسامة ١٦٧٧، الترمذي في العلم ٦٦٧٣، النسائي في تحريم الدم ٣٩٨٥، ابن ماجه في الدييات ٢٦٦٦، وأحمد ٣٦٢٣، ٤٠٨١، ٤١١٢.

(٧٢) تفسير القرطبي ٦ / ١١٥.

(٧٣) تفسير القرطبي ٦ / ١١٥.

(٧٤) الندم توبة:

رواه ابن ماجه في الزهد (٤٧٥٢) وأحمد في مسنده (٤٠٠٢، ٣٥٥٨) من حديث ابن معقل قال دخلت مع أبي على عبد الله فسمعته يقول قال رسول الله ﷺ الندم توبة فقال له أبي أنت سمعت النبي ﷺ يقول توبة قال نعم. قال العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود، ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين. قال المنار في الفيض: قال في شرح الشهاب هو حديث صحيح وقال ابن حجر في الفتح حديث حسن.

(٧٥) تفسير المنار ٦ / ٣٤٧.

(٧٦) تفسير القرطبي ٦ / ١٤٦.

(٧٧) مادة الضعل لما فيه من الزيادة على القصاص، من أنه لا يسقط بالعفو، لكونه حق الشرع، والمراد من التصليب: التصليب مع القتل.

(٧٨) الحسم: الكي لمنع سيلان الدم.

(٧٩) نهى رسول الله ﷺ عن المثلة:

رواه البخاري في المظالم (٢٤٧٤) وفي الذبائح (٥٥١٦) وأحمد في مسنده (١٨٢٦٥) من حديث عبد الله بن يزيد الأنصاري قال نهى النبي ﷺ عن النهي والمثلة. ورواه النسائي في تحريم الدم (٤٠٤٧) من حديث أنس قال كان رسول الله ﷺ يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة. ورواه أبو داود في الجهاد (٢٦٦٧) من حديث الهياج بن عمران أن عمران أبوق له غلام فجعل الله عليه لئن قدر عليه ليقطعن يده فأرسلني لأسأل له فأتيت سمرة بن جندب فسألته فقال كان نبي الله ﷺ يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة فأتيت عمران بن حصين فسألته فقال كان رسول الله ﷺ يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة. ورواه أحمد في مسنده (١٧٦٨٦) من حديث المغيرة بن شعبة قال نهى رسول الله ﷺ عن المثلة.

(٨٠) تفسير القرطبي ٦ / ١٥٩ طبعة دار الكتب المصرية.

(٨١) اللهم رب هذه الدعوة التامة:

رواه البخاري في الأذان (٦١٤) وفي التفسير (٤٧١٩) وأبو داود في الصلاة (٥٢٩) والترمذي في الصلاة (٢١١) والنسائي في الأذان (٦٨٠) وابن ماجه في الأذان (٧٢٢) وأحمد في مسنده (١٤٢٠٩) من حديث جابر بن عبد الله أن

رسول الله ﷺ قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة.

(٨٢) لا تنسنا يا أخی من دعائك:

رواه أبو داود في الصلاة (١٤٩٨) والترمذي في الدعوات (٣٥٦٢) وابن ماجة في المناسك (٢٨٩٤) وأحمد في مسنده (١٩٦) من حديث عمر رضی الله عنهم قال استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي وقال لا تنسنا يا أخی من دعائك فقال كلمة ما يسرنى أن لي بها الدنيا قال شعبة ثم لقيت عاصما بعد بالمدينة فحدثني وقال أشركنا يا أخی من دعائك. قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه عاصم بن عبيد الله بن عاصم وفيه كلام كثير لغفلة وقد وثق.

(٨٣) اللهم إنا كنا نوسل إليك ببيك:

رواه البخاري في الجمعة (١٠١٠) وفي المناقب (٣٧١٠) من حديث أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضی الله عنهم كان إذا قحطوا استسقى بالعجاس بن عبدالمطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون.

(٨٤) يوتي بالرجل من أهل النار فيقال له:

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤) وفي الرقاق (٦٥٥٧، ٦٥٣٨) ومسلم في صفة القيامة (٢٨٠٥) وأحمد في مسنده (١١٩٠٣) من حديث أنس يرفعه إن الله يقول لأهل النار عذابا لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفقدي به قال نعم قال فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك.

(٨٥) التفسير الوسيط جمع البحوث الإسلامية بالأزهر حزب ١٢ ص ١٠٦٦.

(٨٦) تفسير القرطبي ١٥٩/٦ طبعة دار الكتب المصرية.

(٨٧) يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة:

رواه مسلم في الإيمان (١٩١) وأحمد في مسنده (١٤٤١٤) من حديث جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة. ورواه البخاري في الرقاق (٦٥٥٩) وأحمد في مسنده (١٣٤٢٧) من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفح فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين. ورواه البخاري في الرقاق (٦٥٦٦) وأبو داود في السنة (٤٧٤٠) من حديث عمران بن حصين رضی الله عنهم عن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بشفاعتة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين.

(٨٨) انظر تفسير القرطبي ١٧٥ / ٦.

(٨٩) أنت ومالك لأبيك:

رواه ابن ماجة في التجارات (٢٢٩١) من حديث جابر بن عبدالله أن رجلا قال يا رسول الله إن لي مالا وولدا وإن أباي يريد أن يبتاع مالي فقال أنت ومالك لأبيك. قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري ورواه ابن ماجة في التجارات (٢٢٩٢) وأحمد في مسنده (٦٨٦٣) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إن أباي احتاج مالي فقال أنت ومالك لأبيك وقال رسول الله ﷺ إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من أموالهم. ورواه الشافعي في مسنده (٦٣٩) من حديث محمد بن المنكدر: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال إن لي مالا وعيالا وأنه يريد أن يأخذ مالي ويطمعه عياله فقال النبي ﷺ: «أنت ومالك لأبيك». قال الزيلعي في نصب الراية: قال ابن القطان: إسناده صحيح، وقال المنذرى: رجاله ثقات، وقال في التنقيح: «ويوسف بن إسحاق من الثقات المخرج لهم في «المصحيحين» قال: وقول الدارقطني فيه: غريب تفرد به عيسى عن يوسف لا يضره، فإن غرابة الحديث والتفرد به لا يخرج عن الصحة. قال المناوي في الفيض: قال ابن حجر في تخريج التهذيب: رجاله ثقات لكن

قال البزار: إنما يعرف عن هشام عن ابن المنكر مرسلًا وقال البيهقي: خطأ من وصله عن جابر (طب) وكذا البزار (عن سمرة) بن جندب قال الهيثمي: فيه إبراهيم بن عبد الحميد ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات وقال ابن حجر: فيه من طريق ابن مسعود هذا معاوية بن يحيى وهو ضعيف وأما حديث سمرة فإن العقبلي بعد تخريجه عنه قال: وفي الباب أحاديث فيها لين وبعضها أحسن من بعض وقال البيهقي: روى من وجوه موصولا لا يثبت مثلها وقال ابن حجر في موضع آخر قد أشار البخاري في الصحيح إلى تضعيف هذا الحديث.

(٩٠) تقطع يد السارق في ربع دينار:

رواه البخاري في الحدود (٦٧٨٩، ٦٧٩٠، ٦٧٩١) ومسلم في الحدود (١٦٨٤) ومالك في الموطأ كتاب الحدود (١٥٧٥) وأبو داود في الحدود (٤٣٨٣، ٤٣٨٤) والترمذي في الحدود (١٤٤٥) والنسائي في قطع السارق (٤٩١٤) وابن ماجه في الحدود (٢٥٨٥) والدارمي في الحدود (٢٣٠٠) وأحمد في مسنده (٢٣٥٥٩) من حديث عائشة قال النبي ﷺ تقطع اليد في ربع دينار فصاعدا.

(٩١) ادعوا الجلود عن المسلمين ما استطعتم:

رواه الترمذي في الحدود (١٤٢٤) من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ ادعوا الجلود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العقوبة. قلت: في إسناده يزيد بن زياد. قال الزيلعي في نصب الراية: ورواه الحاكم في «المستدرک»، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي في «مختصره»، فقال: يزيد بن زياد، قال فيه النسائي: متروك، انتهى. وقال الترمذي في «علله الكبير»: قال محمد بن إسماعيل: يزيد بن زياد منكر الحديث، ذاهب، انتهى. ورواه الدارقطني، ثم البيهقي في «سنينهما» مرفوعا، وقال البيهقي: للموقوف أقرب إلى الصواب. قلت وذكره أيضا من حديث علي وقال: وأما حديث علي: فأخرجه الدارقطني في «سننه» (٢) عن مختار التمار عن أبي مطر عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ادعوا الجلود»، انتهى. ومختار التمار ضعيف.

(٩٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢ / ٣٥٤.

(٩٣) تفسير القرطبي ٦ / ١٧٢.

(٩٤) لا قطع على خائن:

رواه أبو داود في الحدود (٤٣٩٢) والترمذي في الحدود (١٤٤٨) والنسائي في قطع السارق (٤٩٧١) وابن ماجه في الحدود (٢٥٩١) والدارمي في الحدود (٢٣١٠) وأحمد في مسنده (١٤٦٥٢) من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال لا يقطع الخائن ولا المنتهب ولا المختلس. قال المناوي في الفيض: قال ابن حجر رواه ثقات إلا أنه معلول بين ذلك أبو حاتم والنسائي. قال الزيلعي في نصب الراية: وسكت عنه عبدالحق في «أحكامه»، وابن القطان بعده، فهو صحيح عندهما، وفرقه أبو داود، فرواه بهذا الإسناد، ليس على المنتهب قطع، ومن انتهب نهبه مشهورة، فليس منا، وقال بهذا الإسناد: ليس على الخائن، ولا على المختلس قطع، انتهى. قال أبو داود: وهذان الحديثان لم يسمعهما ابن جريج من أبي الزبير.

(٩٥) أتشفع في حد من حدود الله:

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ح ٣٤٧٥، وفي الحدود ح ٦٧٨٨، ومسلم في الحدود ح ١٦٨٨، والترمذي في الحدود ح ١٤٣٠، والنسائي في قطع السارق ح ٤٨٩٩، ٤٩٠٢، وأبو داود في الحدود ح ٤٢٧٣، وابن ماجه في الحدود ح ٢٥٤٧، والدارمي في الحدود ح ٢٣٠٢.

(٩٦) تفسير القرطبي ٦/١٦٩ بصرف واختصار شديد، وتظيم.

(٩٧) تفسير المنار ٦/٣٨٤، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢ / ٣٥٤.

(٩٨) تفسير ابن كثير ٢/٥٦، زاد المسير لابن الجوزي ٢/٣٥٥

(٩٩) اقطعوا يدها فمن تاب من بعد ظلمه:

رواه أحمد في مسنده (٦٦٩) من حديث عبدالله بن عمرو أن امرأة سرقَت على عهد رسول الله ﷺ فجاء بها الذئب سرقتهم فقالوا يا رسول الله إن هذه المرأة سرقتنا قال قومها فنحن نغديها يعني أهلها فقال رسول الله ﷺ اقطعوا يدها فقالوا نحن نغديها بخمس مائة دينار قال اقطعوا يدها قال فقطعتم يدها اليمنى فقالت المرأة هل لي من توبة يا رسول الله قال نعم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فأنزل الله عز وجل في سورة المائدة ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح﴾ إلى آخر الآية. قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف. وبقيته رجاله ثقات.

(١٠٠) الحمد لله الذي طهرني منكم:

رواه ابن ماجه في الحدود (٢٥٨٨) من حديث ثعلبة الأنصاري أن عمرو بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنني سرقَت جملاً لبني فلان فطهرني فأرسل إليهم النبي ﷺ فقالوا إنا افتقدنا جملاً لنا فأمر به النبي ﷺ فقطع يده قال ثعلبة أنا أنظر إليه حين وقعت يده وهو يقول الحمد لله الذي طهرني منك أردت أن تدخلني جسدك النار. قلت: في إسناده ابن لهيعة.

(١٠١) اللهم إني أول من أحيا أمرك:

رواه مسلم في الحدود ح ١٧٠٠، وأبو داود في الحدود ح ٤٤٤٨، وابن ماجه في الحدود ح ٢٥٥٨، وأحمد ح ١٨٠٥٤ من حديث البراء.

(١٠٢) تفسير سورة المائدة د. محمد سيد طنطاوي ص ٢٠١

(١٠٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٥٨/٢.

(١٠٤) إن المقسطين على منابر من نور:

رواه مسلم في الإمامة (١٨٢٧) والنسائي في آداب القضاة (٥٣٧٩) وأحمد في مسنده (٦٤٥٦) من حديث عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا.

(١٠٥) تفسير القرطبي ١٨٩/٦، وقد نقل أكثر من أي من العلماء في معنى ﴿الربانيون والأحبار﴾ كما أجاد في نقل الآراء عن معنى آخر الآية.

(١٠٦) تفسير الفخر الرازي ١٢ / ٤.

(١٠٧) المفردات في غريب القرآن ص ١٤٩ للراغب الأصفهاني.

(١٠٨) تفسير سورة المائدة للدكتور محمد سيد طنطاوي ص ٢١٩ نقلاً عن تفسير الآلوسي ١٤٥/٦.

(١٠٩) التفسير الوسيط تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية الحزب ١٢ ص ١٠٨٠.

(١١٠) تفسير القرطبي ٦ / ١٩٠.

(١١١) قال في البحر: يعني أن كفر المسلم ليس مثل كفر الكافر. قلت وهو كفر النعمة عند الإباحية

(١١٢) ورد مثل هذه الأحكام في سفر الخروج. الإصحاح ٢١: ٢٣ - ٢٥ وفي سفر اللاويين الإصحاح ٢٤: ١٧/٢٠

(١١٣) التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية حزب ١٢ ص ١٠٨٢

(١١٤) تفسير ابن كثير ٦١/٢

(١١٥) لا يقتل مؤمن بكافر:

رواه أبو داود في الجهاد (٢٧٥١) وفي الدييات (٤٥٠٦) وأحمد في مسنده (٦٦٥٣) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال لا يقتل مؤمن بكافر ومن قتل مؤمناً متعمداً دفع إلى أوليائه المقتول فإن شاءوا قتلوه وإن شاءوا أخذوا الدية. ورواه ابن ماجه في الدييات (٢٦٦٠) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده. ورواه الترمذى في الدييات (١٤١٢) والنسائى في القسامة (٤٧٣٥)، من حديث القرآن وما في الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل فكناك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر. وقال عيسى حديث على حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود في الدييات (٤٥٣٠) والنسائى في القسامة (٤٧٣٥) من حديث على رضى الله عنهم أن النبي ﷺ قال المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده.

(١١٦) في نور القرآن د. عبدالله شحاتة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ م ص ٣٢.

(١١٧) ما من رجل يجرح في جسده جراحة:

رواه أحمد في مسنده (٢٢٢٨٦، ٢٢١٩٣) من حديث عباد بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من رجل يجرح في جسده جراحة فيصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به.

(١١٨) تفسير ابن كثير ٦٤/٢.

(١١٩) نقلا عن تفسير سورة المائدة د. محمد سيد طنطاوى ص ٢٣٤.

(١٢٠) تفسير المنار ٤٤/٦.

(١٢١) فتح القدير للشوكاني.

(١٢٢) فتح القدير للشوكاني.

(١٢٣) أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم:

تقدم ٩٦

(١٢٤) تفسير الآلوسى ١٥٦/٦.

(١٢٥) أبغض الناس إلى الله من يتغنى في الإسلام سنة الجاهلين:

رواه البخارى في الدييات (٦٨٨٢) من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ يغير حق ليهريق دمه.

(١٢٦) تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢.

(١٢٧) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزى ٣٧٨/٢

(١٢٨) تفسير الطبرى ٢١٨/٦

(١٢٩) فتح القدير للشوكاني.

(١٣٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٢.

(١٣١) تفسير الطبرى ٢٢٢/٦.

(١٣٢) تفسير الآلوسى ١٧١/٦.

- (١٣٣) تفسير القرطبي ٢٢٣/٦.
- (١٣٤) تفسير فتح القدير للشوكاني.
- (١٣٥) تفسير الطبري ٢٢٤/٦، والدر المنثور للسيوطي ٢/٢٩٤.
- (١٣٦) تفسير الطبري ٢٢٤/٦.
- (١٣٧) تفسير ابن كثير ٢/٧٢.
- (١٣٨) تفسير القرطبي ٦/٢٢٦.
- (١٣٩) رواه ابن عباس وانظر تفسير القرطبي ٢٣٢/٦، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٨٦/٢.
- (١٤٠) التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية الحزب الثاني عشر ص ١١٠٤.
- (١٤١) تفسير القاسمي ٦/٢٥١ بصرف واختصار.
- (١٤٢) تفسير الشوكاني (فتح القدير).
- (١٤٣) زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني، اختصار محمد سليمان الأشقر ص ١٤٩.
- (١٤٤) ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي:  
رواه أحمد في مسنده (١٨٧٢١) من حديث جرير قال قال رسول الله ﷺ ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعر منه وأمتع لم يغفروا عليه إلا أصابهم الله عز وجل منه بعقاب.
- (١٤٥) تفسير ابن كثير ٢/٧٤.
- (١٤٦) أن به فابداً فإنه لم يتمع:  
قال الهيثمي في المجمع: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال: إن فيها عبدك فلانا لم يحصك طرفة عين قال: اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمع (أي لم يتغير من التألم والغضب) في ساعة قط رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبيد بن إسحاق العطار عن عمار بن سيف وكلاهما ضعيف ووثق عمار بن سيف بن المبارك وجماعة ورضي أبو حاتم عبيد بن إسحاق.
- (١٤٧) يتمع وجهه: يتغير.
- (١٤٨) إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه:  
رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٣٨) والترمذي في الفتن (٢١٦٨) وأحمد في مسنده (٣١٠٠٠) من حديث قيس قال: قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتدبتم﴾ قال عن خالد وإنما سمعنا النبي ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب.
- (١٤٩) تفسير القرطبي ٦/٢٣٨.
- (١٥٠) تفسير الآلوسي ٦/١٠٨، والتفسير الوسيط حزب ١٢ ص ١١١١.



(١٥١) أنفق أنفق عليك:

رواه البخارى فى تفسير القرآن (٤٦٤٨) وفى النفاقات (٥٣٥٢) وفى التوحيد (٧٤٩٦) ومسلم فى الزكاة (٩٩٣) وابن ماجه فى الكفارات (٢١٣٢) وأحمد فى مسنده (٧٢٥٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال قال الله

(١٥٢) يمين الله مألئى:

رواه البخارى فى التوحيد (٧٤٩٩) ومسلم فى الزكاة (٩٩٣) وابن ماجه فى المقدمة (١٩٧) وأحمد فى مسنده (٧٢٥٦) من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال إن يمين الله مألئ لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما فى يمينه وعرشه على الماء ويده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض.

(١٥٣) انظر تفسير القرطبي، وفيه: السح الصب الكثير، ويغيض: ينقص، وبالهامش «الليل والنهار» قال النوى:

هو ينصب الليل والنهار ورفعهما بالنصب على الظرف، والرفع على الفاعل.

(١٥٤) تفسير القرطبي ٦ / ٢٤٠.

(١٥٥) لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة:

رواه البخارى فى الجهاد (٣٠٤٧) وفى الدييات (٦٩١٥، ٦٩٠٣) والترمذى فى الدييات (١٤١٢) والنسائى فى القسامة (٤٧٣٥) والدارمى فى الدييات (٢٣٥٦) وأحمد فى مسنده (٦٠٠) من حديث أبى جحيفة قال قلت لعلى يا أمير المؤمنين هل عندكم سودة فى بيضاء ليس فى كتاب الله قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما علمته إلا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن وما فى الصحيفة قلت وما فى الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر. وقال أبو عيسى حديث على حديث حسن صحيح. ورواه مسلم فى الإيمان (٧٨) من حديث أبى ذر قال قال على والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى ﷺ إلى أن لا يحينى إلا مؤمن ولا يغيضنى إلا منافق.

(١٥٦) من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا:

رواه البخارى فى تفسير القرآن (٤٦١٢) وفى التوحيد (٧٥٣١) ومسلم فى الإيمان (١٧٧) والترمذى فى تفسير القرآن (٣٠٦٨، ٣٠٧٨) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب والله يقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ الآية.

(١٥٧) انظر تفسير الألوسى: الطبرى وغيرهم حيث أوردوا ذلك فى أسباب نزول الآية.

(١٥٨) لو كان موسى حيا:

رواه أحمد (١٥٤٣٧، ١٧٨٧١) من حديث عبدالله بن ثابت. وذكره الهنذلى فى الكنز (١٠١١) ونسب لابن سعد وأحمد والحاكم فى الكنى والطبرانى والبيهقى فى الشعب بن ثابت الأنصارى قال الهنذلى فى المجمع: رواه أحمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابرا الجعفى وهو ضعيف.

(١٥٩) حاشية الجمل على الجلالين ١ / ٥١١.

(١٦٠) وردت إشارة كاملة إلى هذا المياق فى سفر تنبئة الاشرع وهو أحد أسفار التوراة التى يأتينهم، الإصحاح: ٢٩ - ٣٣.

(١٦١) نقل عن تفسير الفخر الرازى ١٢/٥٧.

(١٦٢) تفسير سورة المائدة ٣١٠.

(١٦٣) راجع قاموس الكتاب المقدس: ١٠٨، ١٠٩.

(١٦٤) قاموس الكتاب المقدس ٢٣٢، ٢٣٣

(١٦٥) تفسير الكشاف ١/٦٦٥.

(١٦٦) تفسير الكشاف ١/٦٦٦.

(١٦٧) إياكم والغلو في الدين:

رواه النسائي في مناسك الحج (٣٠٥٧) وابن ماجه في المناسك (٣٠٢٩) وأحمد في مسنده (١٨٥٤) من حديث ابن عباس قال قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته هات القط لي فلقطت له حصيات من حصي الحذف فلما وضعتهن في يده قال بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين.

(١٦٨) لا تطروني كما أطرت النصارى:

تقدم ص ٣٦.

(١٦٩) إنجيل متى: ١٢ - ٣٤، ٢٣ - ٣٣.

(١٧٠) تفسير الألوسي ٦/٢١١.

(١٧١) من رأى منكم منكرا:

مسلم في الإيمان ح ٧٠، والترمذي في الفتن ح ٢٠٩٨ وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الإيمان ح ٤٩٢٢، ٤٩٢٣، وأبو داود في الصلاة ح ٩٦٣، وفي الملاحم ح ٣٧٧٧، وابن ماجه في إقامة الصلاة ح ١٢٦٥، وفي الفتن ح ٤٠٠٣، وأحمد ح ١٠٦٥٩، ١١٠٣٤، ١١٠٩١، ١١٤٤٢ من حديث أبي سعيد الخدري.

(١٧٢) لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نههم علماءهم:

رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٤٧) وأحمد في مسنده (٣٧٠٥) من حديث عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنتهم: (على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) قال فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا. وقال الترمذي: حسن غريب.

(١٧٣) لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم:

انظر ما قبله.

(١٧٤) والله لتأمرن بالمعروف وتنهون:

رواه الترمذي في الفتن ح ٢١٦٩، وأحمد ح ٢٢٨١٦، ٢٢٧٩٠ من حديث حذيفة بن اليمان، وقال الترمذي: حديث حسن.

★ ★ ★

تمت الهوامش وتخريج الأحاديث بحمد الله

وبها تم الجزء السادس

## محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
٩٧٧	﴿لا يحب الله الجهر بالسوء...﴾	١٤٨
٩٧٧	﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه...﴾	١٤٩
٩٧٩	﴿إن الذين يكفرون بالله ورسوله...﴾	١٥٠
٩٧٩	﴿أولئك هم الكافرون حقا...﴾	١٥١
٩٧٩	﴿والذين آمنوا بالله ورسوله...﴾	١٥٢
٩٨١	﴿يسئلك أهل الكتاب أن تنزل...﴾	١٥٣
٩٨١	﴿ورفعنا فوقهم الطور...﴾	١٥٤
٩٨٦	﴿فبما نقضهم ميثاقهم...﴾	١٥٥
٩٨٦	﴿ويكفرهم وقولهم على مريم...﴾	١٥٦
٩٨٨	﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح...﴾	١٥٧
٩٨٨	﴿بل رفعه الله إليه...﴾	١٥٨
٩٩٢	﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته...﴾	١٥٩
٩٩٣	﴿فبظلم من الذين هادوا...﴾	١٦٠
٩٩٣	﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه...﴾	١٦١
٩٩٤	﴿ولكن الراسخون فى العلم منهم...﴾	١٦٢
٩٩٥	﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا...﴾	١٦٣
٩٩٥	﴿ورسلا قد قصصناهم عليك...﴾	١٦٤
٩٩٥	﴿رسلا مبشرين ومنذرين...﴾	١٦٥
٩٩٥	﴿لكن الله يشهد...﴾	١٦٦
٩٩٩	﴿إن الذين كفروا وصدوا...﴾	١٦٧
٩٩٩	﴿إن الذين كفروا وظلموا...﴾	١٦٨
٩٩٩	﴿إلا طريقتى جهنم...﴾	١٦٩
١٠٠٠	﴿يأيها الناس قد جاءكم الرسول...﴾	١٧٠
١٠٠١	﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم...﴾	١٧١
١٠٠٦	﴿لن يستكفب المسيح...﴾	١٧٢
١٠٠٦	﴿فأما الذين آمنوا...﴾	١٧٣
١٠٠٨	﴿يأيها الناس قد جاءكم برهان...﴾	١٧٤
١٠٠٨	﴿فأما الذين آمنوا بالله...﴾	١٧٥
١٠١٠	﴿يستفتونك قل الله يفتيكم...﴾	١٧٦

رقم الآية	أول الآيات	رقم الصفحة
—	تفسير سورة المائدة	١٠١٣
—	أولا - مدخل إلى سورة المائدة	١٠١٤
—	ثانيا - تفسير سورة المائدة	١٠٢٥
١	﴿يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود...﴾	١٠٢٥
٢	﴿يأيها الذين ءامنوا لا تحلوا شعائر الله...﴾	١٠٢٧
٣	﴿حرمت عليكم الميتة والدم...﴾	١٠٣٠
٤	﴿يسئلكم ماذا أحل لكم...﴾	١٠٣٥
٥	﴿اليوم أحل لكم الطيبات...﴾	١٠٣٥
٦	﴿يأيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة...﴾	١٠٤٠
٧	﴿واذكروا نعمة الله عليكم...﴾	١٠٤٠
٨	﴿يأيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء...﴾	١٠٤٣
٩	﴿وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات...﴾	١٠٤٤
١٠	﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا...﴾	١٠٤٤
١١	﴿يأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمت الله...﴾	١٠٤٤
١٢	﴿ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل...﴾	١٠٤٥
١٣	﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم...﴾	١٠٤٥
١٤	﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى...﴾	١٠٤٨
١٥	﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا...﴾	١٠٥٠
١٦	﴿يهدى به الله من اتبع رضوانه...﴾	١٠٥٠
١٧	﴿ولقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم...﴾	١٠٥١
١٨	﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه...﴾	١٠٥٣
١٩	﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل...﴾	١٠٥٤
٢٠	﴿وإذا قال موسى لقومه...﴾	١٠٥٥
٢١	﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة...﴾	١٠٥٥
٢٢	﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين...﴾	١٠٥٨
٢٣	﴿قال رجلان من الذين يخافون...﴾	١٠٥٨
٢٤	﴿قالوا يا موسى إن لن ندخلها...﴾	١٠٥٩
٢٥	﴿قال رب إنى لأملك إلا نفسى وأخى...﴾	١٠٥٩
٢٦	﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة...﴾	١٠٥٩
—	حكمة عقوبة التيه لبنى إسرائيل	١٠٦٢

رقم الآية	أول الآيات	رقم الصفحة
٢٧	﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم...﴾	١٠٦٣
٢٨	﴿لئن بسطت إلى يدك لتقتلني...﴾	١٠٦٣
٢٩	﴿إنني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك...﴾	١٠٦٣
٣٠	﴿نطوعت له نفسه قتل أخيه...﴾	١٠٦٦
٣١	﴿فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض...﴾	١٠٦٦
٣٢	﴿من أجل ذلك كتبنا...﴾	١٠٦٦
٣٣	﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله...﴾	١٠٧٠
٣٤	﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم...﴾	١٠٧٠
٣٥	﴿بأيها الذين ءامنوا اتقوا الله...﴾	١٠٧٤
٣٦	﴿إن الذين كفروا لو أن لهم...﴾	١٠٧٤
٣٧	﴿يريدون أن يخرجوا من النار...﴾	١٠٧٤
٣٨	﴿والسارق والسارقة فاقطعوا...﴾	١٠٧٦
٣٩	﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح...﴾	١٠٧٦
٤٠	﴿الم تعلم أن الله له ملك...﴾	١٠٧٦
٤١	﴿بأيها الرسول لا يحزنك...﴾	١٠٨١
٤٢	﴿سماعون للكذب أكالون للسحت...﴾	١٠٨٤
٤٣	﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة...﴾	١٠٨٦
٤٤	﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور...﴾	١٠٨٧
-	صفحة من تفسير القرطبي	١٠٩٠
٤٥	﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس...﴾	١٠٩١
٤٦	﴿وقفينا على ءاثارهم بعبسى ابن مريم...﴾	١٠٩٤
٤٧	﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه...﴾	١٠٩٤
٤٨	﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق...﴾	١٠٩٦
٤٩	﴿وأن أحكم بينهم بما أنزل الله...﴾	١٠٩٩
٥٠	﴿أفحكم الجاهلية يبغون...﴾	١١٠٠
٥١	﴿بأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود...﴾	١١٠١
٥٢	﴿فتري الذين فى قلوبهم مرض...﴾	١١٠١
٥٣	﴿ويقول الذين ءامنوا أهؤلاء...﴾	١١٠١
-	علاقة المسلمين بغيرهم	١١٠٤

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
١١٠٥	﴿يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم ...﴾	٥٤
١١٠٧	﴿إنما وليكم الله ورسوله ...﴾	٥٥
١١٠٧	﴿ومن يتول الله ورسوله ...﴾	٥٦
١١٠٩	﴿يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين ...﴾	٥٧
١١٠٩	﴿وإذا ناديتهم إلى الصلاة ...﴾	٥٨
١١١١	﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا ...﴾	٥٩
١١١١	﴿قل هل أنبئكم بشر ...﴾	٦٠
١١١٤	﴿وإذا جاءوكم قالوا ءامنوا ...﴾	٦١
١١١٤	﴿وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم ...﴾	٦٢
١١١٤	﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار ...﴾	٦٣
١١١٦	﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة ...﴾	٦٤
١١٢٠	﴿ولو أن أهل الكتاب ءامنوا واتقوا ...﴾	٦٥
١١٢٠	﴿ولو أنهم أقاموا التوارة والإنجيل ...﴾	٦٦
١١٢٢	﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ...﴾	٦٧
١١٢٤	﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شىء ...﴾	٦٨
١١٢٥	﴿إن الذين ءامنوا والذين هادوا ...﴾	٦٩
١١٢٧	﴿لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ...﴾	٧٠
١١٢٧	﴿وحسبوا ألا تكون فتنة ...﴾	٧١
١١٣٠	﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ...﴾	٧٢
١١٣١	﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ...﴾	٧٣
١١٣١	﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ...﴾	٧٤
١١٣٣	﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول ...﴾	٧٥
١١٣٣	﴿قل أتعبدون من دون الله ...﴾	٧٦
١١٣٥	﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوفى دينكم ...﴾	٧٧
١١٣٥	﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل ...﴾	٧٨
١١٣٥	﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ...﴾	٧٩
١١٣٨	﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ...﴾	٨٠
١١٣٨	﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى ...﴾	٨١
١١٣٩	خاتمة	-
١١٤١	تخريج أحاديث وهوامش الجزء السادس	-
١١٥٥	محتويات الكتاب	-









Bibliotheca Alexandrina



0461307